مجلة إسلامية شهرية جامعة

# البيان

AL BAYAN

السنة الثامنة والعشرون . العدد ٣٠٨ . ربيع الآخر ١٤٣٤ هـ . فبراير - مارس ٢٠١٣ م


## إسهامات المعاصرين
في تجديد أصول الفقه

## تحكيم الشريعة.. معركة عقيدة

## الطائفية.. في ميزان الإسلام

## الشيخ حارث الضاري : «الاحتلال الأمريكي يدير المالكي وأتباعه»

# أَخَوان نصيران

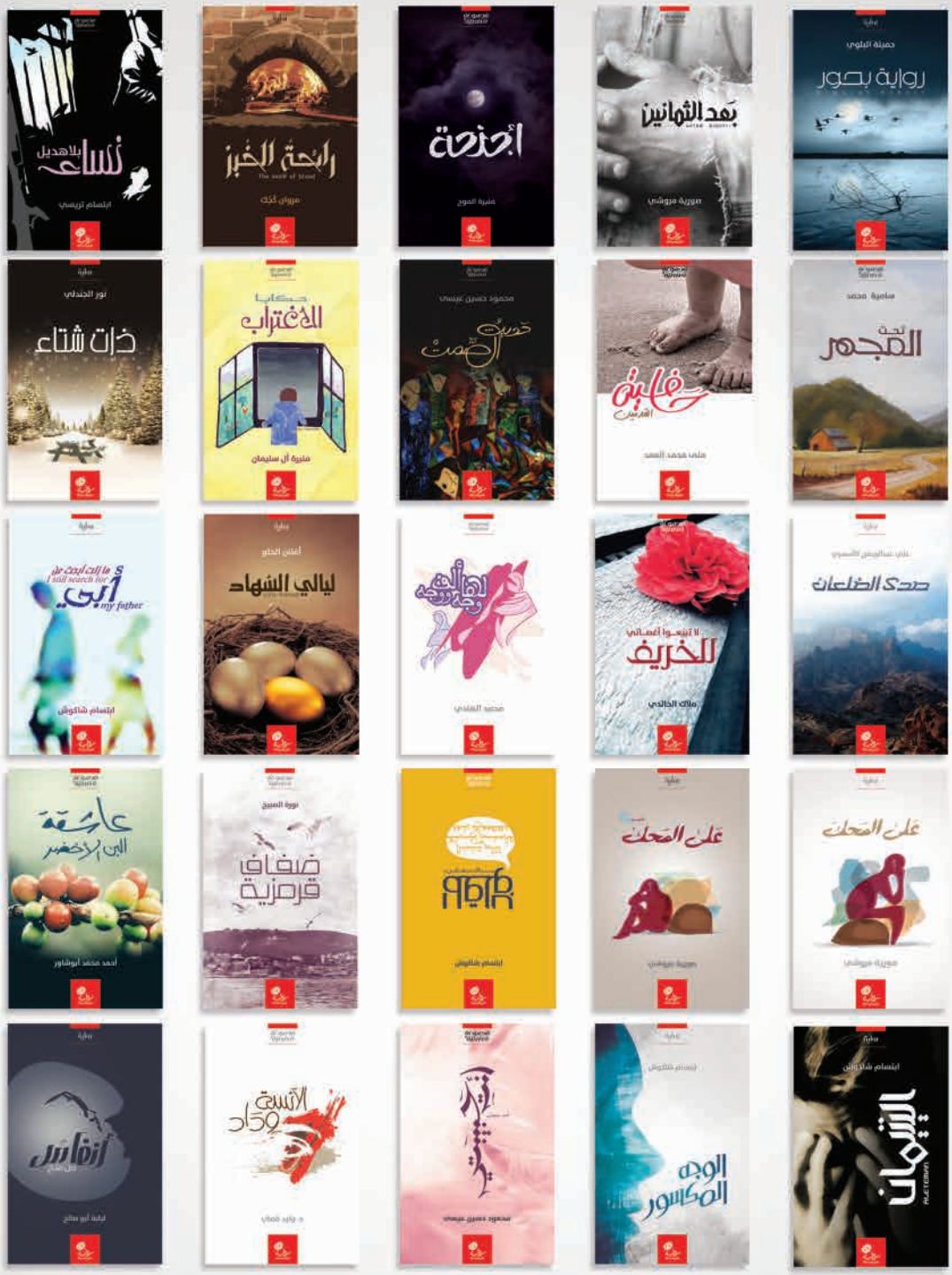

## دار رواية ..

حيث المتعة والفائدة ونقاء الكلمة

ترقبوا إصداراتنا الجديدة

# في معرض الرياض الدولي للكتاب

مجلة البيان
إسلامية . شهرية . جامعة

رئيس التحرير
أحمد بن عبد الرحمن الصويان
alsowayan@albayan.co.uk

مدير التحرير
د. عبد الله بن سليمان الفراج

هيئة التحرير
أحمد بن عبد العزيز العامر
د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف
د. يوسف بن صالح الصغير
فهد بن صالح العجلان
د. أحمد بن عبد المحسن العساف
فيصل بن علي أحمد الكاملي

سكرتير التحرير
إسلام السيد علي

الإخراج الفني
محمد سالم لرضي

عنوان المجلة على الشبكة العالمية
www.albayan.co.uk

اشتراكات البيان Whatsapp & SMS
٠٠٩٦٦٥٥٤١٩٢٤١٣

## الحسابات

**السعودية:** مصرف الراجحي
**آي بان:** SA١٣٨٠٠٠٠٢٩٦٦٠٨٠١٠٠٢١٠٠٧

## الاشتراكات

| | | |
|---|---|---|
| السعودية ودول الخليج | ١٢٠ | ريال سعودي |
| بريطانيا وايرلندا | ٤٧ | يورو |
| أوروبا | ٥٥ | يورو |
| البلاد العربية وإفريقيا | ٤٥ | يورو |
| أمريكا وبقية دول العالم | ٥٥ | يورو |
| المؤسسات الرسمية | ٦٠ | يورو |

## خدمة العملاء

**السعودية**
ص. ب ٢٦٩٧٠ الرياض: ١١٤٩٦.
الهاتف الموحد: ٩٢٠٠٠٤٥٤٨
هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ ـ فاكس: ٤٥٣٢١٢١

## للمراسلات عبر البريد الإلكتروني

التحرير
editors@albayan.co.uk
خدمة العملاء
sub@albayan.co.uk
التسويق
sales@albayan.co.uk
العلاقات العامة
pr@albayan.co.uk

## الموزعون

**الأردن:** الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص. ب ٣٧٥ هاتف: ٥٣٥٨٨٥٥، فاكس: ٥٣٣٧٧٣٣.
**الإمارات العربية المتحدة:** شركة الإمارات للطباعة والنشر، دبي ص. ب ٦٠٤٩٩
هاتف : ٣٩١٦٥٠١، فاكس ٢٦٦٦١٢٦ .
**سلطنة عُمان:** مؤسسة العطاء للتوزيع، ص.ب ٤٧٣ ـ العذيبة ١٣٠ ـ هاتف: ٢٤٤٩١٣٩٩ ـ فاكس: ٢٤٤٩٣٢٠٠ .
**البحرين:** مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ـ **المنامة:** ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ ـ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.
**السعودية :** الشركة الوطنية للتوزيع:
هاتف: ٤٨٧١٤١٤ ـ فاكس: ٤٨٧١٤٦٠.
**السودان:** الخرطوم، مكتب المجلة ٨٣٢١٢١٨٣.
**قطر:** دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف: ٤٥٥٧٨١٠ - ٤٥٥٧٨١١ - ٤٥٥٧٨١٢ - فاكس: ٤٥٥٧٨١٩.
**الكويت:** شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع، ص. ب: ٢٩١٢٦ ـ الكويت الرمز البريدي ١٣١٥٠ ـ هاتف: ٢٤٠٥٣٢١ ـ ٢٤١٧٨١٠ ـ فاكس: ٢٤٧٨٠٩.
**المغرب:** سوشبرس للتوزيع، الدار البيضاء، ش جمال بن أحمد ص. ب ١٣٦٨٣ ـ هاتف: ٢٤٠٠٢٢٣ ـ فاكس: ٢٤٦٢٤٩.
**اليمن:** دار القدس للنشر والتوزيع، صنعاء : ص. ب ١١٧٧٦ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة، هاتف: ٢٠٦٤٦٧ ـ فاكس: ٤٠٥١٣٥
**تونس:** الشركة التونسية للصحافة، ت ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٠٠٤


## الافتتاحية


٦ **أَخَوان نصيران**
التحرير


## العقيدة والشريعة


١٠ **إسهامات المعاصرين في تجديد أصول الفقه**
د. نور الدين بوكردید
١٨ **خطوات الشيطان**
د. إبراهيم بن محمد الحقيل


## بلِّغوا عني ولو آية


٢٢ **﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾**
د. عبد العزيز كامل


## قضايا دعوية


٢٨ **الطائفية في ميزان الإسلام**
عبد العزيز الناصر
٣١ **علاج آفة الغلو**
د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف


## قضايا تربوية


٣٤ **التفريط في وصية رسول الله عليه الصلاة والسلام**
عبد العزيز الشامي
٣٨ **المسلك الوسطي لفقه المقاصد ضرورة لمقاومة تفريغ الإسلام من أحكامه**
تامر بكر


## معركة النص


٤٢ **تطبيق الشريعة بعدم تطبيق الشريعة! (محمد عابد الجابري أنموذجاً)**
فهد بن صالح العجلان


## حوار


٤٦ **حوار مع د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري**
أجرى الحوار: أحمد مقرم النهدي

موقف

٥٠ الاحتلال الأمريكي يدير المالكي وأتباعه
الشيخ حارث الضاري

المسلمون والعالم

٥٢ مأساة مالي.. صومالة جديدة
رأفت صلاح الدين

٥٨ ربيع العراق.. السُّنَّةُ ينتفضون والمالكي يترنح
مجدي داود

٦٢ الربيع العراقي.. عوداً على بَدء
د. أمجد الجنابي

٦٦ الحراك الشعبي العراقي.. في الميزان!
محمد الطائي

٧٣ مرصد الأحداث
عمرو عبد البديع

عين على العدو

٧٨ نتائج الانتخابات الصهيونية على الفلسطينيين
د. عدنان أبو عامر

في دائرة الضوء

٨٠ التفسير الإسلامي لنشوء اللغة ومواردها
حسن مظفر الرزو

قصة قصيرة

٨٣ بقايا طفل ثائر...
محمد عمر الملحم

تاريخية

٨٤ من سادات الصحابة
الأمين الحاج محمد أحمد

نص شعري

٨٧ مشاهد من الدم
محمد عمر الشيخ

بأقلامهن

٨٨ تحدِّي العقيدة
رحاب حسان

الورقة الأخيرة

٩٤ من الدعوة إلى الدولة
د. هشام عقدة

## [كلمة صغيرة]

### تعظيم القرآن

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد النبي سيد ولد آدم أجمعين، أما بعد:**

فإن القرآن الكريم هو كلام رب العالمين الذي أنزله على رسوله ﷺ مناراً للسالكين ليخرجهم بإذنه من الظلمات إلى النور المبين، وحق ما فيه من الخير والرحمة للأولين والآخرين أن يقابَل بالتبجيل والتعظيم لا بالإعراض والهجران والتهوين، وقد وصفه قائله الرب الجليل بأنه عظيم؛ فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]. والتعظيم يشمل الجانب العقدي والجانب العملي، فمن تعظيمه: استحضار أن المتكلم به هو جبار السموات والأرض جلَّ جلاله، فمن استخف بكلامه فقد استخف به سبحانه فكفر.

ومن تعظيمه: اعتقاد كماله وتمامه وأنه لا نقص فيه ولا اختلاف ولا اضطراب، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، واعتقاد شموله وعمومه بحيث لا تنزل بالناس نازلة إلا وفي كتاب الله دليل على سبيل الهدى فيها، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

ومن تعظيم القرآن الكريم: التحاكم إليه، فلا يتحاكم إلى ما عارضه في كثير أو قليل ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

ومن تعظيمه: الخضوع التام والاستكانة لحكمه لا الاعتراض والمجادلة ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ومن تعظيمه: أن يكون كلف به فيكون له ورد ثابت يقرأه يومياً ويكحل عينيه برؤية كلام ربه ويجد في قراءته راحة قلبه.

ومن تعظيمه: العناية بدراسته وتفسيره وتدبّر آياته والالتزام بأحكامه والانتفاع بآدابه ومواعظه.

ومن تعظيمه: الذبّ عنه والانتصار له ومواجهة دعوات الإساءة له من المعادين وأهل الأهواء والمتطاولين.

ومن تعظيمه: العناية بترجمة معانيه إلى اللغات المختلفة، ترجمةً دقيقةً من أهل العلم والاختصاص.

ومن تعظيمه: العناية بتحفيظه وتعليمه، وتطوير آليات التعليم والتدريس لتكون وسيلة لترسيخ الاهتمام به وبعلومه.

ومن تعظيمه: ألا يُنال به عَرَض من الدنيا، فإن فاعله من أوّل من تُسجَّر به نار جهنم.

# أَخَـــوان نصيـــران

**الحمـد للّه رب العالميـن، والصـلاة والسـلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين.. وبعد:**

فتأمل واقع الأمة الإســـلامية، وسرِّح طرفك أنَّى شئت في المشـــرق أو في المغرب؛ وســـتقف على ألوان من الآلام والمآسي والجراحـــات، وأصناف من الأثقـــال والاحتياجات التي يعجز القلم عن وصفهـــا والإحاطة بأبعادهـــا وآثارها. وفي كل عام تستجد في أراضي المسلمين نازلة تجدد الأحزان وتزيد الأعباء، وفي كل ليلة يســـدل الظلام فيها ستاره تتصدع رؤوس فئام من المسلمين من الأنين والبكاء والألم؛ إما بسبب الخوف والظلم، أو الجوع والفاقة، أو العجز والمرض!

إنَّ ثمـــة حقيقة في غاية الأهميـــة وهي أنه مع كثرة الفتن والنوازل التي تعصف بكثير من دول العالم الإســـلامي، إلا أن مقاصد الأخوة والترابط بين المســـلمين ضعفت ضعفاً شديداً، زاد من حدتها ضعف الديانة ونقص الوعي والعجز السياســـي والتحريف الإعلامي، حتى أصبح كثير من المســـلمين لا يبالي بما يحدث لإخوانه من مجاعات أو حروب أو فتن، بل إن بعض العلماء والدعاة ربما انشـــغل بقضاياه المحلية انشـــغالاً أنساه كثيراً من قضايا الأمة!

ومن المحزن حقاً أن يســـتجدي بعض المســـلمين المنكوبين النصرة والغوث من المنظمات الأممية والإرســـاليات الكنسية، وكثير من المســـلمين يســـمع ذلك ويعرض عنه، وحاله كما قال الشاعر:

كم حرة صرخت من تحت غاصبها
فجاءهـــا المنقـــذان: العـــي والصمم

لقد نجح الغرب في تقطيع أوصال العالم الإسلامي إلى دويلات متباعدة، وأصبحت الأكثريات المسلمة، فضلاً عن الأقليات، تعيش في جزر معزولة مقطوعة الصلة ببعضها؛ ولذا فنحن أحوج ما نكون إلى تجديد معاني الولاء والنصرة، وترسيخ أواصر الصلة والنجدة، امتثالاً لقول الحق – تبارك وتعالى –: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]. قال البغوي: (أولياء بعض: في الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة)[١]. ولقول النبي ﷺ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد ب عضه بعضاً. ثم شبك بين أصابعه)[٢]. ولقوله ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[٣]. ونحوه قول النبي ﷺ: (إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألم المؤمن لأهل الإيمان، كما يألم الجسد لما في الرأس)[٤].

ومن الأدلة العظيمة التي تشعر المسلمين بعظم المسؤولية ما رواه جرير بن عبد الله – رضي الله عنه – قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتمعَّر وجه رسول ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذن وأقام، فصلى ثم خطب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ إلى آخر الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، والآية التي في الحشر: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحشر: ١٨]، تصدَّق رجل من دينارِه، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره) حتى قال: (ولو بشق تمرة). قال: فجاء رجل من الأنصار بصرةً كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس، حتى رأيت كوماً من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة، فقال رسول الله ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)[٥].

لقد كان النبي ﷺ يحمل في قلبه الكبير همَّ المسلمين، ولذا تمعَّر وجهه الشريف ألماً وإشفاقاً لحال أولئك الفقراء، ولم ينشرح صدره إلا بعد أن تسابق الناس على الصدقة والبذل، فما بال كثير من المسلمين يرى المآسي تتخطف إخوانه من حوله وهو بارد القلب، بليد الإحساس، لم يتحرك له جفن؟!

إنَّ التناصر بين المسلمين ركيزة عظيمة من ركائز الإسلام، لا يتم الإسلام إلا بها، قال – عز وجل –: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٢]، وقال رسول الله ﷺ: (المؤمن أخو المؤمن، يكفّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه)[٦]، وكان النبي ﷺ يربي أصحابه على ذلك، فها هو ذا صحابي جليل يقول للنبي ﷺ: يا نبي الله! ما أتيتك حتى حلفت أكثر من عددهن – لأصابع يديه – أن لا آتيك ولا آتي دينك، وإني كنت امرءاً لا أعقل شيئاً إلا ما علمني الله ورسوله، وإني أسألك بوجه الله – عز وجل –: بما بعثك ربنا إلينا؟ قال: (بالإسلام). قال: وما آيات الإسلام؟ قال: (أن تقول: أسلمت وجهي على الله – عز وجل – وتخلَّيتُ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، كل مسلم على مسلم حرام، أخوان نصيران، لا يقبل الله – عز وجل – من مشرك بعد ما أسلم عملاً، أو يفارق المشركين إلى المسلمين)[٧].

وإذا أردت أن تقف على أنموذج عظيم في التناصر والتآزر فاقرأ قول النبي ﷺ: (إن الأشعريين إذا أرملوا – أي: فني زادهم – أو قلَّ طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم)[٨].

فحق المسلم على المسلم المبادرة إلى نصرته وإغاثته، وترك التردد أو التسويف أو التباطؤ في نجدته، امتثالاً لقول النبي ﷺ: (وتسعى بشدة ساقيك إلى اللهفان المستغيث، وترفع بشدة ذراعيك مع الضعيف، كل ذلك من أبواب الصدقة منك على نفسك)[٩].

والتفريط كل التفريط أن ترى المسلم في مسغبة أو فاقة أو حاجة ثم تخذله وتعرض عنه أو تُقصِّر في نصرته، قال رسول الله ﷺ: (المسلمُ أخو المسلمِ لا يظلمُه ولا يخذلُه ). والخذل: ترك الإعانة والنصرة[١٠]، وأيّ خذلان أعظم من إسلام المسلمين للأعداء المحاربين، أو تركهم لقمة سائغة للمنظمات التنصيرية، أو الإعراض عنهم يقاسون آلام الجوع والمرض؟!

(١) تفسير البغوي: (٢/ ٣٦٩).
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب رقم (٦٠٢٦)، ومسلم في كتاب البر رقم (٢٥٨٥).
(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر رقم (٢٥٨٦).
(٤) أخرجه أحمد (٣٧/ ٥١٧) رقم (٢٢٨٧٧)، وصححه الأرناؤوط لغيره.
(٥) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، رقم (١٠١٧).
(٦) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، رقم (٤٩١٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٥٣٢).
(٧) أخرجه النسائي في كتاب الزكاة، وصححه الألباني في صحيح النسائي رقم (٢٥٦٧).
(٨) أخرجه البخاري في كتاب الشركة رقم (٢٤٨٦)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة رقم (٢٥٠٠).
(٩) أخرجه أحمد (٣٥/ ٣٨٣) رقم (٢١٤٨٤)، وصححه الأرناؤوط.
(١٠) شرح صحيح مسلم للنووي، (١٦/ ١٢٠).

والنصـــرة التي نتحدث عنها ليســـت ادعـــاءً، بل هي عمل القلب والجوارح، وتأمل قول النبي ﷺ: (يد المســـلمين على من سواهم، تتكافأ دماؤهم وأموالهم، ويجير على المسلمين أدناهم، ويرد على المسلمين أقصاهم).

وزاد أبو داود: (يرد مُشـــدُّهم على مُضعفهم، ومتســـرعهم على قاعدهم)[1].

قال الإمام الخطابي: «معنـــى اليد: المعاونة والمظاهرة، إذا اســـتنفروا وجب عليهـــم النفير، وإذا اســـتُنجدوا أَنْجدوا، ولم يَختلفوا ولم يتخاذلوا»[2].

## ومن المقترحات العملية التي تعزز النصرة:

**أولاً:** أن يكون العلماء والدعاة قدوات حية يبادرون في مقدمة الركب، ويحيون دور العلماء في استنهاض الهمم، وتأمل قصة أبي عثمان الصابوني الإمام الكبير (ت: ٤٤٩هـ)، فقد كان يعظ فدفع إليه كتاب ورد من بخارى مشتمل على ذكر وباء عظيم فيها، ليدعو لهم، ووصف في الكتـــاب أن رجلاً أعطى خبازاً درهماً فكان يزن والصانع يخبز والمشـــتري واقف، فمات ثلاثتهم في ســـاعة، فلما قرأ الكتاب هاله ذلك، واســـتقرأ من القارئ: ﴿أَفَأَمِـــنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّـــيِّئَاتِ﴾ [النحل: ٤٥]، ونظائرها، وبالغ في التخويف والتحذير، وأثر ذلك فيه وتغيَّر، وغلبه وجع البطن، وأنزل من المنبر يصيح من الوجع، وبقي أسبوعاً لا ينفعه علاج، ومات[3].

فرقة هـــذا الإمام وشـــفقته على إخوانه آلمتـــه هذا الألم الممرض، وتعزيز هذا الشعور الأخوي من علماء الأمة سيدفعهم إلى مزيد من العطاء والفاعلية. ومهمة العلماء ليست الاقتصار علـــى إصدار الفتاوى والبيانات العامة فحســـب، وإن كان ذلك مهماً بلا شك، لكن مهمتهم الكبرى قيادة الأمة، وصياغة الرأي العام، واستنهاض الهمم لنصرة المسلمين.

**ثانيـــاً:** أثبتت المنظمات السياســـية، مثـــل منظمة التعاون الإســـلامي ونحوهـــا، عجزها عـــن القيام بجزء يســـير من مســـؤولياتها، وهذا يؤكد ضرورة العناية بالمبادرات المؤسســـية الأهلية التي تسد جزءاً من الثغر، وتبادر لتوظيف طاقات الأمة لتحقيق النصرة كل حسب جهده ووسعه.

وتعتـــرض بناء هذه المؤسســـات عوائق كثيـــرة جداً، منها: الحملـــة الغربية الجائرة على مؤسســـات العمل الخيري تحت شعار ما يسمى الحرب على الإرهاب[4]، ما أدى إلى انكفاء بعض الدعاة وعجزهم. ولذا كان من الواجب أن يتنادى المصلحون إلى تجاوز هذه العقبة بكل وســـيلة ممكنة؛ فبعضنا يجيد في كثير مـــن الأحيان التباكي على الفرص المغلقـــة، ويكثر التلاوم على التفريط فـــي الفرص الماضية، لكننا نقصـــر كثيراً في اغتنام مساحات واسعة من الفرص الممكنة التي تحقق المطلوب.

**ثالثاً:** إحياء منابر الجمعة لتكون تعبيراً صادقاً عن قضايا الأمة، ولن يتحقق ذلك إلا بالخطيب الحي المعطاء الذي ينبض بهموم الأمة قلبه، ويتعلق فؤاده بمشـــكلاتهم واحتياجاتهم. وقد ثبت في صحيح مسلم أنَّ رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومســـاكم[5]، وما أجمل قول الرافعي: (ألا ليت المنابر الإســـلامية لا يخطب عليها إلا رجال فيهم أرواح المدافع، لا رجال في أيديهم سيوف من خشب)[6].

**رابعاً:** الارتقاء بالإعلام الإسلامي بمنابره المختلفة ومواقع التواصل الاجتماعي، لتكشـــف واقع المسلمين، والتحديات التي تعترض ســـبيلهم، والمؤامـــرات والمكائد التـــي تحاك ضدهم، والأولويات التي يحتاجون إليها. وإذا كان بعض إعلامنا العربي يعزز الفرقة والقطيعة والأثرة وعدم المبالاة بأحوال المســـلمين، ويشغل الناس بالاهتمامات الوضيعة، ويسهم في تشويه الوعي؛ فيجب أن يكون من أولويات إعلامنا الإســـلامي الارتقاء بفكر الأمة، وتصحيح الوعي، وتعزيز المحبة، والنصرة، والتعاون على البر والتقوى، وبناء الجسد الواحد.

**خامســـاً:** عقد المؤتمرات والندوات والمحاضرات والمعارض التي تعرّف بقضايا المسلمين، والسعي لتنشيط التنسيق والتكامل بين العاملين في الميدان، ســـواء كان ذلك من خلال المؤسسات أو الأفراد. ومن ذلـــك العناية بالمؤتمرات والندوات المتخصصة كالتي تجمـــع المحامين والحقوقيين أو الأطبـــاء أو الإعلاميين ونحوهم، لتعزيز أدوارهم في الدفاع عن المسلمين ونصرتهم.

**ســـادســـاً:** السعي لتأســـيس المنظمات السياسية والحقوقية المحليـــة والدولية، التي تتصدر الدفاع عن المســـلمين، وتطالب بحقوقهم في المحافل الإقليمية والدولية.

إن إعادة اســـتنبات روح النصرة والنجدة من الأوليات التي ينبغي أن تتواطأ عليها الهمم، وتتكاتف عليها الجهود. ونســـأل اللـــه - عز وجل - أن يرزقنا نصيباً وافراً من قوله ســـبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الديات رقم (٢٦٨٥)، وأبو داود في كتاب الجهاد رقم (٢٧٥١)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه وصحيح سنن أبي داود.
(٢) معالم السنن للخاطبي بحاشية مختصر سنن أبي داود: (٤/ ٥٩)، وانظر: شرح السنة للبغوي: (١٠/ ١٧٣).
(٣) سير أعلام النبلاء: (١٨/ ٤٢ - ٤٣).
(٤) نشر مركز البحوث والدراسات في مجلة البيان كتابين في هذا الموضوع: القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب، وضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب، كلاهما للدكتور محمد السلومي.
(٥) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة، رقم (٨٦٧).
(٦) وحي القلم: (١/ ٣٥).

برعاية

خادم الحرمين الشريفين

الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود - وفقه الله

# المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

International Conference for the development of Quranic Studies

من ٦ - ١٠ ربيع الثاني ١٤٣٤هـ الموافق ١٦ - ٢٠ فبراير ٢٠١٣م

**محاور المؤتمر**

- المحور العلمي
- المحور التقني
- المحور التمويلي
- المحور التعليمي
- المحور التشجيعي
- المحور الإعلامي

**الأنشطة المصاحبة**

- حلقات نقاش
- معرض المؤسسات
- دورات تدريبية
- محاضرات وندوات

مكان انعقاد المؤتمر جامعة الملك سعود بالرياض

المنظمون

كرسي القرآن الكريم وعلومه
Chair of Qur'anic Sciences

جامعة الملك سعود
King Saud University

مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center for Qur'anic Studies

www.quranicconferences.com

# إسهامات المعاصرين في تجديد أصول الفقه

د. نور الدين بوكرديد(*)

## مقدمة:

منذ مطلع القرن التاسع عشر وإلى مطلع القرن العشرين، خضعت معظم الدول العربية والإسلامية للاستعمار الأوروبي، ودخلت شعوبها في مواجهات مسلحة ومعارك سياسية من أجل تحرير نفسها، وتخلل هذه المواجهات والمعارك صراع فكري بين ما هو دخيل وما هو أصيل، في كل المجالات، ومنها: المجال العلمي والعملي، ومن أهم واجهات هذا الصراع المجال الفقهي والقانوني، حيث احتدم بين الشرع والفقه من جهة، وبين القوانين الأوروبية الوافدة من جهة أخرى؛ صراع مرير لا تزال آثاره ماثلة بين ظهرانينا إلى اليوم.

وكان من نتائج هذا الصراع إبعاد الشريعة والفقه عن معظم مجالات الحياة اليومية للمسلمين، وبعد أن حصلت البلدان الإسلامية على استقلالها، وأفاقت الشعوب من ذهولها بعد مضي مدة زمنية على هذا الاستقلال؛ شهدت الأمة الإسلامية صحوة جديدة وتاقت إلى استئناف حياتها في ظلال شريعتها وفقهها، فكان من ثمار ذلك صحوة علمية شملت أصول الفقه.

سنحاول في هذا البحث إبراز ومعالجة أهم الجهود المعاصرة في تطوير علم أصول الفقه وتجديده من خلال المباحث التالية:

(*) الأستاذ المحاضر بالجامعة الإسلامية بالنيجر.

## المبحث الأول: تحقيق التراث الأصولي وطبعه:

لقد عفا الزمن على كثير من المصنفات الأصولية القديمة، فمنها ما لحقه الضياع وعدت عليه عوادي الزمان، ومنها ما سُرق وحُفظ في الخزانات العامة والخاصة في الدول العربية، ومنها ما بقي مطموراً مجهولاً بين ركام من المخطوطات في المكتبات الخاصة والعامة في بعض الدول العربية والإسلامية[1].

ومنذ دخول المطابع إلى البلدان الإسلامية، بدأت طباعة عدد من المخطوطات، ومنها مخطوطان في المصنفات الأصولية، إلا أن الملاحظ أن معظم المصنفات التي تمت طباعتها إلى ما بعد منتصف القرن العشرين الميلادي، هي تلك المصنفات المذيلة بالشروح والحواشي، والتي كانت متداولة في عصر الانحطاط، وبقيت كذلك إلى العصر الحديث[2]، ومن أمثلة هذه المصنفات[3]:

- الإبهاج بشرح المنهاج لتقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي وولده تاج الدين السبكي، طبع في مصر ثم بلبنان عدة مرات.
- حاشية الشيخ حسن العطار على شرح المحلى على

(١) انظر: تطور علم أصول الفقه وتجدده، الدكتور عبد السلام بلاجي، ص ١٥١، دار الوفاء للطباعة والنشر، المغرب.
(٢) المرجع نفسه، ص١٥٢.
(٣) المرجع نفسه، ص ١٥٣.

جمع الجوامع لابن السبكي مع تقريرات للشيخ عبد الرحمن الشربيني وتقريرات أخرى للشيخ محمد علي بن الحسين المالكي، أي خمسة كتب في المجموع.

• أصول البزدوي، وعليه شرح للبخاري، طبع بالأستانة سنة ١٣٠٧هـ.

• أصول السرخسي، طبع في دار الكتاب العربي سنة ١٣٧٢هـ.

• المستصفى للغزالي، وبهامشه فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت لمحب الله بن عبد الشكور، طبع سنة ١٣٠٦هـ، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر.

• كنز الوصول إلى معرفة الأصول لفخر الإسلام البزدوي، وبهامشه كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام للإمام علاء الدين البخاري، طبع سنة ١٣٠٨هـ بمطبعة الشركة الصحافية العثمانية.

• نهاية السول للأسنوي ومعه سلم الوصول لشرح نهاية السول للشيخ محمد بخيت المطيعي المتوفى سنة ١٩٣٥م، وطبع سنة ١٣٤٣هـ في مصر.

إن هذه النماذج التي أثبتناها هنا ومثيلاتها تتميَّز بعدة مميزات، من أهمها: تداخل عدة كتب في كتاب واحد، ودقة الخط وعدم وضوح طباعة بعض الحروف، وانعدام وجود عناوين للأبواب والفصول والمباحث التي تسهل مهمة الباحث، وصعوبة اللغة، وعدم تصدير هذه المطبوعات بمقدمات تحقيقية تعرِّف بالمصنِّف والمصنَّف ومنهج التصنيف وأهمية الكتاب بين كتب الأصول المعتمدة.

إن هذه الخصائص وغيرها هي التي تجعل من العسير على الباحث المعاصر أن يستفيد من هذه المصنفات، فضلاً عن عدم طباعة عدد كبير من أمهات الأصول؛ كل ذلك حوَّل الاتجاه إلى ضرورة تحقيق كتب الأصول مفردة غالباً، وطباعتها في شكل جذاب وبحروف واضحة وأوراق جيدة، مع تخصيصها بمقدمات للتحقيق والدراسة توثّق مختلف الجوانب المرتبطة بالكتاب وصاحبه، وقد ابتدأ هذا النوع من التحقيق والطباعة في منتصف القرن العشرين الميلادي تقريباً، ونشط بالخصوص في الثمانينيات والتسعينيات منه، خصوصاً بعدما أولته بعض الجامعات الإسلامية، وتحديداً جامعتي أم القرى في مكة المكرمة والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، عناية فائقة، ومن بين أهم هذه النماذج التي تم إخراجها بناء على المنهج الجديد الكتب التالية[1]:

• الرسالة لمحمد بن إدريس الشافعي، بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، حيث أتم تحقيق الكتاب في رجب ١٣٥٨هـ الموافق لسبتمبر ١٩٣٩م وطبعتها مطبعة مصطفى الحلبي في مصر.

• المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين البصري المعتزلي، وقد كان هذا الكتاب في حكم المفقود حتى طبعه المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية في دمشق سنة ١٩٦٤م بتحقيق محمد حميد الله، وتعاون كل من محمد بكر وحسن حنفي، وقد قدم له محمد حميد الله بمقدمة مكتوبة باللغة الفرنسية أثبتها في آخر المجلد الثاني، مع فهارس مفصلة لآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية والأعلام والبلدان.

• المستصفى من علم الأصول لأبي حامد الغزالي، وقد حظي بعدة تحقيقات وطبعات، ومن بين طبعاته المحققة تلك التي حققها الدكتور محمد سليمان الأشقر في مجلدين، وطبعتها مؤسسة الرسالة في بيروت سنة ١٩٩٧م، وتمتاز الدراسة التي قدم لها بتبويبها الجيد الواضح، بالإضافة إلى فهارس مفصلة للآيات القرآنية والأحاديث النبوية وآثار الصحابة وفهرس الشعر وآخر للمصطلحات الأصولية والأعلام وفهرس مفصل للمحتويات.

• كتاب التلخيص في أصول الفقه لأبي المعالي الجويني، وقد كان كذلك في حكم المفقود حتى قيض الله عز وجل طالبين باحثين من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة فقاما بدراسته وتحقيقه، وهما الدكتور عبد الله جوالم النيبالي وبشير أحمد النبلي، وطبعته دار البشائر الإسلامية في بيروت، وتمتاز هذه الطبعة بالإخراج الجيد فضلاً عن فهرس للأبواب والفصول والمسائل، وتتجلى أهميته في كونه حفظ لنا الآراء الأصولية للسابقين وخصوصاً لأبي بكر الباقلاني.

• البرهان في أصول الفقه لإمام الحرمين الجويني، وقد كان كذلك في حكم المفقود رغم وجود عدة مخطوطات له، وقد قام بتحقيقه الدكتور عبد العظيم الديب في مجلدين ضخمين قدم لهما بدراسة وافية وختمها بفهارس علمية شاملة ومفصلة.

• المحصول في علم أصول الفقه لفخر الدين الرازي، وقد كان عديم التداول إلى أن قام بتحقيقه الدكتور طه جابر فياض العلواني وطبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في منتصف الثمانينيات من القرن العشرين الميلادي، ثم أعادت

(١) المرجع نفسه، ص١٥٣

طبعه مؤسسة الرسالة في بيروت سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م في ستة مجلدات، وقد قدم له صاحبه بقسم دراسي استغرق مجلداً كاملاً وفهارس تفصيلية شاملة استغرقت أكثر من نصف المجلد السادس.

هذه نماذج فقط من بعض أهم الكتب الأصولية التي تم تحقيقها وطبعها، وغيرها كثير؛ كالبحر المحيط للزركشي، والفصول في أحكام الأصول للباجي، ومفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول للتلمساني... إلخ.

وتمتاز هذه الكتب المحقَّقة بكل المميزات التي تفقدها سابقتها؛ من انفراد المطبوع بكتاب واحد، ووضوح الخط وتبويب جيد، مع التقديم لهذه الكتب بدراسات وتحقيقات وافية، واختتامها بفهارس علمية شاملة، وكل ذلك جعل هذه المصنفات سهلة التناول أمام الباحثين وطلبة العلم.

## المبحث الثاني: انتعاش الدراسات المقاصدية:

من مظاهر الصحوة المهمة لأصول الفقه في عصرنا الحاضر، انتعاش الدراسات المقاصدية، ويمكن اعتبار نقطة الانطلاق في هذا المجال قيام الشيخ عبد الله دراز المتوفى سنة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م، بتحقيق كتاب الموافقات وتخريج أحاديثه في مطلع القرن العشرين الميلادي[١]، ثم توالت الدراسات المقاصدية بعد ذلك تباعاً، ومن أبرزها الكتب التالية:

- مقاصد الشريعة للشيخ محمد الطاهر بن عاشور المتوفى سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م في تونس، وطبع لأول مرة في تونس سنة ١٩٤٧م، ويعدّ العلامة ابن عاشور فقيهاً أصولياً متمرساً من الطراز الرفيع[٢].
- مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها للأستاذ علال الفاسي المتوفى سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، وطبع لأول مرة في المغرب سنة ١٩٦٣م، ويمثل الشيخ علال الفاسي شخصية زعيم ومصلح سياسي متفقه[٣].
- مقاصد الشريعة للشيخ محمد أنيس عبادة، وطبع سنة ١٩٦٨م في القاهرة.
- المقاصد العامة للشريعة الإسلامية للدكتور يوسف حامد العالم المتوفى سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، وهو تلميذ الشيخ محمد أنيس عبادة، وكتب هذا المصنف سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، لكنه لم يطبع إلا بعد وفاة المؤلف - رحمه الله - سنة ١٩٩١م، ويعدّ الشيخ يوسف حامد العالم داعية ومربياً متفقهاً[٤].

هذا فضلاً عن عديد من الدراسات والمقالات الأخرى الموضِّحة لنظرية المقاصد عند السابقين أو خدمتها، ومن أبرزها: كتاب نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي للدكتور أحمد الريسوني سنة ١٩٩٠م، ونظرية المقاصد عند الإمام محمد بن عاشور للأستاذ إسماعيل الحسني وطبع سنة ١٩٩٥م، والاجتهاد المقاصدي.. حجيته وضوابطه ومجالاته للدكتور نور الدين بن مختار الخادمي وطبع سنة ١٩٩٨م.

## المبحث الثالث: تبسيط الأسلوب وتثبيت المضمون:

استجابةً لمتطلبات العصر، سلك المؤلفون الجدد في تصنيف كتاباتهم الأصولية طرقاً تمتاز بالمحافظة إلى حد بعيد على مضامين الكتب القديمة، لكن بتقسيم جديد ولغة سهلة مناسبة. وقد حاول بعض المصنفين المعاصرين سلوك مناهج خاصة بهم في التصنيف الأصولي، فهم وإن لم يقترحوا مناهج جديدة، إلا أنهم حاولوا الجمع بين المناهج القديمة في المضمون والمناهج الحديثة في الشكل واللغة والتقسيم والترتيب، وكنموذج لهذا التوجه نأخذ الدكتور وهبة الزحيلي، صاحب كتاب «أصول الفقه الإسلامي»، فقد أبدى إعجابه بطريقة الشاطبي في الموافقات، وبسط منهجه، لكن اعتذر عن عدم التمكن من السير على هذا المنهج مراعاةً لظروف الدراسة الجامعية، إلا أنه لم يبيّن طبيعة هذه الظروف، علماً أن الجامعة من المفترض أن تكون محضناً للتجديد والابتكار، بل هذه وظيفتها الأساسية، إلا أنه وإن لم يتمكّن من سلوك طريقة الشاطبي، فقد حاول الجمع بين طريقته والطريقة التقليدية في دراسة علم الأصول، أي أنه حافظ على المحتوى الأصولي القديم وحاول الجمع والتوفيق بين بعض طرقه، مع العمل على تيسير عبارات الأصوليين والوقوف على دقائق هذا العلم[٥].

كما قام بتجريد كتابه من المسائل الكلامية، اللهم إلا بعضاً منها، مثل: مسألة التحسين والتقبيح وشكر المنعم، ومسألة تكليف المعدوم، ومسألة التكليف بالمستحيل، ومسألة تعبّد النبي بشرع قبل النبوة.. إلا أنه كان يشير إليها على أنها من مسائل الكلام وليست من أصول الفقه[٦]، بل إنه صرَّح بأنه يخرج

(١) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، تحقيق الشيخ عبد الله دراز، ١/ ٢١.
(٢) للمزيد من الاطلاع على جوانب حياته، انظر: نظرية المقاصد عند الإمام الطاهر بن عاشور، إسماعيل الحسني، ص٧٥-٩٨.
(٣) النقد الذاتي، الغلاف الأخير.
(٤) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، يوسف حامد العالم، الغلاف الأول.
(٥) أصول الفقه الإسلامي، وهبة الزحيلي، ص ٥، ٦، ١٠.
(٦) المرجع نفسه، ١/ ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٨ - ١٦٢، ٢/ ٨٣٨ - ٩٥٧.

عن أصول الفقه كثير من المسائل التي تكلم عنها المتأخرون وأدخلوها فيه، إلا أنه مع ذلك يسجل أن لها فائدة لا تنكر، وذلك أن بحث هذه المسائل في علم أصول الفقه ليس عبثاً، ولذلك فهو يقترح اعتبارها كالمدخل إلى أصول الفقه من جهة أنه إحدى مفرداته، وهي الكلام والعربية[1].

وبذلك يكون الزحيلي قد حافظ على المنهج التقليدي في أصول الفقه، مع محاولة إدخال منهج الشاطبي كلما كان ذلك ضرورياً، مع وعيه التام بضرورة توظيف أصول الفقه في معالجة القضايا الجديدة، وعلى اختلافها وتنوعها، وذلك ما ختم به كتابه، لافتاً النظر إلى أن هناك حاجة ماسّة في عصرنا لإعادة الكتابة في أصول الفقه، بحيث يجعل منه علماً حيوياً ممتد الأعصاب والجذور إلى جميع شؤون الحياة، ومفاهيم العصر، ومجالات التشريع والقضاء[2].

إن اهتمام الزحيلي إذن يتوجه إلى ضرورة الكتابة في أصول الفقه بأسلوب جديد، فيكون محل التجديد عنده هو الأسلوب أساساً، مع اعتبار المباحث الدخيلة – كلامية ولغوية – مدخلاً لأصول الفقه، ولذلك فهو يلاحظ أن قديم المكتوب في أصول الفقه وعر المسالك، متشعب الطرق، معقَّد اللفظ أحياناً، بينما يمتاز المكتوب الحديث بعباراته البسيطة، وبيانه المشرق، وأمثلته المألوفة، إلا أنه يحذّر من المبالغة في التبسيط؛ لأن ذلك قد يجانب الدقة العلمية نزولاً تحت وطأة الرغبة في تبسيط الكلام[3].

وإذا كان الزحيلي يرى أن على أصول الفقه أن يعالِج جميع شؤون الحياة ومفاهيم العصر كما سبقت الإشارة إليه، فإنه يلحّ بصفة خاصة على الجانب القانوني، حيث سمع مطالبة قوية من رجال القانون في كليات الحقوق بمصر، بالاقتصار فقط على تدريس علم أصول الفقه والتوسع فيه، وذلك راجع لكون هذا العلم قد نضجت نظرياته ولمست آثاره وفوائده في دراسة القوانين النظرية، وفي مجال التطبيق في ميدان القضاء والمحاماة[4].

كما يتطلع إلى آفاق أخرى لأصول الفقه، وذلك عن طريق ما أسماه «استخدام قواعد الشرع الكلية وأصوله القطعية أو الظنية في مجال المقارنة بين الأديان السماوية والقوانين الوضعية»، أما الهدف المتوخى من وراء هذا التطلع والأمل المعبّر عنه، فهو توسع مجال أصول الفقه من جهة أولى، ومن جهة أخرى ظهور ثمار يانعة في مجال التشريع العالمي المقارن، وحلّ المشكلات الاجتماعية والأزمات المتعلقة بالعقائد[5].

ويبقى هذ التطلع الأخير للمؤلف مجرد أمل فقط؛ لأنه لم يتطرق إليه في كتابه هذا، ولا حتى أشار إلى كيفية ومنهج القيام بهذه المهام العالية في مجال التشريع الدولي المقارن والأديان السماوية، وحل المشاكل والأزمات الاجتماعية والعقدية.

## المبحث الرابع: الدراسات الأصولية المفردة:

والمقصود بها تلك الكتب والمصنفات الأصولية التي يخصصها أصحابها لموضوع واحد من مباحث علم الأصول، حيث يتم إشباعها – بحثاً وتنقيباً – من سائر وجوهها المرتبطة بها، وقد شاعت مثل هذه الدراسات الموضوعية المفردة في سائر العلوم، وعلى رأسها العلوم الشرعية، ومنها علم أصول الفقه؛ وذلك استجابة للنزعة المنهجية التخصصية، ولا يخفى لما لهذه النزعة من إيجابيات، حيث تمكِّن الباحث من السيطرة على تخصصه، والإحاطة به، والبروز فيه، إلا أنها رغم أهميتها في الدراسة التجزيئية لمباحث أصول الفقه، فإنها لا تغني عن الدراسة الشمولية لمباحثه التي لا تقبل التجزيء باعتبار أصول الفقه منهجاً علمياً متكاملاً يقوم بوظائف التفسير والاستنباط.

ولا بأس هنا من الإشارة إلى عناوين بعض الكتب الأصولية الموضوعية أو المفردة أو التخصصية، وهي:

– الحكم الشرعي بين العقل والنقل للدكتور الصادق عبد الرحمن الغرياني.

– الحكم التكلفي في الشريعة الإسلامية للدكتور محمد البيانوني.

– الإجماع في الفقه الإسلامي، سعدي أبو جيب.

– نظرية القياس الأصولي.. منهج تجريبي إسلامي للدكتور محمد سليمان داود.

– الاجتهاد في الشريعة الإسلامية للدكتور يوسف القرضاوي.

– مباحث العلة في القياس عند الأصوليين، عبد الحكيم السعدي الهيتي العراقي.

– الواجب الموسع عند الأصوليين للدكتور عبد الكريم النملة.

(١) المرجع السابق، ١/ ٢٨.
(٢) المرجع السابق، ٢/ ١٢١٠.
(٣) المرجع السابق، ٢/ ١٢١٠.
(٤) المرجع السابق، ١/ ٢٩.
(٥) المرجع السابق، ١/ ٩.

- حجية السنة للدكتور عبد الغني عبد الخالق.
- دراسات أصولية في السنة للدكتور محمد الحفناوي.
- ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
- نظرية الضرورة الشرعية.. حدودها وضوابطها للأستاذ جميل محمد بن مبارك.
- المانع عند الأصوليين للدكتور عبد العزيز الربيعة.
- تفسير النصوص للدكتور محمد أديب صالح.
- العرف والعمل في المذهب المالكي للدكتور عمر الجيدي.
- أصول الفتوى والقضاء في الفقه المالكي للدكتور محمد رياض.
- التعارض والترجيح عند الأصوليين للدكتور محمد الحفناوي.
- نظرية التقريب والتغليب عند الأصوليين للدكتور أحمد الريسوني.

## المبحث الخامس: الاتجاهات التجديدية في علم أصول الفقه:

للعلماء المعاصرين دعوات نظرية لتجديد أصول الفقه من جهة أولى، ومن جهة أخرى هناك في المقابل مشاريع تطبيقية قدمت نموذجها في التجديد، وفيما يلي هذه المشاريع:

### المطلب الأول: مشاريع نظرية لتجديد أصول الفقه:

تختلف طريقة التجديد في مجال أصول الفقه من مؤلف إلى آخر، والمقصود بالمشاريع النظرية للتجديد تلك التي دعى أصحابها إلى تجديد أصول الفقه بشكل عام، ودون تقديم مشروع ملموس أو تحديد معالم واضحة وعملية للتجديد المقترح، ونكتفي في هذا المجال بتقديم نماذج من هذه الدعوات:

#### أولاً: مبادرة الدكتور الترابي التجديدية:

فيما يخص الدكتور حسن الترابي فقد أفرد رسالة خاصة لهذا الموضوع تحمل عنوان «تجديد أصول الفقه الإسلامي»، ومن خلال دراسة هذه الرسالة الصغيرة الحجم، والتي كانت في الأصل محاضرة ألقيت في أحد المنتديات العامة سنة ١٩٨٠م؛ يمكن استنتاج الأسس التي يرى أصحابها أن التجديد يقوم عليها، ويمكن ترتيب هذه الأسس المستنتجة واقتراح عناوين لها كما يلي:

**١ - تغليب المنحى العملي على المنحى التجريدي:**

وهو ما عبَّر عنه المؤلف بضرورة وصل علم الأصول بواقع الحياة؛ لأن قضايا الأصول في أدبنا الفقهي أصبحت تؤخذ تجريدياً حتى غدت مقولات نظرية عقيمة لا تكاد تلد فقهاً ألبتة، بل تولِّد جدلاً لا يتناهى[١]؛ وذلك كله ناتج عن انحراف علم الأصول عن مساره العملي الاستنباطي إلى درجة أنه قد غلب عليه طابع التجريد والجدل النظري العقيم[٢].

**٢ - تطوير المناهج والقواعد الأصولية:**

بحيث تكون القواعد الأصولية الجديدة متماشية مع جوانب الحياة العامة التي أصبحت الحاجة فيها للاجتهاد واسعة جداً، وهذا ما يتطلب تطويراً للقواعد الأصولية حتى تستجيب لمتطلبات الحياة العامة الجديدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية والدولية وغيرها، ومن ثم ضرورة التواضع على منهج أصولي ونظام يضبط تفكيرنا الإسلامي[٣].

**٣ - توسيع أدوات الاجتهاد:**

وخصوصاً أداتي القياس والاستصحاب، ففيما يخص القياس يرى أن القياس التقليدي لا يستوعب حاجاتنا بما غشيه من التضييق انفعالاً بمعايير المنطق الصوري، ومن ثم فلا بد من توسيع القياس، وذلك باللجوء إلى ما سماه القياس الفطري الحر من تلك الشرائط المعقدة التي وضعها له الإغريق واقتبسها الفقهاء، ويقصد بالقياس الفطري الحر الموسع ذلك القياس الذي يتتبع طائفة من النصوص ويستنبط من جملتها مقصداً معيناً من مقاصد الدين ومصلحة من مصالحه[٤].

وفيما يتعلق بالاستصحاب، فقد سماه كذلك الاستصحاب الواسع، وهو ينطلق في تأصيل ذلك من كون الدين لم ينزل بتأسيس حياة كلها جديدة، وإلغاء الحياة القائمة قبل الدين بأسرها؛ ولهذا فإن القرآن الكريم حين يتحدث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو ما كان سائداً معروفاً إلا من حيث يصححه الدين.. وهكذا يقال في القسط والخير والظلم والإحسان والإساءة، بل في نظم الأسرة والشعائر، فحسب قاعدة الاستصحاب يصبح كل ما يقوم به المؤمن من مبادرة يقصد بها وجه الله تعالى، عبادة مقبولة، وكل ما أخذ لمتاع الحياة الدنيا عفو متروك لا له ولا عليه، إلا أن يرد النص،

(١) تجديد أصول الفقه وحسن الترابي، ص ١٢.
(٢) المرجع السابق، ص ٨٧.
(٣) تطور علم أصول الفقه وتجدده، عبد السلام بلاجي، ص٢٦٢.
(٤) المرجع نفسه، ص٢٦٢.

فينفي صفة العفاء والإباحة[1]، وفي نظري يحتاج القياس الموسع والاستصحاب الواسع الذي يقصده الدكتور الترابي، إلى حدود وضوابط وتمثيل ذلك بأمثلة توضيحية تطبيقية.

### ثانياً: المنهج المقترح من طرف الدكتور محمد الدسوقي:

من المحاولات المعاصرة التي اتجهت إلى تجديد أصول الفقه، دراسة الدكتور محمد الدسوقي بعنوان: «نحو منهج جديد لدراسة علم أصول الفقه»[2]، حيث يلاحظ في بداية دراسته أن علم أصول الفقه قد غلب عليه في العهود المتأخرة الجدل اللفظي، فضلاً عن الإيجاز الذي يشبه الألغاز أو الإعجاز، ثم الخوض في قضايا لا صلة لها بعلم الأصول[3].

ثم يبدي عدم قناعته بجهود المحدثين في التأليف الأصولي، وذلك لأنها تكرار للجهود السابقة عليها بحيث لم تتجاوز نطاق الصياغة ولم تمدد إلى الآراء وتحليلها والأخذ منها والرد عليها، إلا أنه لم ينكر وجود جهود إضافية وإن اتسمت بالاحتشام، حيث اكتفت بالسعي للترجيح بين رأي وآخر، ثم يخلص إلى ضرورة تأسيس منهج أصولي جديد يرتكز على الدعائم التالية:

١ – اجتناب الاجترار والتقليد.

٢ – الفقه الدقيق بمصادر الأحكام.

٣ – الفقه الدقيق للمقاصد العامة للتشريع الإسلامي.

٤ – الربط بين قضايا علم الأصول وعلم القانون.

٥ – الربط بين قضايا الأصول ومناهج البحث.

كما حاول تلخيص أهم الخطوط العريضة للاتجاهات والكتابات الرامية إلى تجديد أصول الفقه، حاصراً إياها في القضايا التالية:

١ – إلغاء ما ليس من علم الأصول.

٢ – تدريس المقاصد الشرعية بصورة وافية.

٣ – تطوير مفاهيم بعض الأدلة.

٤ – ربط القواعد بالفروع التطبيقية ما أمكن[4].

وبذلك يكون الدكتور الدسوقي قد شمل بمشروعه التجديدي الجوانب المنهجية والموضوعية في أصول الفقه، فمقصده الأكبر توجَّه إلى ضرورة الالتفات لهموم المجتمعات المسلمة المعاصرة، حتى لا تكون المباحث الأصولية في وادٍ والواقع الذي ننظر إليه في وادٍ آخر[5].

## المطلب الثاني: مشاريع تطبيقية تجديدية لعلم أصول الفقه:

هناك عدة محاولات تجديدية تطبيقية لعلم أصول الفقه تقدَّم أصحابها بنماذج عملية، منها:

### أولاً: تحديث التصنيف:

يتمثل تحديث التصنيف فيما يلي:

١ – التصنيف الجامعي:

هناك محاولات عديدة في هذا المجال ومن بينها محاولة الدكتور محمد مصطفى شلبي الذي يقدم أسلوبه واقتراحاته في تجديد وتطوير أصول الفقه، وذلك من خلال تجربته في التصنيف الأصولي للطلبة، حيث واجهته عقبة ضعف مستوى الطلاب الجامعيين في كلية الحقوق التي كان يدرس بها علم الأصول، فوجد نفسه أمام خيارين: إما أن يكتب مذكرات دراسية تكون في مستوى طلاب الحقوق، أو أن يصنف كتاباً لا يتقيد فيه بشيء غير توضيح الأصول في ذاتها وإخراجها للناس في ثوب جديد، ثم حسم الاختيار والتوجه وقرَّر الأخذ بالخيار الثاني ووضع له منهجاً تمثل في إعادة عرض مسائل علم أصول الفقه بطريقة سهلة[6].

وتتمثل طريقة المصنف في التجديد فيما يلي:

أ – من حيث الإطار العام: إخراج أصول الفقه بطريقة حديثة وثوب جديد.

ب – من حيث اللغة والتعبير: عرض مسائله بطريقة سهلة غير معقدة.

ج – من حيث مضمونه: تجريده من المسائل النظرية المذكورة على سبيل الاستطراد.

د – من حيث الاجتهاد: إضافة مباحث المقاصد الشرعية لمراعاتها عند الاستنباط.

٢ – التدريس التطبيقي لأصول الفقه:

من بين أهم المحاولات التجديدية المعاصرة في مجال أصول الفقه، محاولة المصنف اليمني أحمد بن علي الوزير في كتابه الموسوعي: «المصفى في أصول الفقه» والذي قدم فيه

(١) مناهج التجديد والاجتهاد في الفكر الإسلامي، محمد فتحي الدريني، ص ١٩٧– ٢٣٦.

(٢) الوجيز في أصول الفقه، يوسف بن حسن الكراماستي، ص ٣٧٨.

(٣) نحو منهج جديد لدراسة علم أصول الفقه، الدكتور محمد السرقي، مجلة إسلامية المعرفة، ع٣، ص ١١١–١٤٨.

(٤) مقاصد الشريعة بين محمد الطاهر بن عاشور وعلال الفاسي، صلاح الدين الجورشي، ص ١٩٥ – ٢١٠.

(٥) الاجتهادانية منهج المناهج، علي زيعور، ص ٢٦٧–٣٢١.

(٦) الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية، عبد المجيد الصغير، ص ٤٤٦.

بديلاً كاملاً لأصول الفقه على مدى نحو تسعمائة صفحة بخط رفيع دقيق.. ففي مقدمة كتابه هذا يتساءل بقوله: «أليس من الواجب أن ندرس الأصول دراسة نافعة؟، وأن نحاول تقريبه وتقديمه للتلاميذ في صورة قريبة سهلة، خاصة بعد أن صعّبه المتأخرون وخلطوا فيه الأصيل بالدخيل وزجوا به إلى ميدان التعصب المذهبي»[١].

وعلى مدى عدة صفحات، عقد المؤلف فصلاً سماه: «الدخيل في الأصول»، ويعني به جملة من العلوم المقحمة في أصول الفقه والتي قام باستعراضها تحت عناوين فرعية، هي: المنطق، علم الكلام، علم الفقه، التدقيق الفلسفي، التخريج، مسائل الفضول لا الأصول[٢].

وبعد هذه المقدمات الطويلة، يخلص المصنِّف إلى ذكر منهجه في تصنيف مؤلفه، وذلك بقوله: «وقد ألزمت نفسي في هذا المؤلف بالتالي:

أ – أن تكون الأمثلة والنماذج والتمارين من الكتاب والسنة والقياس الصحيح والإجماع والقياس.

ب – تصفية الأصول من الدخيل الذي لا فائدة فيه للطلاب.

ج – محاولة تربية العقول على الاستقلال في البحث والاعتماد على الدليل لأي نظرية.

د – الاهتمام بالقواعد المهمة في أبحاث كاملة وإدراج القواعد البسيطة في ملحقات»[٣].

وفيما يلي وصف نموذجي للدراسة التطبيقية لأصول الفقه التي يقترحها المصنف أحمد الوزير، ويتعلق هذا النموذج بالحكم التكليفي والوضعي، وقد سلك فيه المؤلف الخطوات التالية:

أ – ضرب الأمثلة من القرآن: إيراد أربع آيات.

ب – بحث وتحليل هذه الأمثلة واستخراج أنواع الحكم التكليفي والوضعي منها، وإيضاح أقسام الحكم التكليفي الثلاثة، وهي: السبب والشرط والمانع.

ج – إثبات القواعد المرتبطة بنوعي الحكمين التكليفي والوضعي وأقسام الحكم الوضعي الثلاثة، ووضعها جميعاً داخل إطار وبخط واضح.

د – إعطاء بعض النصوص الإضافية من السنة كنماذج تطبيقية للقواعد المسجلة في الخطوة السابقة، ثم إيضاحها في جداول خاصة بكل نص.

هـ – إعطاء تمارين في الموضوع؛ وهي عبارة عن نصوص من القرآن والسنة يتكفل الطالب باستخراج أنواع الحكم التكليفي والوضعي بأقسامه بمساعدة الأستاذ.

فالملاحظ على الطريقة المقترحة، أنها طريقة تعليمية مدرسية تساعد الطالب على تلقي قواعد علم الأصول بسهولة ويسر.

### ثانياً: تحديث الاستعمال بتقنين أصول الفقه:

من بين المحاولات التجديدية المعاصرة في علم أصول الفقه، محاولة الدكتور محمد زكي عبد البر، وهو أصولي وفقيه حنفي ومحقق متمرس، ففي كتابه المسمى «تقنين أصول الفقه» يلاحظ أن الصلة بين الفقه والأصول ضعفت في عصور الانحطاط، وكاد علم الأصول يصبح نظرياً يقلّ الالتجاء إليه، وأن أيسر الوسائل لتقريب هذه المادة – أصول الفقه – تتمثل في التقنين، ويعني به تقنين أصول الفقه؛ أي تحويله إلى مجموعة بنود مقننة على شاكلة المواد القانونية، ويعتقد أن تقنين أصول الفقه ما هو إلا مقدمة نحو غاية أسمى هي تقنين الفقه، حيث إن الوسيلة المثلى في الفقه هي تقنين الفقه، ولذا فإن فائدة تقنين أصول الفقه العظيمة إذن هي ضرورة هذا التقنين – في الحدود المناسبة – المقدمة لتقنين الفقه[٤]. أما الخطوات المنهجية التي سلكها المؤلف في تقنين أصول الفقه، فقد أوضحها في مقدمة كتابه، وفيما يلي مختصر مركز لها[٥]:

أ – التقديم لكل باب وفصل بمذكرة إيضاحية.

ب – صياغة المسألة المعنية تحت عنوان: «المادة» بعبارة دقيقة جامعة لرأي العلماء، وعلى رأسهم الحنفية.

ج – إتباع كل مادة بمذكرة إيضاحية تبسط فيها الأقوال المختلفة، وخصوصاً آراء أهل الحديث.

ولنأخذ نموذجاً تطبيقياً يقربنا إلى التقنين الأصولي الذي دعا إليه المصنف؛ وذلك حتى تتضح لنا الصورة بالمثال لا بمجرد المقال، وفيما يلي نص النموذج:

المادة ٤: الحكم الشرعي لا يرد إلا على فعل معلوم للمكلف علماً تاماً مقدوراً له.

---

(١) المرجع السابق، ص٢٣٣، وانظر: المصفى في أصول الفقه، أحمد الوزير، ص ٣٢، وتطور علم أصول الفقه وتجدده، ص٢٧٠.

(٢) مقدمة تحقيق إيضاح المسالك، الونشريسي، ص ١١٩، ومقدمة تحقيق أصول الفتيا في الفقه على مذهب مالك، الخشني، ص ٢٤.

(٣) أصول التشريع الإسلامي، علي حسب الله، ص ٢٠٥ – ٣١٧ بتصرف.

(٤) مقدمة تحقيق إيضاح السالك، ص ١٢١.

(٥) شرح المجلة، سليم رستم. ١/ ١٢.

**المذكرة الإيضاحية:**

يتعلق حكم الشارع بفعل المكلف، ولذا يطلق على فعل المكلف «المحكوم فيه»، فلا يتعلق المكلف إلا بفعل، على اختلاف أنواع هذا التكليف: إيجاباً أو ندباً... إلخ.

والحكم الشرعي لا يرد إلا بفعل تتوافر فيه الشروط التالية:

١ – أن يكون هذا الفعل في مقدور المكلف أن يفعله أو لا يفعله فلا تكليف بمستحيل.

٢ – أن يكون هذا الفعل معلوماً للمكلف علماً تاماً ليستطيع القيام به على الوجه المطلوب.

## خاتمة:

لقد توصَّلت في الختام إلى النتائج التالية:

١ – إن الجهود الضخمة التي بُذلت في بعث أصول الفقه قد ركزت على ضرورة الاجتهاد ونبذ التقليد، وأسهمت في إعادة صياغة مبسطة وسهلة بأسلوب العصر لمباحث أصول الفقه، وأذعنت لواقع الاغتراب التشريعي فأدخلت ما يقتضيه ذلك من أمور قانونية في الأصول، وأبلت البلاء الحسن في إحياء التراث الأصولي القديم، وطبعه ونشره، واهتمت بالدراسات الأصولية المقاصدية وشجعتها، واستجابت لدواعي التخصص مواكبة للمعطيات المنهجية المعاصرة؛ وكل هذه الجهود كانت مقدمة لدعوى أخرى أكبر وأشمل تدعو إلى تجديد أصول الفقه حتى يتمكن من الاستجابة للمتطلبات والتحديات التي تواجهها الأمة الإسلامية في هذه العصور المتأخرة، ومسايرة ما تقتضيه حياتها من تشريعات وأحكام مستجدة تلائم الظروف الدولية والاقتصادية والسياسية الراهنة.

٢ – إن التجديد بات ضرورياً ضرورة ملحة يجب على المسلم أن ينهض به حتى يواكب تطور الحياة والتغلب على صعوبتها في إطار الموروث الثقافي الإسلامي، حيث يعد أصول الفقه ثروة منهجية قيمة أدت بالعقل إلى حل إشكالية تناهي النصوص وتوالي الوقائع.

٣ – إن تجديد الفقه والأصول والاجتهاد لا تفي به الجهود النظرية، بل هو مرتبط بقيام الأمة بالريادة والاقتحام في عالم الناس والحياة، ومن ثم يعمل النظر على مواكبة هذا الاقتحام، هذا هو عين الاجتهاد والتجديد المطلوب.

٤ – إن تجديد وتطوير أصول الفقه رهين بصفة أساسية بجهود الفقهاء والأصوليين وكل من له باع أو ارتباط بذلك، مع الإفادة من اقتراحات الغيورين على الشريعة وعلومها كمقترحات إدخال القواعد الفقهية في الأصول وإدماج المقاصد فيها.

٥– ينبغي تحرير علم أصول الفقه كغيره من العلوم الشرعية من اللغة المعقدة التي تنأى به عن اهتمام ومتناول فئات واسعة من الطلبة والمثقفين وعموم المهتمين، خصوصاً العاملين في المجال القانوني، كما ينبغي على رجال الفقه والأصول أن يخلِّصوا هذين العلمين من كثير من المصطلحات القديمة التي يستصعبها أهل العصر.

٦ – ينبغي للمتخصصين في هذا العلم العمل على إعادة بنائه وَفق منهجية جديدة تتلخص خطوطها الرئيسية فيما يلي:

· المقدمات المنهجية أو المدخل كذكر بعض المباحث الكلامية.

· القسم التفسيري كدلالات الألفاظ.

· القسم الاستنباطي والاجتهادي كالتعارض والترجيح والفتوى والاجتهاد.

٧ – من حيث وظيفة أصول الفقه في عصرنا هذا، أرى أن يضطلع إلى جانب مهامه ووظائفه المعروفة بمهام أخرى تقتضيها الظروف التي تعيشها الأمة الإسلامية؛ حتى يواكب حياتها ومتطلباتها الملحة ويجيب عنها، ومن المجالات التي نرى أن يقتحمها أصول الفقه في هذا العصر ما يلي:

· تفسير المواد القانونية، كتوظيف مباحث الدلالة على الأحكام في دراسة وتفسير المواد القانونية المعمول بها حالياً على أرض الواقع.

· توسيع وإغناء مفهوم العرف كمصدر من مصادر الفقه الإسلامي ليشمل بعض الجوانب التي أصبحت تتحكم في حياة المسلمين كالأعراف والمعاهدات والاتفاقيات والمواثيق الدولية.

· توضيح وتوسيع مفهوم ومؤسسات الإجماع ليشمل الإجماع السياسي والشعبي وإجماع الأمة وضبطها بالضوابط الشرعية.

· التركيز على تكوين المختصين في أصول الفقه والمجتهدين، وينبغي إحياء هذا التوجه وتطويره في نطاق الدراسات الإسلامية المطبقة وأقسام الدراسات العليا والمخابر الشرعية للبحث.

· اعتماد الاجتهاد الجماعي أو اجتهاد المجمعات العلمية كالمجامع الفقهية العالمية والوطنية ومراكز البحوث والمؤتمرات العلمية العالمية.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وزدنا علماً، ووفقنا لصالح الأعمال.

# خطوات الشيطان

د. إبراهيم بن محمد الحقيل

الخطوة هي ما بين القدمين، والجمع خُطاً وخُطُوات. والخَطْوة بالفتح: المرّة، والجمع خَطَوَات. وقد تنوعت عبارات السلف - رحمهم الله تعالى - في بيان خطوات الشَّيْطان؛ فقيل: آثاره، وقيل: عمله، وقيل: طرقه التي يدعوهم إليها، وقال قتادة والسدي: كل معصية لله فهي من خطوات الشيطان[1].

وقال ابن عطية - رحمه الله تعالى -: وكل ما عدا السنن والشرائع من البدع والمعاصي فهي خطوات الشيطان[2]. وقال ابن عثيمين - رحمه الله تعالى -: كل شيء حرّمه الله فهو من خطوات الشيطان، سواء كان عن استكبار، أو تكذيب، أو استهزاء، أو غير ذلك؛ لأنه يأمر به، وينادي به، ويدعو إليه[3].

ولا فرق بين أن يقال «اتبع فلان الهوى» وبين «اتبع الشهوة أو الشيطان أو الحياة الدنيا»، في أن المقصد بجميع ذلك متابعة ما يصد عن سبيل الله - عز وجل -[4].

ويلاحظ في القرآن الكريم أن الله تعالى كرر النهي عن اتباع خطوات الشيطان، ولم يقل لا تتبعوا الشيطان، ولعل ذلك لأمرين:

(١) ينظر: تفسير ابن عطية: ١/٢٣٧، وتفسير القرطبي: ٢/٢٠٨، وتفسير ابن كثير: ١/٤٧٩.

(٢) تفسير ابن عطية: ١/٢٣٧.

(٣) تفسير الفاتحة والبقرة: ٢/٢٣٤.

(٤) تفسير الراغب: ١/٣٦٥-٣٦٦.

**الأول:** من جهة العبد، فمن المستبعد أن يتبع الشيطان وهو يعلم عداوته له؛ فحذر الله تعالى العبد مما لا ينتبه إليه وهو خطوات الشيطان.

**الثاني:** من جهة الشيطان، وهو أنه يتدرج مع المؤمن في الإغواء، فيزيّن له التوسع في المباحات، ثم التساهل في المتشابهات، فغشيان محقرات الذنوب، إلى أن يصل به إلى الحرام المحض، بل إلى الكبائر والعياذ بالله.. ويبعد جداً أن عبداً مؤمناً مطيعاً لله - عز وجل - منتهياً عن محارمه؛ ينتقل فجأة إلى الموبقات وكبائر الذنوب، لكن يصل إليها بالتدرج إذا تسلط عليه الشيطان بخطواته، ووجده يسير معه فيها. وإذا عجز عن العبد من جهة المعصية؛ لمتانة دينه وبُعده عن الشهوات، أتاه من جهة البدعة والوسوسة في الطاعات.

وقد جاء ذكر خطوات الشيطان في أربعة مواضع من كتاب الله تعالى كلها بصيغة النهي عن اتباعها ﴿لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾، وهذه المواضع الأربعة حسب ترتيبها في المصحف هي:

الموضعان الأول والثالث في سياق ذكر الطعام، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]، وقال تعالى ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأنعام: ١٤٢].

الموضع الثاني في سياق الأمر بأخذ شرائع الإسلام كلها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

الموضع الرابع في سياق النهي عن الفواحش ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [النور: ٢١].

والمتأمّل للموضوعات التي تناولتها الآيات الأربع، يجد أن خطوات الشيطان للانحراف بالإنسان أظهر فيها من غيرها؛ وذلك على النحو التالي:

---

**أولاً:** أن الطعام مهم في حياة الإنسان، ويؤثر في جسده وأخلاقه تأثيراً كبيراً، وهو أكثر شيء يتكرر في حياته بعد الهواء والماء، ولا يتصور وقوع المعصية بسبب التنفس والشرب؛ لأن الهواء لا يملك أحد حبسه عن الناس؛ ولأن الماء متوفر يجري في الأرض، والمحجوز منه مبذول في الغالب، والتزود منه سهل، لكن الطعام هو المشكل الذي يحتاج إلى عمل وكد وجهد لتوفيره، وهو مظنة الوقوع في الحرام بسببه؛ ولذا كان ميداناً من ميادين الشيطان في الإجلاب على الإنسان وإغوائه بسببه.

---

**ثانياً:** أن شهوات البطن والفرج هي أكثر شيء يغزو الشيطان به بني آدم، وطريقة الشيطان في استدراج بني آدم إلى معاصي البطون والفروج هي أخذهم إليها بالتدرج خطوة خطوة حتى يصل الآدمي للمعصية الكبرى؛ ولذا حذر الله تعالى من اتباع خطوات الشيطان.

قال الرازي - رحمه الله تعالى -: قيل لمن أبيح له الأكل على الوصف المذكور احذر أن تتعداه إلى ما يدعوك إليه الشيطان، وزجر المكلف بهذا الكلام عن تخطي الحلال إلى الشبه، كما زجره عن تخطيه إلى الحرام؛ لأن الشيطان إنما يلقي إلى المرء ما يجري مجرى الشبهة فيزين بذلك ما لا يحل له، فزجر الله تعالى عن ذلك، ثم بيّن العلة في هذا التحذير، وهو كونه عدواً مبيناً، أي متظاهراً بالعداوة[1].

---

**ثالثاً:** أن شهوة ملء الجوف بالطعام تتكرر أكثر من شهوة الفرج، والمرء يصبر على ترك النكاح ما لا يصبر على فقد الطعام والشراب، فمظنة الوقوع في إثم إشباع الجوف بالمحرم أكثر من مظنة الوقوع في إثم إشباع الفرج بالحرام؛ ولذا كان التحذير في القرآن من خطوات الشيطان في شهوات ملء الجوف على الضعف منها في الفرج.

---

**رابعاً:** من الثابت شرعاً وطباً وتجربة أن نوع الأكل يؤثر في طبع الآكل وأخلاقه كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الْخُيَلاَءُ وَالْفَخْرُ في أَهْلِ الْخَيْلِ وَالإِبِلِ وَالسَّكِينَةُ في أَهْلِ الْغَنَمِ»[2]. ونسب الرازي - رحمه الله تعالى - إلى أهل العلم قولهم «فالغذاء يصير جزءاً من جوهر المغتذي فلا بدّ أن يحصل للمغتذي أخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلاً في الغذاء»[3]. وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - أن جسد المغتذي يفسد بالأغذية الخبيثة من حيث لا يشعر[4]. وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: حرم كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير؛ لأنها دواب عادية، فالاغتذاء بها يجعل في طبيعة المغتذي من العدوان ما

(١) تفسير الرازي: ٥/ ١٨٦.
(٢) أخرجه أحمد (٨٢٤٢).
(٣) تفسير الرازي: ١١/ ١٠٥.
(٤) الاقتضاء: ١/ ٥٤٤.

يضره في دينه[1]. وقال أيضاً: والسبع إنما حرم لما فيه من القوة السبعية التي تورث المغتذى بها شبهها؛ فإن الغاذي شبيه بالمغتذى[2].

**خامساً:** أن خطوات الشيطان مع الإنسان فيما يتعلق بالطعام لها مسلكان:

١- تزيين الكسب المحرم بحيث يصير ما يشترى به الطعام مالاً محرماً، وهو الأكثر شيوعاً في المسلمين؛ فإن المال يغري الناس، وقد ذكر النبي - عليه الصلاة والسلام -: «الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»[3]. وظاهر الحديث أن كسبه حرام ولو اشترى به طعاماً حلالاً بقرينة ذكر الشراب واللباس. والحقيقة أن الطعام هو أكثر ما يشتريه الإنسان من ضروراته وحاجاته، واستهلاكه له أكثر من غيره؛ ولذا كانت التجارة في الأطعمة من أعظم التجارات وأدومها.

وقد يكون الدافع للكسب المحرم خوف الفقر والجوع؛ وهذا الهاجس من الشيطان أيضاً ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨]. والملاحظ كثرة الساقطين في خطوات الشيطان فيما يتعلق بالمكاسب الخبيثة.

٢ - تزيين المحرمات من الأطعمة كالخنزير والميتة ونحوهما، وهذا أقل وقوعاً من الذي قبله؛ لأن المحرمات من الأطعمة خبائث تنفر منها الطباع السوية؛ ولأن في المباحات الطيبة الكثيرة غنى عنها، فلا يظفر الشيطان في هذا المجال إلا بالقليل من المسلمين، لا سيما من يعيشون بين ظهراني المشركين ويتأثرون بهم، أو يتثاقلون في البحث عن الطعام الطيب فيتساهلون في المشتبه ثم المحرم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: فإنما أذن للناس أن يأكلوا مما في الأرض بشرطين: أن يكون طيباً، وأن يكون حلالاً[4].

**سادساً:** أن الله تعالى ذمّ أهل الكتاب في اتباعهم خطوات الشيطان في الكسب والطعام؛ وذلك أنهم تحايلوا على إباحة المحرم، قال الله تعالى ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣]، وقال الرسول ﷺ قَالَ: «قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا أَجْمَلُوهُ، ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ»[5].

ولما كان مبنى الاقتصاد العالمي على الربا والمقامرات، وقع كثير من المسلمين في خطوات الشيطان بالتحايل على الربا الصراح، والقمار الواضح؛ ببيع العينة والتوسع في بيع التورق مع عدم استيفاء شروطه، والتساهل في تداول الأسهم والسندات والاتجار بها، وكثير منها هو أقرب إلى الربا أو القمار منه إلى البيع، فهذه من خطوات الشيطان في التحايل على الكسب المحرم، وتسميته بغير اسمه.

**سابعاً:** ليست خطوات الشيطان مقتصرة على إباحة المحرم فقط، بل تكون كذلك في تحريم الحلال من الطعام، وقد عاب الله تعالى على المشركين ذلك فقال سبحانه: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَّ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٨].

وعن مسروق قال: أتى عبد الله بن مسعود بضرع وملح، فجعل يأكل، فاعتزل رجل من القوم، فقال ابن مسعود: ناولوا صاحبكم. فقال: لا أريده. فقال: أصائم أنت؟ قال: لا. قال: فما شأنك؟ قال: حرمت أن آكل ضرعاً أبداً. فقال ابن مسعود: هذا من خطوات الشيطان، فاطعم وكفر عن يمينك[6].

**ثامناً:** أن النهي عن اتباع خطوات الشيطان معلل بعلل جاءت في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]، وفي قوله تعالى ﴿فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [النور: ٢١][7].

فصار ما يأمر به الشيطان الإنسان في الآيتين أربعة أمور:

١ - الفحشاء، وقد كرر في الآيتين. والفحشاء: كل ما استفحش ذكره، وقبح مسموعه[8].

٢ - السوء، وهو: الضر من ساءه سوءاً، وقيل: إن السوء

(١) إعلام الموقعين: ١/ ٢٩٨.
(٢) السابق: ٢/ ٩٠.
(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (١٠١٥).
(٤) مجموع الفتاوى: ٧/ ٤٥.
(٥) أخرجه من حديث جابر رضي الله عنه: البخاري (٢٢٣٦) ومسلم (١٥٨١).
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ١/ ٢٨٠.
(٧) يحتمل عود الضمير في (فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر) على الشيطان أو على من يتبع خطوات الشيطان، والمتسق مع آية سورة البقرة أن يعود للشيطان. وذكر شيخ الإسلام أن الحكم واحد؛ فإن من أتى الفحشاء والمنكر سواء، فإن كان الشيطان أمره فهو متبعه مطيعه عابد له، وإن كان الآتي هو الآمر فالآمر بالفعل أبلغ من فعله، فمن أمر بها غيره رضيها لنفسه. أهـ. مجموع الفتاوى: ١٥/ ٣٤٩.
(٨) تفسير الطبري، شاكر: ٣/ ٣٠٣.

الذي ذكره الله تعالى هو المعاصي؛ لأنها تسوء صاحبها بسوء عاقبتها له عند الله تعالى[1].

قال الراغب - رحمه الله تعالى -: السوء والفحشاء كل قبيح من نحو الزنا، والسرقة، والسُّكر... وكل ما يقال له سوء يقال له فحش لكن بنظرين مختلفين، فإنه سمي سوءاً لاغتمام العاقل به، والفحشاء بأن يستفحشه[2]. وروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: الفحشاء من المعاصي ما يجب فيه الحد، والسوء من الذنوب ما لا حد فيه[3].

٣ - المنكر، وهو المكروه المذموم المعيب، وذلك يكون في الأفعال والإنشاءات[4].

والكره لازم للإنكار؛ لأن النكر في أصل اللسان هو الجهل، ومنه تسمية غير المألوف نكرة، وأريد به هنا الباطل والفساد؛ لأنهما من المكروه في الجبلة عند انتفاء العوارض[5].

٤ - القول على الله بلا علم. وهذا يكون بالخوض في الشريعة وأحكامها بجهل كما يقع في ذلك كثير من الإعلاميين والمثقفين ونحوهم؛ فيبيحون المحرمات، ويسقطون الواجبات، وينتهكون حِمى الشريعة، ويهونون أحكامها لدى العامة بما يستحسنونه من آرائهم التي يستمدونها من ثقافات الغرب وأفكاره.

ويدخل في ذلك من تكلم في الشريعة عالماً بنصوصها وأحكامها لكنه خالفها بهواه لجاهٍ يرجوه، أو مال يطلبه، أو تقرب لذوي الجاه والمال بذلك، ووجه دخوله في القول على الله تعالى بلا علم مع أنه عالم أنه تكلم في الشريعة بطريقة تجافي طريقة العلماء فألحق بأهل الجهالة؛ ولأنه لو علم عظمة الله تعالى لما اجترأ على انتهاك شريعته، فكان جاهلاً بالله تعالى ولو حفظ دواوين الشريعة؛ فإن العلم هو الخشية ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

قال ابن عاشور: والمعنى: ومن يتبع خطوات الشيطان يفعل الفحشاء والمنكر؛ لأن الشيطان يأمر الناس بالفحشاء والمنكر، أي بفعلهما، فمن يتبع خطوات الشيطان يقع في الفحشاء والمنكر لأنه من أفراد العموم[6].

---

**تاسعاً:** أن من اتبع خطوات الشيطان في الترخيص على الناس وإرضائهم؛ فإنه سينتهي به المطاف إلى إباحة المحرمات، وإسقاط الواجبات؛ وذلك أن الله تعالى لما أمر بالدخول في الإسلام كافة، وأخذ الشرائع كلها؛ نهى عن اتباع خطوات الشيطان؛ لأن الشيطان يريد صد الناس عن الأخذ بالشرائع كلها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]. قال ابن عثيمين - رحمه الله تعالى -: نهي بعد أمر؛ لأن اتباع خطوات الشيطان يخالف الدخول في السلم كافة[7]. وأظن أن من خطوات الشيطان ما نسمعه من دعاوى فتح الذرائع، مع أن أكثرها ذرائع إلى محرمات؛ ففتح أبواب عمل المرأة، والنوادي النسوية الرياضية، وتشريع اختلاطها بالرجال، وسفرها بلا محرم، وتخففها من الحجاب... إلخ؛ كل ما سبق ذرائع إلى الفواحش والمنكرات التي يأمر بها الشيطان، والله تعالى قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [النور: ٢١].

---

**عاشراً:** يلاحظ تذييل ثلاث آيات من آيات النهي عن اتباع خطوات الشيطان الأربع ببيان عداوته، وتأكيدها بمؤكدات ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]، ومعنى المبين: الظاهر العداوة من أبان الذي هو بمعنى بان وليس من أبان الذي همزته للتعدية بمعنى أظهر؛ لأن الشيطان لا يظهر لنا العداوة، بل يلبس لنا وسوسته في لباس النصيحة أو جلب الملائم، ولذلك سماه الله ولياً فقال: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩]، إلا أن الله فضحه فلم يبقَ مسلم تروج عليه تلبيساته حتى في حال اتباعه خطواته، فهو يعلم أنها وساوسه المضرة، إلا أنه تغلبه شهوته وضعف عزيمته ورقة ديانته[8].

والشيطان في تحقيق عداوته للإنسان، وفي سبيل غزوه إياه بخطواته؛ يسلك كل طريق للإغواء، ويأتي الإنسان من جهاته الأربع ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦ - ١٧]؛ ولذا كان واجباً على الإنسان أن يجعل الشيطان عدواً له؛ فلا يتبع خطواته، ولا يستسلم لوساوسه؛ لئلا يقوده إلى المحرمات ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

---

(١) تفسير الطبري: ٣/ ٣٠٣، والتحرير والتنوير: ٢/ ١٠٥.
(٢) تفسير الراغب الأصفهاني: ١/ ٣٦٦.
(٣) تفسير البغوي: ١/ ١٩٨.
(٤) جامع المسائل لابن تيمية، ت: عزير شمس: ١/ ٣٨٧.
(٥) التحرير والتنوير: ٤/ ٤٠.
(٦) التحرير والتنوير: ١٨/ ١٨٧.
(٧) تفسير العثيمين، الفاتحة والبقرة: ٣/ ٦.
(٨) التحرير والتنوير: ٢/ ١٠٤.

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾

# تحكيم الشريعة.. معركة عقيدة

د. عبد العزيز كامل
d.amk@hotmail.com

أثارت الثورات العربية جولة جديدة من (حرب الأفكار) كان موضوعها الأساس – ولا يزال – تحكيم الشريعة، حيث استعرت تلك الحرب سياسياً وثقافياً وإعلامياً، وبخاصة في مصر، والمتوقع أن تلك الحرب الفكرية ستكون لها تداعيات صدامية بين الإسلاميين والعلمانيين قد تبدو ذات أبعاد بعيدة عن (معركة الشريعة)، لكنها في الحقيقة تؤول إليها وتتفرع عنها.

الإشكال الكبير هو أن جماهير غفيرة من الشعوب كانت ولا تزال مغيَّبة عن حقيقة هذه المعركة، دون أن تعرف أنها معركة عقيدة وهوية ضمن «صراع الثقافات» الذي سيدشن به (صراع الحضارات) في جزئه الخاص بالأمة الإسلامية، حيث إن جوهر المنازلة بين المسلمين والغرب محوره الشريعة وما تتأسس عليه من عقيدة.

إن جمهوراً كبيراً من المنتسبين للأمة انحازوا عن غفلة أو جهل إلى المعسكر المعادي للإسلام والشريعة – كما تظهر ذلك نتائج الانتخابات؛ لذلك فإن حرب الأفكار ستطول، وسيحتاج أهل الإيمان فيها إلى سلاح ماضٍ، وليس هناك سلاح أمضى من القرآن في مواجهة أعداء الشريعة كما قال الله تعالى: ﴿ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٢].

وإذا كان دفع اعتداء أعداء الشريعة بالقرآن ضرورياً على المدى القريب، من أجل كشفهم وتعريتهم وإظهار حقيقة أمرهم؛ فإن الأهم هو استعادة مكانة الشريعة في قلوب وعقول الملايين المضللة لإظهار خطر الخروج عليها وعدم التحاكم إليها، خاصة أن هناك أجيالاً نشأت في ظل عصور ضمور قضية الشريعة، حيث لم تسمع عنها إلا قليلاً، مع كونها تحب الإسلام، لكنها مع ذلك تنحاز إلى صفوف أعداء الشريعة من المنافقين والمرتدين، كما دلت على ذلك تطورات الثورات.

إنها دعوة إلى تكثيف الجهد الدعوي وتوجيهه نحو إحياء قضية الشريعة في وجدان قطاع ليس باليسير من كيان الأمة لا يزال يظن أن إسلامه بخير، مع وقوفه في خندق أعداء الشريعة الظاهرين والمتسترين.

والآية التي نحن بصدد الحديث عنها، وهي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ١٨]، هذه الآية – مع مثيلات لها – تحدد مفاهيم مهمة لا يسع الساعون إلى تحكيم الشريعة اليوم

والداعون إليها أن يجهلوها أو يتجاهلوها أو يهملوا في إيصالها؛ فتلك المفاهيم هي من صلب أصول الإيمان، والعمل على استذكارها واستحضارها واستصحاب معانيها ثم نشرها؛ من مهمات الاشتغال بالسياسة والدعوة معاً في تلك المرحلة التأسيسية التغييرية المهمة من مسيرة الأمة.

وقد مهد النظم القرآني – قبل الآية المعنون بها – للأمر باتباع الشريعة ونبذ ما يخالفها بحكاية ما سبق أن جرى من بني إسرائيل ثم ما جرى عليهم من جراء عدم الثبات على التحاكم إلى شريعتهم، فقال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الجاثية: ١٦ – ١٧]، ومعنى الآية – كما يستخلص من تفسير ابن عاشور لها – أن بني إسرائيل قد أنعم الله عليهم بكتاب فيه شريعة تصلح دينهم ودنياهم، ومكّنهم من حكم أنفسهم، ووسّع عليهم من الأرزاق بما يغنيهم عن الاحتياج لغيرهم، وجعلهم بكل ما سبق أفضل العالمين في زمانهم، وضمن لهم مع كل ذلك الحفاظ على شأنهم من خلال منهاج حق يشتمل على البراهين والدلائل التي حملها علماؤهم، لكنهم مع كل هذا دبَّ الخلاف بينهم، رغم وجود العلم والعلماء فيهم، فكان اختلافهم عن مكابرة وعناد، لا عن جهل أو تأويل، فهو اختلاف تحاسد وتجاحد ظهرت آثاره في رفض بعضهم الحق الذي عليه البعض الآخر. وهذه الآية تحكي أحوال مجتمعات كثيرة قديمة ومعاصرة انتسبت لهذه الأمة لكنها اتبعت سنن السابقين من الأمم حذو القذة بالقذة، قال ابن كثير في تفسيرها: «وهذا فيه تحذير لهذه الأمة أن تسلك مسلكهم وأن تقصد نهجهم».

لقد جاء الأمر الإلهي المحتم بعد ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم – والمقصود أمته – بأن تكون هذه الشريعة هي وحدها المرجع المتبع، والمصدر المتخذ، فقال سبحانه:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾

وهذه العبارة على وجازتها، تحوي معاني عميقة سنقف مع المفسرين في أبرزها وأوجزها:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ﴾ ثم.. للتراخي، وباستعمال ضمير العظمة للإشارة إلى أن ما أوتيه محمد ﷺ من الشريعة أفضل مما أوتيه موسى عليه السلام، صاحب أكبر شريعة قبل الإسلام؛ فالجاعل هنا هو الله العظيم الذي أودع في شريعة من عظمته وحكمته وآثار أسمائه الحسنى كلها – سبحانه – ما لا يخفى إلا على مكفوفي البصيرة، فالمعنى: جعلناك على شريعة عظيمة جديرة بالتعظيم والاتباع، والتعبير بـ (على) للاستعلاء المجازي، أي: مكّناك منها وبها، وفقهناك فيها، وثبتناك عليها.

والشريعة في هذا السياق ؛ جاءت بالمعنى العام المرادف للدين والملة المتبعة، فهي – كما قال القرطبي –: «ما شرع الله لعباده من الدين». والدين – كما في حديث جبريل – يشمل الإيمان والإسلام والإحسان، وهذه الثلاثة تشمل العقائد والأحكام والسلوك، ولذلك قال (فاتبعها) أي: فالتزم بما فيها من معاني ملة الإسلام ومبانيها.

وهذا المعنى أيضاً هو المفهوم من اللغة، فالشريعة من (الشرع)، وهو لغة: الطريق الممهد للسير، والموصل للغرض، ولذلك يسمى الطريق شارعاً؛ لأنه يوصل إلى المراد بيسر، والشريعة كذلك توصل بيسر إلى الحق – كما قال قتادة –، وكذلك يسمى الماء الجاري الذي يرده الناس (شريعة)، وقد قال الراغب الأصفهاني في (مفردات القرآن)، في مادة (شرع): «استعير اسم الشريعة للطريقة الإلهية، تشبيهاً بشريعة الماء، ووجه الشبه ما في الماء من المنافع وهي الري والتطهير». فكذلك الشريعة يَرِد منها الناس رحمات ربهم فتتطهر قلوبهم وتنعم معيشتهم وتتقدس نفوسهم بكلماته ووحيه المنزّل، ولذلك وصفت بأنها (شريعة من الأمر)، يعني الوحي، فهي تستند إلى الدلائل والحجج الإلهية بخلاف الشرائع الأرضية المستندة إلى الأهواء والمحدثات البشرية.

ثم قال تعالى:

﴿ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾

والخطاب للرسول ﷺ بالدوام والثبات على اتباع الشريعة، فلا يتصور منه إلا اتباعها، والتكليف من بعده لأمته بأن تنزل على هديها وتلتزم أحكامها، ثم جاء الخطاب له ﷺ – والمراد أمته – بالنهي عن اتباع غيرها، لأن اتباع نهج ما؛ يجعله ديناً عند متبعه، ولذلك كان الهوى ديناً يتبع، بل إلهاً يُعبد، كما قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ [ الجاثية: ٢٣ ].

ومن خلال استقراء الآيات المشابهة والمفسِّرة لهذه الآية المتعلقة بالأمر الإلهي بالتحاكم إلى الشريعة والحكم بها لإقامة الدين؛ نستطيع استخراج محكمات اعتقادية مهمة لا يسع الحكام أو المحكومون الجهل بها أو الإعراض عنها، ولا يليق بالمنافحين عن الشريعة؛ بل لا يحل لهم الاستخفاء بها أو الاستخزاء منها أو الاستخفاف بأثرها في قمع المجادل وتبصير الجاهل. ومن أبرز هذه الأحكام الاعتقادية:

## * التحاكم إلى الشريعة.. تحقيق للتوحيد وإذعان للعبودية

قال تعالى ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً ﴾ [ الأنعام: ١١٤ ]، فمن يعدل عن الشريعة إلى غيرها، يعدل بالله غيره، قال الطبري في تفسيرها: «قل يا محمد لمن يعدل بالله غيره: ليس لي أن أتعدى حكمه وأتجاوزه لأنه لا حكم أعدل منه، ولا قائل أصدق منه، وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً، يعني بيّناً فيه الحكم الذي تختصمون فيه»، فلا عبودية تتحقق لمن لم يتحاكم بقلبه لحكم الله ويسلم له، قال ابن القيم – رحمه الله – في معنى العبودية: «أن يشهد العبد انفراد الرب تبارك وتعالى بالخلق والحكم، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، وأن الخلق مقهورون تحت قبضته»[١].

## * لا رسوخ في الإسلام إلا بتسليم.. ولا تسليم إلا بالتحاكم إلى الشريعة

قال تعالى ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [ النساء: ٦٥ ]، قال ابن كثير: «يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكِّم الرسول في جميع الأمور، فما حكم به هو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً».. وهذه هي حقيقة معنى الإسلام. قال صاحب متن الطحاوية: «ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام». وقال شارحها: «ولا شك أن من لم يسلم للرسول نقص توحيده، فإنه يقول برأيه وهواه ويقلد ذا رأي وهوى بغير هدى، فينقص توحيده بقدر خروجه عما جاء به الرسول، فإنه قد اتخذ في ذلك إلهاً غير الله»[٢]. ومن لم يرضَ بالشريعة، لم يرضَ بدين الإسلام ولم يذق طعم الإيمان، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً)[٣]، يقول ابن القيم عن هذا الرضا: «وأما الرضا بدين الله فإذا قال أو حكم أو نهى رضي كل الرضا ولم يبق في قلبه حرج من حكمه وسلّم له تسليماً، ولو كان مخالفاً لمراد نفسه أو هواها أو قول مقلده وشيخه وطائفته»[٤].

## * الشريعة تقام في القلوب قبل أن تقام على الأرض

ذلك لأن إقامة أحكام الله في الأرض فرع عن استقامة القلب لله وتسليمه لحكمه، وهذا هو الفرق بين (الحكم) التنفيذي و(التحاكم) القلبي، فقد تطبق بعض أحكام الشريعة عن غير إيمان بها لغرض أو مصلحة ظاهرة، أو لجلب مدح أو دفع مذمة؛ وقد يسقط إثم الحكم ببعض الشريعة – في حال الإيمان القلبي بها – مع العجز عنها أو الجهل بها أو الإكراه على مخالفتها. لكن التحاكم القلبي إليها لا يسقط بأي

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٤١٠).

(٢) شرح الطحاوية بتحقيق أحمد شاكر ص ١٥١.

(٣) أخرجه مسلم برقم ٥٦.

(٤) مدارج السالكين (٢/ ١١٨).

حال؛ لأن هذا هو جوهر (الإســـلام) ومقتضى (الإيمان)، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]، وحكم الطاغوت هـــو – كما قال الطبري – «كل ذي طغيان على الله، فعُبد من دونه، إما بقهر لمن عبده، وإما بطاعة له ممن عبده، إنســـاناً كان ذلـــك المعبود أو شـــيطاناً أو وثناً أو صنمـــاً أو كائناً من كان من شيء». وقال الســـعدي في تفسير الآية: «إن الإيمان يقتضي الانقياد لشـــرع الله وتحكيمه في كل أمر من الأمور، فمن زعم أنه مؤمن واختار حكم الطاغوت على حكم الله فهو كاذب في ذلك الزعم».

### ❊ لا تحاكم إلا لوحي أو ما أصله الوحي

فمصادر التشـــريع الواجب الحكم بها بعد التحاكم إليها؛ هي كتاب محكم أو ســـنة صحيحـــة، أو ما يؤخذ منهما ويرد إليهمـــا من إجماع أو قيـــاس. والحكم (بما أنزل الله) لا يراد به إلا ذلك، فمن لوازم الشـــهادتين النزول على ما أوحاه الله في كتابه وعلى لســـان رســـوله ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُـــولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١]، قال الشـــافعي – رحمه الله –: «فأعلمَ اللهُ الناس في هذه الآية أن دعاءهم إلى رسول الله ليحكـــم بينهم، دعاء إلى حكم الله؛ لأن الحاكم بينهم رســـول الله، وإذا سلموا لحكم رسول الله فإنما سلموا لحكمه بفرض من الله، وأنه أعلمهم أن حكمه حكمه»[1].

### ❊ التحاكم لغير الشريعة وقوع في الشرك الأكبر

وذلك إن كان عن علم وقصد، فقد قســـم علماء العقيدة وأصول الدين الشرك إلى ثلاثة أنواع:

- الأول: شرك في العبادة والتألّه.
- الثاني: شرك في الإيمان والقبول.
- الثالث: شرك في الطاعة والانقياد[2].

(١) الرسالة للإمام الشافعي ص ٨٤.
(٢) فتاوى ابن تيمية (١/ ٩٧).

والنوع الأخير هو النوع المشار إليه في قوله تعالى: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]، فهي نفي للشريك. وفي قراءة (ولا تشرك في حكمه أحداً) وهي نهي عن الشـــريك. فالآية – كما بين ابن كثير في تفسيرها – تنزّه الله تعالى عن اتخاذ شريك في الحكم – على اختلاف القراءتين –.

### ❊ التوحيد يتحقق بالإقرار بتفرد الله بالحكم شرعاً وقدراً

فكمـــا تفرد الله بالأحـــكام القدرية الكونيـــة، فقد تفرد بالحكم الشرعي فيما يحل وما يحرم، قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّـــهِ أَمَـــرَ أَلاَّ تَعْبُـــدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [يوســـف: ٤٠]، فهذه الكلمة التي جاءت على لســـان يوسف عليه الســـلام تماثل وتساوي في مضمونها كلمة التوحيد، فهي تثبت الحكم القدري من التدبير والمشـــيئة والملك كله لله وحده، ثم تحض على الطاعة الكاملة له، قال ابن عاشـــور في تفسيرها: «جملة ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّه﴾ إبطال لجميع التصرفـــات المزعومة لآلهتهم بأنها لا حكم لها فيما زعموا أنه من حكمها وتصرفها، وجملة ﴿أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ انتقال من أدلـــة إثبات انفراد الله بالإلهية والوحدانية، إلى التعليم بامتثال أمره ونهيه؛ لأن ذلك نتيجة لإثبات الإلهية والوحدانية له، فهي بيان لجملة ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾ من حيث ما فيهـــا من معنى الحكم، وجملة ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ خلاصة لما تقدم من الاستدلال».

### ❊ التكليف بالحكم بالشريعة والتحاكم إليها ليس خاصاً بالحكام

فهذا واجـــب الرعاة والرعيـــة معاً؛ فخطـــاب التكليف بالشـــريعة حكماً وتحاكماً فرض على كل مكلف بحســـبه، إذ إن كلاً منهم اســـترعاه الله رعيه، كمـــا قال النبي ﷺ: (كلكم راعٍ وكلكم مســـؤول عن رعيته)[3] [4]، فكل من اســـترعاه الله رعية فهو مأمور بأن يحكم فيها بما أنزل الله على حســـب ما

(٣) تفسير القرطبي للآية.
(٤) أخرجه مسلم (١٨٢٧).

أمره الله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، قال القرطبي في تفسير هذه الآية: «هذا خطاب للولاة والأمراء والحكام، ويدخل في ذلك المعنى جميع الخلق»، وذكر الحديث السابق، ثم قال: « فجعل في هذه الأحاديث جميع هؤلاء رعاة وحكاماً على مراتبهم، وكذلك العالم حاكم إذا أفتى حكم وقضى وفصل بين الحلال والحرام والفرض والندب والصحة والفساد، فجميع ذلك أمانة تؤدى، وحكم يقضى».

### * وجوب الحكم بالشريعة ليس من مسائل الخلاف

فالادعاء بأن هناك اختلافاً بين أهل العلم في ترك الحكم بما أنزل الله، وهل هذا الترك كفر أكبر أم أصغر؛ هو ادعاء كاذب، بل الصحيح أن في الأمر تفصيلاً، فإن الحاكم إذا كان تحاكمه للشريعة في الأصل، لكنه خالف في بعض مسائلها عن هوى ونحوه دون جحود أو استحلال؛ فهذا الذي يقال إن كفره كفر أصغر – كما نُسب ذلك إلى ابن عباس رضي الله عنهما – أما إذا جحد بها أو استحل الحكم بغيرها أو بدَّلها بشريعة أخرى وضعية أو منسوخة؛ فإن كفره هو الكفر الأكبر. قال ابن القيم بعد أن نقل أقوال العلماء وآراءهم في معنى قوله تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] «والصحيح أن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكفر الأصغر والأكبر، بحسب حال الحاكم، فإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة وعدل عنه عصياناً مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة؛ فهو كفر أصغر، وإن اعتقد أنه غير واجب وأنه مخيّر فيه مع تيقنه أنه حكم الله؛ فهذا كفر أكبر. وإن جهله أو أخطأه فهو مخطئ وله حكم المخطئين»[1].

### * التبديل العام لحكم الشريعة لا يكون إلا جحوداً

وحقيقة التبديل – كما في مختار الصحاح (مادة بدل) – هي: تغيير الشيء وإن لم يأت ببدله. فمجرد تغييب الشريعة يُعد تبديلاً لها، فما الحال بوضع غيرها محلها؟ والتبديل الكامل للشريعة لا يتصور أن يحدث من مؤمن بها مسلم بكونها حقاً، قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]، قال ابن كثير في معرض كلامه عن إحلال التتار شريعة جنكيزخان المعروفة بـ (الياسق) محل شريعة الإسلام: «ومن ترك الشرع المنزل على خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة؛ كَفَر، فكيف بمن تحاكم إلى الياسق وقدمها عليه؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين»[2]. وقال ابن تيمية: الإنسان متى حلَّل الحرام المجمع عليه أو حرَّم الحلال المجمع عليه أو بدَّل الشرع المجمع عليه؛ كان كافراً مرتداً باتفاق الفقهاء»[3].

### * التحاكم إلى غير الشريعة من النفاق الأكبر

وذلك إن كان عن علم وقصد، وبه يخرج المرء عن الملة، قال تعالى عن المنافقين ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [النور: ٤٧ – ٥٠]، قال ابن تيمية «من النفاق ما هو أكبر، يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار، كنفاق عبد الله بن أبي وغيره، بأن يُظهر تكذيب الرسول أو جحود بعض ما جاء به، أو بغضه، أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه، أو المسرَّة بانخفاض دينه، أو المساءة بظهور دينه، ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه إلا عدواً لله ورسوله»[4].

وما أكثر هؤلاء في أيامنا هذه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) مدارج السالكين ١/ ٣٣٧.

(٢) البداية والنهاية ١٣/ ٢٢٨.
(٣) الفتاوى ٣/ ٢٦٧.
(٤) الفتاوى ٢٨/ ٤٣٤.

صدر حديثاً

مجلة البيان

# موسوعة أحاديث الشمائل النبوية الشريفة

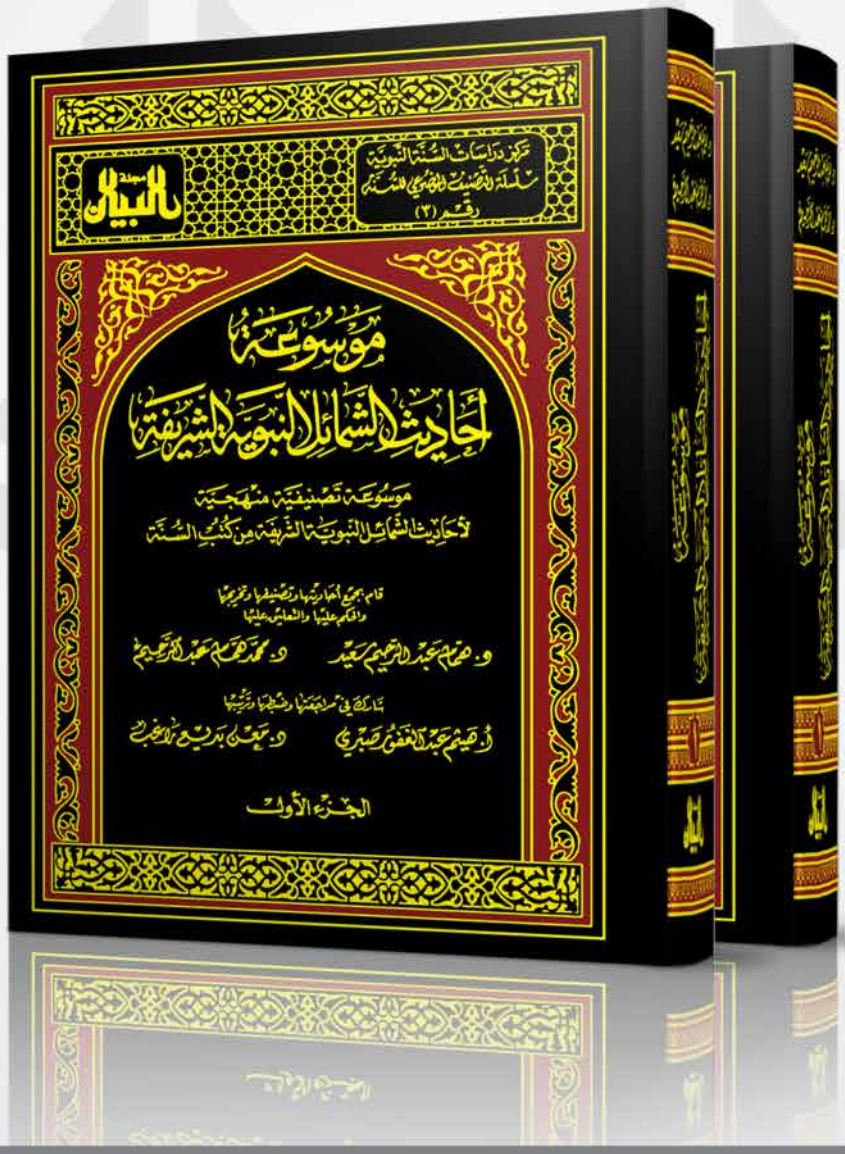


الرياض: ـ هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس: ٤٥٣٢١٢١

التوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ ـ ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ ـ ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ ـ ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥

مكة والمدينة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨

المنطقة الشرقية: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقة القصيم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

# الطائفية في ميزان الإسلام

عبد العزيز الناصر

من رحمة الله عز وجل أن حذر عباده المؤمنين من الفتن قبل وقوعها وبيَّن لهم العاصم منها، ألا هو كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال رسول الله ﷺ: (تركت فيكم أمرين لن تضلوا إن تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله)[١]، كما حذر من الفتن في قوله سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، كما حذر نبيه ﷺ من الفتن في أحاديث كثيرة، منها قوله ﷺ: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء وأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء...) الحديث[٢].

وقال ﷺ: (إن السعيد لمن جنب الفتن). وإن المتأمل في عصرنا الحاضر ليرى دون أدنى جهد ما يموج فيه من الفتن والبلايا التي تموج كموج البحر بعضها يرقق بعضاً كما قال ﷺ: (.. وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها. وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضاً وتجيء فتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي... الحديث)[٣].

ولا تخرج هذه الفتن عن فتنة الشبهات والشهوات. ولو أردنا أن نبحث عن أبرز فتن الشبهات التي تميز بها واقعنا المعاصر؛ لوجدناها متمثلة في (فتنة التلبيس والتضليل والخداع)، حيث أصبحت هذه الفتنة سمة بارزة في زماننا اليوم، لا سيما بعد هذه الثورة الإعلامية والتقنية التي تدخل بغير استئذان إلى بيوت الناس وعقولهم وأفكارهم ومن ورائها ﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، ولو شاء الله عز وجل ما فعلوه، لكنها سنة الابتلاء والمدافعة، فسبحان الله وبحمده على علمه وحكمته وعزته ورحمته.

وإن من صور التلبيس والتضليل اليوم ما يحصل من التلاعب بالمصطلحات ووضعها في غير موضعها واستخدام ذلك في تحسين القبيح وتقبيح الحسن. ومع ما في المصطلحات

(١) أخرجه مالك وحسنه الألباني.
(٢) أخرجه مسلم.
(٣) أخرجه مسلم.

من فائدة كبيرة في كونها وسائل للتفاهم بأقصر طريق وأوضح دلالة وأقل مجهود ما دامت لا تتعارض مع الكتاب والسنة ولا مع العقل والفطرة؛ إلا أن قوماً تلاعبوا بها ووظفوها في التلبيس على الناس وإضلالهم؛ فشوّهوا بها الحق وزينوا بها الباطل.

والمصطلحات من أشد العناصر الثقافية أثراً وفتكاً في ثقافات الأمم، ومع أن المصطلح لا يتجاوز كلمة أو كلمتين أو ثلاث ولا يتعدى ذلك إلا نادراً، إلا أن هذه الكلمة بمدلولها الذي يرمي المتكلم بها لها أثر في تفريغ العقول والقلوب وملئها. ولها مفعول السحر الذي يستعصي فهمه على منطق العقل.

وإن من المصطلحات التي يتلاعب بها اليوم، لا سيما في هذه السنوات الأخيرة، ويلبس على الناس بها لتهدم عقيدة الولاء والبراء في قلوب المسلمين ولتقصى شريعة الله عز وجل عن الحكم؛ ما يسمى (فتنة الطائفية)، أو الحروب الأهلية، ويطرق عليها بكثافة وأساليب متنوعة، لا سيما عند الرافضة والعلمانيين وسادتهم من الغرب الكافر؛ وذلك لتحقيق مآربهم في القضاء على أهل السنة وعقيدتهم وإقصاء شريعة الله عز وجل، حتى باتت بهذا الطرح المكثف مكروهة ومنبوذة عند أكثر الناس دون إدراك لمغزى مشيعيها. وإبراء للذمة ونصحاً للأمة أذكر فيما يلي ما أحسبه الفهم الصحيح لـ (الطائفية) ومتى تكون مقبولة ومتى تكون مرفوضة، مستضيئاً في ذلك بالميزان الشرعي والمستمد من الكتاب والسنة الذي هدانا الله عز وجل إليه، لا من موازين البشر الجاهلية المعوجة الضالة المضلة.

## المعنى اللغوي للطائفية:

قال الراغب في المفردات: (والطائفة من الناس جماعة منهم، ومن الشيء القطعة منه، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢]. وقال بعضهم: قد يقع ذلك على الواحد فصاعداً وهو مروي عن ابن عباس) أ. هـ، والطائفي نسبة إلى الطائفة.

## كشف التلبيس في كلمة (الطائفية) اليوم:

إن لفظ الطائفة ورد في كتاب الله عز وجل وفي السنة الصحيحة، وذلك في مواطن كثيرة، والذي يهمنا من ذلك: المعنيين الكبيرين لمفهوم الطائفة الوارد ذكرها في الكتاب والسنة.

## المعنى الأول:

إن الله عز وجل أطلق على المؤمنين اسم الطائفة كما أطلق في مقابلها اسم الطائفة على الكافرين أو المنافقين، وذلك في قوله تعالى عمن آمن من قوم شعيب عليه السلام ومن كفر منهم ﴿وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧]، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ﴾ [الصف: ١٤]، فسمى المؤمنين طائفة ويقابلهم طائفة الكفار الذين لم يؤمنوا. وقال الله عز وجل عن طائفة المؤمنين وما يقابلهم من طائفة المنافقين وذلك في سياق غزوة أحد: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ...﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وليس بين هاتين الطائفتين التقاء ولا ولاء ولا محبة ولا نصرة، بل المتعين على طائفة المؤمنين البراءة من طوائف الكفر والنفاق وبذل البغض والعداوة لهم وجهادهم بالبيان والسنان كلٌّ بحسبه حتى يكون الدين كله لله وحده. فطائفة المؤمنين في شق وطائفة الكفار والمنافقين في شق آخر. ولا يجوز للمسلم أن يستحيي من استخدام هذا المصطلح (الطائفية)، بل عليه أن يغتبط ويعتز بأنه من طائفة المؤمنين وأنه مفاصل ومتبرئ من طوائف الكفر والنفاق، وإذا وجدت القدرة على جهادهم وجب ذلك ولم يلتفت إلى شبهات المشبهين والمضللين الذين يرفعون في وجوه الدعاة والمجاهدين سيف الطائفية ويصفون الدعوة للإسلام والسنة والجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام لإعلاء كلمة الله؛ بأنها طائفية أو حرب أهلية. نعم نقولها بكل عزة ولا تردد ولا استحياء: إنها طائفية كونها بين طائفة الحق وطائفة البطل، بل بين حزبين حزب الرحمن وحزب الشيطان.

إن الذين يتذرّعون برفض الطائفية مطلقاً باسم الوحدة الوطنية أو القومية أو الإنسانية، يريدون

التوصل بذلك إلى ما يسمونه التسامح ورفض عقيدة الولاء والبراء وشريعة الجهاد وتقديس الوطن وجعل أبناء الوطن الواحد أو الإقليم الواحد إخواناً ولو كان منهم اليهود والنصارى والمشركون والروافض الباطنيون والمنافقون. ويصفون الحروب التي تنشأ بين المؤمنين والكفار في بلد أو إقليم واحد بأنها فتنة طائفية وحروب أهلية.أما إنها طائفية فحق ونعتز بذلك، وأما أنها أهلية فلا لأن الكفار ليسوا من أهلها. وقد تأثر بهذه الشبهات بعض أبناء المسلمين فراحوا يدافعون عن أنفسهم وينفون أن يكونوا طائفيين وما علموا أن حربنا مع الكفار والمنافقين جهادية طائفية وليست حروباً أهلية؛ لأن الحروب الأهلية هي ما يحصل بين طوائف المؤمنين كما سيتبيّن في الفقرة القادمة إن شاء الله تعالى، أما الحروب التي تكون بين المؤمنين والكفار فإنها ليست أهلية بل جهادية؛ لأن الكفار ليسوا أهلنا ولا من فئتنا، قال الله عز وجل لنوح عليه السلام في ابنه من صلبه بعد أن أغرقه الله مع الكافرين ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٦]، فالكافر والمنافق والزنديق ليس من أهل المؤمنين ولو كانوا أقرب الأقربين. هذا هو كلام الله عز وجل وهذا هو شرعه، لكن المنافقين لا يعلمون أو يعلمون لكنهم بهت ملبسون مضللون. ومن العجيب أن الذين ينددون بالطائفية من الرافضة أو العلمانيين هم طائفيون إلى العظم، فلماذا حلال لهم وحرام على طائفة الحق؟

## المعنى الثاني:

ورد ذكر الطائفة أيضاً في القرآن، ويراد منها طوائف المؤمنين حسب مهماتهم أو أوصافهم، لكنهم كلهم يشملهم وصف الإيمان كما في قوله عز وجل: ﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ...﴾ [النساء: ١٠٢]، ومن ذلك قوله ﷺ: (لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون)[1].

وكل طوائف المسلمين يجب بذل الولاء والنصرة لهم كل بحسبه، فكل مسلم من أهل القبلة يجب بذل الولاء العام له ولا ينتفي عنه مطلق الولاء إلا بخروجه عن الإسلام، لكن الولاء يكون بحسب ما يكون عليه المسلم؛ فإذا كمَّل صفات المسلمين والمؤمنين والتزم بعقيدة أهل السنة والجماعة، فله بذلك الولاء المطلق، وإن أخلَّ بشيء من ذلك، كما هو الحال في طوائف البدع غير المكفرة، فله مطلق الولاء يوالى بما فيه من الخير والاتباع ويتبرأ مما يتلبس به من الفسق والبدعة، ولا يتبرأ منه من جميع الوجوه إلا إذا خرج عن ملة الإسلام.

وإذا كان الولاء العام يبذل لكل طوائف المسلمين، فإن القتال بينهم والحالة هذه محرم؛ لأنه قتال فتنة. ويمكن أن توصف مثل هذه الحروب التي تحصل بين المسلمين بأنها أهلية يجب اجتنابها والسعي إلى إخمادها، إلا في حالة قتال الصائلين كالبغاة والمحاربين، فهذا مشروع ولو كانوا مسلمين.

هذا ما يسر الله عز وجل من كتابته حول هذا الموضوع، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) البخاري: ٣٦٤٠.

# علاج آفة الغلو

د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف(*)
www.alabdulltif.net
@dralabdullatif

## كيف تعامل ابن تيمية مع «العدويّة»؟

ليس الحديث في هذه السطور عن موقف ابن تيمية من غلاة الشيعة والصوفية وأشباههم؛ فإن ابن تيمية حذّر من هؤلاء، وجاهدهم جهاداً كبيراً، وكشف عن حقيقتهم، وبيَّن زندقتهم - كما هو مبسوط في موضعه -؛ وإنما الحديث عن طائفة «العدوية» التي تنتسب إلى أهل السنة، فالعدوية هم أتباع عدي بن مسافر - رحمه الله - المتوفى سنة ٥٥٥ هـ[١]، وهو من المشايخ الصالحين، وعلى طريقة أهل السنة والجماعة، كما في عقيدته المشهورة والمطبوعة: «عقيدة عدي بن مسافر»[٢]، لكن أصحابه وأتباعه وقعوا في غلو عظيم، وجهل كثيف، فكتب لهم ابن تيمية رسالة شافية سُميت «الرسالة العدويّة»، وتسمى أيضاً «الوصية الكبرى»[٣]، وهي أنموذج رائع، ومثال فريد، في علاج آفة الغلو، وسبيل التعامل مع الغلاة بعلم وعدل، كما هو مذكور في السطور التالية:

(*) أستاذ مشارك سابق في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض.

(١) ينظر: في ترجمة عدي بن مسافر وأحواله: الفتاوى لابن تيمية ١٠٣/١١، ٥٣٤؛ والاستقامة ٨٩/١؛ والبداية لابن كثير ٢٤٣/١٢.

(٢) طبعت هذه العقيدة أولاً في العراق سنة ١٣٩٥هـ، ثم توالت الطبعات لها، وقد بيّن ابن تيمية أن هذه العقيدة مأخوذة من كتاب التبصرة لأبي الفرج المقدسي (ت ٤٨٦هـ) بألفاظها نقل المسطرة! كما أن أتباع عديّ زادوا فيها أنواعاً من الغلو والشطح. ينظر: مجموع الفتاوى ١٠٣/١١.

(٣) ذكرها ابن رشيق وابن عبد الهادي ضمن مؤلفات ابن تيمية، وهي موجودة في المجلد الثالث من مجموع الفتاوى، وطبعت مفردة بتحقيق: محمد الحمود، وسمّاها بعض أئمة الدعوة في نجد «الرسالة السنية».

– استهلّ أبو العباس ابن تيمية رسالته بوابل من الدعوات لأتباع الطائفة العدوية، فهم «من المسلمين، المنتسبين إلى السنة والجماعة، المنتمين إلى جماعة الشيخ العارف القدوة أبي البركات عدي بن مسافر – رحمه الله –»[1]، فدعا لهم قائلاً: «وفقهم الله لسلوك سبيله، وأعانهم على طاعته، وطاعة رسوله، وجعلهم معتصمين بحبله...[2]».

وختم الرسالة بقوله: «نسأل الله العظيم أن يجعلنا وإياكم من الذي يرثون الفردوس هم فيها خالدون»[3].

فبدأ بالدعاء لهم أن يحقق الله لهم اسم الإسلام والسنة في الدنيا، وانتهى إلى الدعاء بأن يحقق الله لهم الحكم بالجنة في الأخرى.

والنفوس المشحونة بالغلو والتوتر هي أحوج ما تكون إلى الحنان و الإحسان، والرحمة والإشفاق، كما عليه أهل السنة والجماعة: يعلمون الحق ويرحمون الخلق.

كما أثنى عليهم بمفارقتهم لأكثر البدع المضلّة مثل بدعة الخوارج والروافض، ثم أشار إلى ملحظ جميل، وترغيب بديع، في لزوم السنة، حيث بيّن أن سلامتهم من هذه البدع هي التي أورثتهم صفات المجاهدين في سبيل الله، وخصال المتعبدين الزهاد[4].

– هذه الرحمة والإشفاق والثناء الحسن يقترن بها النصح للخلق، والصدع بالحق، فإن رحمة هؤلاء لا تعني السكوت عن غلوهم في يزيد بن معاوية، وإفراطهم في عدي بن مسافر، بل كان أبو العباس صارماً في بيان حكم الله في مزالقهم وشطحهم، فقال – رحمه الله –: «وكذلك الغلو في بعض المشايخ، إما في الشيخ عديّ.. بل الغلو في عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، بل الغلو في المسيح عليه السلام ونحوه، فكل من غلا في حيّ أو في رجل صالح كمثل عليّ أو عدي.. وجعل فيه نوعاً من الإلهية.. فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل..»[5].

– الغلو باعثه الجهل، كما هو ظاهر في شأن الخوارج، والعدويّةُ لهم حظ وافر من الجهالة؛ إذ عوّلوا على أحاديث مكذوبة في صفات الله تعالى، فوقعوا في التمثيل، فبيّن أبو العباس بطلان هذه الأحاديث، وكشف زيفها، وأوصاهم بمعرفة الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ، وأن السنة التي يجب اتباعها في الاعتقادات والعبادات إنما تعرف بمعرفة الأحاديث الثابتة، كما في دواوين الإسلام المعروفة من الصحاح والسنن والمسانيد، وسرد المؤلف طرفاً من الكتب المعتبرة في أحاديث الصفات[6].

ولما كان الغلو متفرّعاً عن الجهل، فإن الجهل يبعث على القسوة على الخلق، والبغي عليهم، وفي المقابل فإن وصية أبي العباس للعدويّة بفقه السنة، وتمييز الحديث الصحيح عن الضعيف؛ هي التي ترفع الجهل، وتجلب الرحمة للخلق، والإشفاق عليهم.

فهناك تلازم بين العلم والرحمة، وتلازم بين الجهل والقسوة.

– احتفى أبو العباس – في رسالته للعدوية – ابتداءً بتقرير الأصول والقواعد في تلقي المسائل والدلائل، فساق جملة منها، ثم أعقب ذلك بالرد على مزالق العدويّة؛ إذ القوم أحوج إلى ترسيخ هذه الأصول الكبار والتذكير بها، فقرر – رحمه الله – أن الدين أصول وفروع، وعقائد وشرائع، وبيّن وسطية أهل الإسلام بين الملل، ووسطية أهل السنة بين النحل..[7].

ومن ذلك أنه قرر – ابتداءً – مذهب السلف في الكلام الإلهي، ثم أتبعه بالردّ على غلو العدويّة.. وكذا قرر عقيدة أهل السنة في الصحابة.. ثم انتقل إلى مزالق القوم في غلوهم في يزيد بن معاوية..

وهذا من رسوخ أبي العباس وبراعته في المخاطبات، فإحكام هذه الأصول آكد من معالجة شطحات القوم، ثم إن تقريرها هو السبيل إلى مدافعة هذا الغلو، فهو يحتج بتلك الأصول المتفق عليها على تلك المسائل المتنازع فيها.

– عندما يردّ أبو العباس على غلو العدوية، فإنه لا ينهمك في مدافعة هذا الانحراف، ويهمل نقيضه، ولا يستغرق في معالجة الغلو، ويذهل عن مقابله من التفريط والتقصير؛ فإنه عالج غلو «العدويّة» في مسائل تتعلق بالكلام الإلهي،

(١) الوصية الكبرى، ت: محمد الحمود ص ٧.
(٢) الوصية الكبرى، ت: محمد الحمود ص ٧.
(٣) الوصية الكبرى، ت: محمد الحمود ص ٦٠.
(٤) ينظر: الوصية الكبرى، ص ١٧.
(٥) الوصية الكبرى، ص ٣١، ٣٢ = باختصار.
(٦) الوصية الكبرى، ص ١٨.
(٧) ينظر: الوصية الكبرى، ص ١٢.

وبتحرير وتدقيق، ثم حذّر مما يقابلها من إنكار وتعطيل، وبيّن وفصّل مراتب الشرور والانحراف في هذه المسائل الشائكة.

وحذّرهم من الغلو في يزيد بن معاوية، وبيّن – في موطن آخر – أن جهال الأكراد ممن غلى في يزيد (العدوية) خير من الشيعة المتغالين في عليّ رضي الله عنه[1].

وهذا لا يدلّ على موضوعية ابن تيمية وتجرده في نصرة الحق فحسب، بل يكشف سعة أفقه، وبُعد نظره، فإن المخالف إذا رأى هذا العدل، والموافقة على الحق الذي لديه، فهو أدعى لقبول سائر الحق، إذ ما أكثر الذين يستحوذ عليهم مقاومة انحراف، أو مزلق، وفي غمرة السجال، وحمأة المخاطبات، يحصل الاندفاع في تهويل هذا الانحراف، والسكوت أو التهوين للانحراف المقابل، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

– والنفوس التي تلبّست بالغلو لا تنفك عن ازدراء الآخرين، والهيام بالتصنيف بما لم يشرعه الله، والولع والتشرذم والتفرق، وامتحان مخالفيهم.

وهذه الآفات تأثّر بها العدوية – كما هو مبيّن في الوصية الكبرى –، وتأثّر بها أشباههم في هذا العصر، وكان أبو العباس صارماً تجاه تلك المزالق، فأنذرهم عواقب هذا التفريق والتصنيف والامتحان بما لم يشرعه الله ورسوله، وأكّد وجوب موالاة المؤمنين، والتواد والتراحم فيما بينهم..

قال – رحمه الله –: «وكذلك التفريق بين الأئمة وامتحانها بما لم يأمر الله به ولا رسوله مثل أن يقال للرجل: أنت شكيلي أو قرفندي، فإن هذه أسماء باطلة ما أنزل الله بها من سلطان، والواجب على المسلم إذا سئل عن ذلك أن يقول: لا أنا شكيلي ولا قرفندي، بل أنا مسلم متبع لكتاب الله وسنة رسوله»[2].

وكم جلب – في هذا الزمان – التحزّب والتفريق والتصنيف من الشحناء والعداوات، ومحق الكثير من الأعمال والخيرات، وأقعد عن مشاريع ومبادرات، والواقع شاهد موجع، والله المستعان.

وأما عاهة التعالي والازدراء للآخرين، فقد بيّن – رحمه الله – أن الخوارج الغلاة قد مرقوا من الإسلام مع عباداتهم العظيمة.. فقال: «فإذا كان على عهد رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين، قد انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة، حتى أمر النبي ﷺ بقتالهم، فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام أو السنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضاً من الإسلام والسنة، حتى يدّعي السنة من ليس من أهلها..»[3].

وفي هذا التقرير ترهيب وتخويف، فالحي لا تؤمن عليه الفتنة، فكيف إذا تلبّس بغلو يستلزم الهلاك والضلال؟

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب.

---

(١) ينظر: منهاج السنة ٤/ ٥١٩.

(٢) الوصية الكبرى ص ٤٧، ٤٨.

(٣) الوصية الكبرى ص ١٢.

# التفريط في وصية

## رسول الله عليه الصلاة والسلام

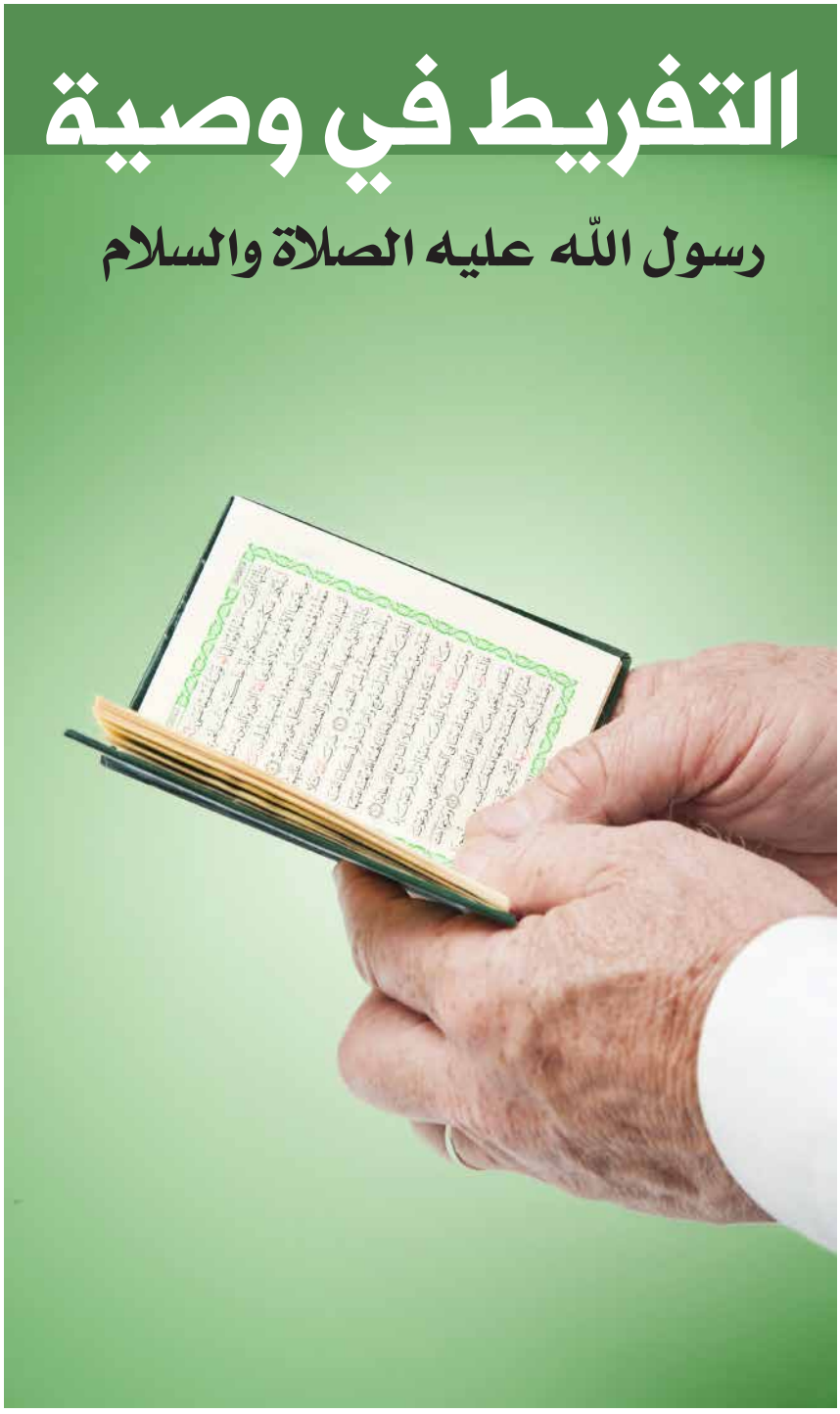

عبد العزيز الشامي(*)
Omarez1973@hotmail.com

**أفضل وأهم ما ينبغي على العبد أن يراجع نفسه فيه: الحرص على دينه، واستثمار عمره؛ فهو رأس ماله على الحقيقة، والانتباه لما فرطنا فيه.. فكم من صلاة ضيعناها! وكم من رحم قطعناها! وكم من ذنوب ارتكبناها! وكم هجرنا كتاب ربنا، تلاوةً وسماعاً وتدبراً وحكماً وتحكيماً، وتعلُّماً وتعليماً؛ من أجل ذلك كانت هذه الكلمات.**

(*) باحث شرعي ومدقق لغوي.

## القرآن دستور حياة المؤمنين:

القرآن دستور حياة المؤمنين، تربى الجيل الأوّل في صدر الإسلام على نهج القرآن، فأصبحوا خير أمّة أُخرجت للناس، لم يكن القرآن عندهم محفوظاً في السّطور، بل كان مكنوناً في الصّدور ومحفوظاً في الأخلاق والأعمال، يسير أحدهم في الأرض وهو يحمل أخلاق القرآن وآدابه ومبادئه.

ولا شك أن تعظيم كتاب الله - عز وجل - من آكد الواجبات، وقد أجمعت الأمة على وجوب تعظيم القرآن على الإطلاق، وتنزيهه وصيانته؛ ولذا كان من أصول المعرفة والتلقي والاستدلال عند أهل السنة والجماعة: تعظيم القرآن والسنة ونصوص الشرع الواردة فيهما، فهذا هو مقتضى الإسلام الذي هو الاستسلام والتسليم لما جاء فيهما والرجوع إليهما، وهذا يكون في جوانب الحياة كلها.

فلا بد من تعظيم القرآن في النفوس، ولا بد من العناية به؛ لأنه كلام الله، وفضله على سائر الكلام كفضل الله على غيره، كما أن تعظيم القرآن وتعظيم السنة من تعظيم شعائر الله، وهذا من تقوى القلوب.

قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى -: «ثبت في صحيح مسلم عن تميم الداري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «الدِّينُ النَّصيحة، قُلنا: لمن؟ قال: لله، وَلِكِتَابِه، وَلرسُوله، ولأئمَّةِ المُسْلمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» (مسلم: ٥٥). قال العلماء: النَّصيحة لكتاب الله تعالى هي: الإيمان بأنه كلام الله تعالى، وتنزيهه لا يشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر الخلق على مثله، وتعظيمه، وتلاوته حق تلاوته، وتحسينها والخشوع عندها، وإقامة حروفه بالتلاوة، والذب عنه لتأويل المحرِّفين وتعرّض الملحدين، والتصديق بما فيه، والوقوف مع أحكامه، وتفهم علومه، وأمثاله، والاعتبار بمواعظه، والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه، والبحث عن عمومه وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه والدعاء إليه...»[1].

ولا شك أن القرآن يهدي لأقوم الطرق وأوضح السبل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩].

قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في وصف القرآن: «اِعْلَمُوا أَنَّ هَذَا اَلْقُرْآنَ هُوَ اَلنَّاصِحُ اَلَّذِي لاَ يَغُشُّ، وَاَلْهَادِي اَلَّذِي لاَ يُضِلُّ، وَاَلْمُحَدِّثُ اَلَّذِي لاَ يَكْذِبُ، وَمَا جَالَسَ هَذَا اَلْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلاَّ قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ؛ زِيَادَةٍ فِي هُدًى أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمًى.. وَاِعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ اَلْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ، وَلاَ لأَحَدٍ قَبْلَ اَلْقُرْآنِ مِنْ غِنًى، فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ، وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لأْوَائِكُمْ، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ اَلدَّاءِ، وَهُوَ اَلْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ وَالْغَيُّ وَالضَّلاَلُ، فَاسْأَلُوا اَللَّهَ بِهِ وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ، وَلاَ تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ، إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ اَلْعِبَادُ إِلَى اَللَّهِ تَعَالَى بِمِثْلِهِ.. وَاِعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ، وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ اَلْقُرْآنُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ، وَمَنْ مَحَلَ بِهِ اَلْقُرْآنُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ أَلاَ إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرَثَةِ اَلْقُرْآنِ، فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ، وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ، وَاسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ»[2].

كم يوقظ القرآن ضمائرنا ولا تستيقظ! وكم يحذرنا ونظل نلهو ونلعب! وكم يبشرنا وكأن المبشر غيرنا! وكم تعيينا الأمراض والعلل ولو استشفينا بالقرآن لشفانا الله به حسّاً ومعنى، وصدق الله: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢]. فهو يذهب ما في القلوب من أمراض الشك والنفاق، والشرك والزيغ، وبه يحصل الإيمان والحكمة، وليس هذا إلا لمن آمن بالقرآن وصدقه واتبعه، وهذا شفاء القرآن المعنوي.

وإذا كنا نرى في العصر الحديث أن صحفاً وكُتَّاباً كثيرين إذا تحدث رئيس البلاد في خطبة أو مناسبة؛ نراهم يسارعون إلى عرض مقتطفات من أقواله، ونشرها في الإذاعات والصحف والإنترنت، وغيرها، مع إتباع الكلام بالتبجيل والثناء الحسن، فتراهم يقولون: وقد تحدث سموه قائلاً، وقال فخامته، وأشار سعادته... فإذا كان هذا فعل البشر مع كلام بشر، فكيف يتعامل بعضنا مع كلام الله رب العالمين.

(١) التبيان في آداب حملة القرآن (ص١٥١).

(٢) مقدمة كتاب أحكام القرآن، الكيا الهراس ١/ ٦.

## الوصية بكتاب الله - عز وجل -:

وقد بوَّب الإمام البخاري في صحيحه: باب الوصية بكتاب الله - عز وجل -، ثم ساق الحديث بسنده إلى طَلْحَة بْن مُصَرِّف قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - هَلْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَوْصَى؟

فَقَالَ: لَا.

فَقُلْتُ: كَيْفَ كُتِبَ عَلَى النَّاسِ الْوَصِيَّةُ أَوْ أُمِرُوا بِالْوَصِيَّةِ؟

قَالَ: أَوْصَى بِكِتَابِ اللَّهِ[1].

قال الشيخ العلامة ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - في شرح «كتاب فضائل القرآن» من صحيح البخاري: «الوصاة بكتاب الله - عز وجل - تشمل وجوهاً كثيرة، منها: الوصاة بحفظه حتى لا يضيع، والحفظ نوعان: حفظ في الصدور، وحفظ في المسطور، يعني في الكتاب، فعلى المسلمين أن ينفذوا وصية النبي ﷺ بحفظ القرآن في صدورهم ومسطورهم.

ثانياً: الوصية بتصديق أخباره، فإنّ من كذّب خبراً من أخبار القرآن فإنه قد انتقص القرآن؛ لأن الكذب من الأوصاف الذميمة القبيحة التي يستهجنها حتى الكفار في كفرهم.

ثالثاً: الوصاة بالعمل به بحيث لا نهجره، فإن هجر العمل بالقرآن هجرٌ للقرآن، ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

رابعاً: الدفاع عنه بحيث نرد تحريف المبطلين الذين يفسرون القرآن بآرائهم، وأهوائهم، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار، والعياذ بالله»[2].

## أول طريق الصلاح:

والقرآن أول طريق الصلاح في النفس والإصلاح في الكون، ولذلك فإن أشراف الأمة هم حفظة القرآن الكريم، ومن حفظ القرآن فقد استدرج النبوة، غير أنه لا يوحى إليه، والله أثنى على القراء في قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩]، فكل تجارة معرضة للربح والخسارة إلا التجارة مع الله لن تبور، ما هي التجارة؟ قال عز وجل: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠]، قراءةً وحفظاً وعملاً وتطبيقاً ودعوةً.

ولا شك أن أول درجات طلب العلم وتعلمه حفظ القرآن الكريم، ولذلك تجد في سير السلف أول ما تجد اعتناءهم بحفظ القرآن، ومن سن صغيرة جدّاً؛ فهذا الإمام أبو محمد سفيان بن عيينة، ولد في الكوفة سنة ١٠٧هـ؛ حفظ القرآن وهو ابن أربع سنين، وكتب الحديث وهو ابن سبع.. كان عالماً جليلاً وزاهداً ورعاً، سكن مكة وبها توفي سنة ١٩٨هـ. وهذا مثال فقط، وكل مجددي العصر الحديث - ومنهم الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله ورضي عنه - بدؤوا بالقرآن الكريم حفظاً وفهماً، وتعلماً وتعليماً.

## الحياة مع القرآن:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من تدبر القرآن طالباً للهدى منه تبيّن له طريق الحق»[3].

إن الحياة مع القرآن لها طعم خاص، وإحساس خاص، لا يدرك حقيقة تلك الحياة القرآنية إلا من أنار الله بصيرته، فوفَّقه للتأمل في آياته، والتفكر في كلامه المنزّل على خير خلقه، وصفوة رسله ﷺ.

وعطّر سمعك وبصرك أخي القارئ بصورة طيبة مباركة لتدبر القرآن وأثره في الثبات عند البلاء، واستشعار حلاوة الإيمان، وبرد اليقين، وطيب الحياة، فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - وقد بقي - رحمه الله - في سجن القلعة يكتب العلم، ويُصنّفه، ويُرسل إلى أصحابه الرسائل، ثم مُنِعَ من الكتابة والكتب، فلما أُخرجت الكتب والأوراق والدواة والقلم من عند شيخ الإسلام في القلعة في تاسع جمادى الآخرة سنة ٧٢٨ هـ، تفرغ الشيخ للعبادة، وقراءة القرآن، وتحسر على ما مضى من عمره في غير تدبر القرآن، مع أنه - رحمه الله - كان يقول: «ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير، ثم أسأل الله الفهم، وأقول: يا معلم آدم وإبراهيم علمني، وكنت أذهب إلى المساجد المهجورة ونحوها، وأمرّغ وجهي في التراب، وأسأل الله تعالى، وأقول: يا معلم إبراهيم فهمني»[4]، واستمر على هذه الحال يختم القرآن ويتدبر في آياته حتى توفي في

(١) البخاري ٢٧٤٠.
(٢) انتهى من (شرح كتاب فضائل القرآن) من صحيح البخاري. شريط (٣).
(٣) العقيدة الواسطية ١/ ٨.
(٤) العقود الدرية ١/ ٤٢.

ليلة الاثنين والعشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨ هـ.

نقَـل الإمام ابنُ رجـب - رحمه الله - فـي «ذيل طبقات الحنابلة»: أنَّ شـيخ الإسـلام ابن تيمية صرَّح بندمه في آخرِ حياتـه، في آخرِ أيَّامه في سـجن القلعة الذي مات فيه، يقول شـيخ الإسـلام: «وندمتُ على تضييع أوقاتي في غيرِ معاني القرآن»[1].

وهـذا تلميذه النجيب ابن القيم - رحمه الله - الذي لازمه مـدة طويلة جدّاً، ووقف معه في المحـن التي تعرض لها، وقد حُبس معه بسـبب التهم الباطلة التي وُجِّهت إليهما، ولم يخرج ابن القيم إلا بعد وفاة شـيخه، يقول رحمـه الله واصفاً مدة إقامته في الحبس، وما عليه حال الشـيخ من انشـراح الصدر وقوة القلب: «وسـمعت شيخ الإسـلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقـول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة. وقال لي مرة: ما يصنع بي أعدائي؟ أنا جنتي وبستاني فـي صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسـي خلوة، وقتلي شـهادة، وإخراجـي من بلدي سـياحة. وكان يقول في محبسـه الأخير في القلعة: لو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شـكري هذه النعمة، أو قال مـا جزيتهم عني ما تسـببوا لي فيه من الخير، ونحو هذا. وكان يقول في سجوده وهو محبوس: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» ما شـاء الله. وقال لي مرة: «المحبـوس من حُبس قلبه من ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه».

ولما أُدخل إلى سـجن القلعة وصار داخل السور نظر إليه، وقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُـورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].

ويضيف ابـن القيم - رحمه الله -: «وعلـم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشـاً منه قط، مع مـا كان فيه من ضيق العيش وخـلاف الرفاهية والنعيم، بل ضدهما، ومـع ما كان فيه من الحبـس والتهديـد والإرهاق، وهو مع ذلك مـن أطيب الناس عيشـاً، وأشـرحهم صدراً، وأقواهم قلباً، وأسرهم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشـتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسـمع كلامه، فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة، فسـبحان من أشـهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من روحها ونسـيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها».

قال ابن القيم - رحمه الله -: وحدثني بعض أقارب شـيخ الإسـلام رحمه الله قال: كان في بداية أمره يخرج أحياناً إلى الصحـراء يخلو عن الناس لقوة ما يرد عليه، فتبعته يوماً، فلما أصحر تنفس الصعـداء، ثم جعل يتمثل بقول الشـاعر، وهو مجنون ليلى في قصيدته الطويلة:

وَأَخْـرُجُ مِـن بـينِ البـيـوتِ لَعَلَّنِي
أُحَـدِّثُ عَنْك النفسَ بالسرِّ خالياً[2]

فرحم الله شيخ الإسلام، هذا الرجل الأمة المجدد المجاهد البطل، ورفع في الجنة درجاته.

إن تدبر القرآن عبادةٌ جليلة حثنا الله تبارك وتعالى عليها؛ لما تشـتمل عليه من حِكَـم وفوائد تربي المسـلم، وتأخذ بيده لالتماس الخير واقتباس الـدروس والعِبَر، وحين تتدبر القرآن الكـريم وأنت تتلوه في هدأة الليل وصفاء الكون تأتيك حقائق، وتنكشـف لك أسـرار تزيدك إيماناً، وتضيء لك أنوار الحق، وتنبثق أفكار الهداية.

فالله الله يا أمة الإسـلام، ويا إخوة الإيمان!! العودة إلى كتاب الله! نتلوه آناء الليل وآناء النهار، ونتدبر آياته ومواعظه، ففيه والله الكفاية والغنى، ونقرأ صفة النبي ﷺ التي وصفته بها أم المؤمنين عائشـة - رضي الله عنهـا -، وهو الوصف الجامع المانع: «كان خلقـه القرآن» (أخرجه أحمد والبخاري فـي الأدب المفرد وصححه الألباني). ونقرأ سـير الصحابة الكرام جند الإيمان والتوحيد الذين كانوا بهذا الرسـول ﷺ متأسين ومقتدين، تشبهوا به واقتدوا بسنته ﷺ فنالوا شرف صحبته.

ولذا كان القرآن نوراً ومصدر النور للمهتدين الباحثين عن الحق والخير والجمال، ولذلـك كان القرآن خير مَعِين وموجّه للمصلحين والمجددين على مر التاريخ.

فأيـن نحن أيها الأحباب من وصية رسـول الله ﷺ؟ وأين نحن من تلاوة القرآن وتدبره والتأمل فيه؟ ولماذا هجرناه؟!

آه لدنيا شـغلت العباد عن ربهم وكتابه الكريم، واعلم أخي الحبيب أن كل ما شـغلك عن الله هو شؤم عليك، فاحذر هجر القرآن وداوم على تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، تسـعد في الدنيـا وتهنأ في الآخرة، جعلني اللـه وإياكم من أهل القرآن. والحمد لله رب العالمين.

(١) ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب، (٢/٤٠٢).

(٢) انتهى من الوابل الصيب، ص ٩٣ و٩٤.

# المسلك الوسطي لفقه المقاصد

## ضرورة لمقاومة تفريغ الإسلام من أحكامه

تامر بكر

منذ انفتاح بعض الإسلاميين على العمل السياسي العام في زمن السبعينيات من القرن الميلادي الماضي، كَثُر الحديث عن فقه المقاصد في الإسلام، ليس بين أهل الفقه فقط، بل بين أهل السياسة من بعض الإسلاميين الذين يبحثون عما أسموه التجديد، وصرنا نرى اجتهادات جديدة وحديثة في تأويل الدين معتمدةً على فكرة وجود مقاصد وحقائق لكل نص شرعي تختلف عن ظاهر هذا النص، وأصبحنا نرى من يُطلقون على أنفسهم فخراً أنهم: «مقاصديون»، نسبة إلى اتباعهم فقه المقاصد في الإسلام[1]!

لكننا وبالنظر في النتائج التي تمخّضت عن تبيان تلك المقاصد في نصوص الدين الشرعية، وجدنا فقهاً جديداً يُفرّغ النصوص من الأحكام الشرعية، والتي تُعدّ هي حقيقة النصوص الشرعية.

وبذلك، وجدنا أن فقه المقاصد يُستخدم في محاولات نشر ما يُسمى (الإسلام المفرّغ)، ما جعل هذا النوع من الفقه مختلفاً فيه بين فريقين:

(١) ومن هؤلاء نائب سابق في مجلس الشعب المصري عام (٢٠١٢م)، ينسب نفسه لأفكار ابن رشد الإسلامية الفلسفية! وكان هذا النائب قبل ثورة ٢٥ يناير يعمل في المجتمع المدني وليس السياسي، وذلك من خلال مؤسسة تأسست في مصر عام ١٩٩٧م – لا أعلم مَنْ يمولها – اسمها «تنمية حياة المصريين»، وتعمل على ملفات متعددة، منها: ملف تطوير الخطاب الديني واعتبار العنصر الرئيس في الدين هو مقاصد النص الشرعي وضروراته وحاجاته.

فريق يُرتب على ظنية معظم دلالات النصوص الشرعية في الدين، اعتباره أن الإسلام دين مقاصد فقط؛ فيعتبرون العنصر الرئيس في الدين هو مقاصد النص الشرعي وضروراته وحاجاته، فتجدهم يعتقدون أن لكل نص شرعي حقيقة ومقصداً يختلف عن ظاهر هذا النص، ومن أجل الوصول إلى تلك المقاصد نجدهم يلجؤون إلى ليّ أعناق النصوص الشرعية ولو كانت واضحة وظاهرة، وهو ما يترتب عليه في الحقيقة تعطيل النصوص الشرعية ظنية الدلالة، وذلك بعدم التقيّد بما يظهر فيها من تكليف في الحكم والسياسة والاقتصاد ونحو ذلك.

وسمى الدكتور يوسف القرضاوي هذا الفريق مدرسة المُعطِّلة الجُدد، وهي مدرسة تعطل النصوص بادعاء المصالح والمقاصد، ومن سمات هذه المدرسة عنده:

١ – الجهل بالشريعة.

٢ – الجرأة على القول بغير علم.

٣ – التبعية للغرب.

ويرى الشيخ القرضاوي أن مرتكزات هذه المدرسة ما يلي:

١ – إعلاء منطق العقل على منطق الوحي.

٢ – ادّعاء أن عمرَ عطَّل النصوص باسم المصالح، ودعوى تعطيل سهم «المؤلفة قلوبهم».

٣ – مقولة نجم الدين الطوفي في تقديم المصلحة على النص.

٤ – مقولة: حيث توجد المصلحة فثَمَّ شرعُ الله.

وكان من نتائج ومواقف هذه المدرسة في نظر الشيخ القرضاوي:

١ – الهروب من النصوص القطعية والتشبث بالمتشابهات.

٢ – معارضة أركان الإسلام والحدود باسم المصالح[١].

ولنذكر مثالاً لتأويلات تلك المدرسة المقاصدية المؤدية لتعطيل فريضة من فرائض الإسلام، حيث يرى أحدهم[٢] أن المقصد من آية مثل آية الحجاب[٣] هو مجرد الاحتشام! فمتى تحقق ذلك الاحتشام لا يجب التقيّد بالشروط الشرعية التي ذكرها علماء المسلمين لحجاب المرأة المسلمة[٤]!

كما أن ذلك القول – أي الاحتشام – قول عام، فهناك من المسلمات من تغطي نصف رأسها فقط أو تكشف أسفل ساقيها وتغطيها بعد ذلك بجورب غير شفاف نسبياً وتعدّ ذلك احتشاماً منها حسب أعراف بعض المجتمعات العربية! فهل يمكن تبعاً لذلك التأويل العجيب لآية الحجاب أن نعدّ مثل تلك المرأة المسلمة امرأة محجبة؟!

إن أقوالاً ورؤى مقاصدية من مثل ما نقلته آنفاً، لا تُوّجه النصوص الشرعية إلى حقيقتها كما يدّعون، بل تصرفها عن حقيقتها المقصودة، وتفرّغها منها!

وفي المقابل هناك فريق آخر ينظر إلى النصوص الشرعية بمعزل تام عن المقاصد فيها، فيكون بذلك أقرب إلى حَرْفية الفهم لنصوص الشرع وحَرْفية التفسير! وهؤلاء وُجِدَتْ بعض أقوالهم في كتب التراث الإسلامي في كل العصور والأزمان حتى زمننا المعاصر.

وبين هذين الفريقين نجد فريقاً آخر وهي المدرسة الوسطية في فهم فقه المقاصد، «وهي المدرسة التي تربط بين النصوص الجزئية والمقاصد الكلية، وترى الإيمان بحكمة الشريعة وتضمنها مصالح الخلق، وتربط نصوص الشريعة وأحكامها بعضها ببعض، وتنظر النظرة المعتدلة لكل أمور الدين والدنيا»[٥].

ولقد تعامل كثير من أسلافنا من علماء المسلمين مع فقه المقاصد بمسلك وسطي صحيح، كشيخ الإسلام ابن تيمية[٦] وتلميذه ابن القيم.

وقد كانت بعض فتاوى عدد من العلماء المعاصرين من الفتاوى النابعة من تلك المدرسة الوسطية، من هؤلاء: العلامة النجدي الشيخ عبد الرحمن السعدي، والشيخ عبد الله بن زيد آل محمود، والدكتور مصطفى الزرقا، وغيرهم.

وسأحاول هنا أن ألقي الضوء على طريقة النظر في

---

(١) وانظر: (دراسة في فقه مقاصد الشريعة بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية)، للدكتور يوسف القرضاوي، ط ١/ دار الشروق ٢٠٠٦م.

(٢) هو الكاتب المصري المثير للجدل جمال البنا.

(٣) يقول الله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

(٤) إن الحجاب الشرعي ليس له شكل معين في الإسلام، بل له شروط ومواصفات متى ما تحققت في زي المرأة أصبح حجاباً شرعياً، من مثل: استيعاب جميع البدن إلا ما استثني – على خلاف بين العلماء في المستثنى –، وأن لا يكون زينة في نفسه، وأن لا يكون شفافاً، وأن يكون فضفاضاً غير ضيق، وأن لا يشبه لباس الرجال، وغير ذلك.

(٥) الدكتور يوسف القرضاوي، مصدر سابق.

(٦) انظر: اعتدال ابن تيمية ووسطيته بين الإفراط والتفريط (ص ٥١٩ – ٥٢١) من كتاب (مقاصد الشريعة عند ابن تيمية) للدكتور: يوسف أحمد البدوي، طبعة دار النفائس في الأردن.

النصوص الشرعية بالطريقة الإسلامية الوسطية التي لا تفرغ الدين من أحكامه ولا تذهب به إلى الجمود.

ونحتاج قبل ذلك إلى أن نبيّن فهمنا الإسلامي الأصيل للوسطية، حيث إن هذا المصطلح هو الآخر كثيراً ما يستخدمه دعاة تفريغ الدين لينفذوا منه لعمل نوع من التوافيق التي تُخلط فيها مفاهيم الإسلام بغيره من المفاهيم.

يقول الشيخ عبد الله بن عبد المحسن التركي: (إِنَّ الْمَفْهُومَ الْإِسْلَامِيَّ لِلْوَسَطِيَّةِ، لا يلغي الطَّرَفَيْنِ؛ لِيَتَكَوَّنَ مِنْهُمَا حدٌّ ثَالِثٌ، وَإِنَّمَا يَبْقَى فِيهِ الطَّرَفَانِ مُتَجَاوِرَيْنِ، وَيَحْتَفِظُ كُلُّ طرفٍ بوجُودِهِ، وذلك مما يتفق مع الطبيعة البشرية التي ينتقل فيها الإنسان من حال إلى حال، ويختار بين المفترقات أو المتناقضات، بحسب دوافعه النفسية وحاجات الزمان أو المكان وظروفهما.

وَلَعَلَّ مِنْ خَصَائِصِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْوَحْيُ الْإِلَهِيُّ، القرآن الكريم، أنها في معنى الوسطية، لا تنحو منحى مادياً في اعتبار الوسط موقعاً بين طرفين، أو درجة بين الأعلى والأدنى.

بل يظهر في معنى الوسطية اللغوية أنها الفضل والعدل والأجود، كما يظهر فيها أيضاً بدلالة اللغة أنها الوسط بين طرفين، وبذلك يكون اللفظ جامعاً لمعان عديدة، ما يسهم في فهم شامل لمعنى الوسطية الإسلامية، وفي بيان مجالات تطبيقها، بحيث تصبح الأمة الوسط في الآية الكريمة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ هي أمة الخير، والعدل، والشهادة، والتوسط بين الأمور)[١].

ولنبدأ بتعريف المقاصد في عرض طريقة النظر التي ندعو إليها:

## فيُراد بالمقاصد:

الغايات والعِلَل والحِكَم التي تناط بها الأحكام الشرعية فيما يتصل بالعقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق والآداب[٢].

وقد وُجِدتْ المقاصد مع وجود التشريع الإسلامي نفسه، وعَرَفَها الصحابة والتابعون واعتبروها في اجتهاداتهم الفقهية المنثورة فيما نُقِل عنهم، لكنها تبلورت بشكل تأليفي في مرحلة متأخرة، ويُعد إمام الحرمين الجويني مع الشاطبي وابن عاشور المثلث الرئيس في علم المقاصد، وإن كانت اليد الطولى في المقاصد للإمام الشاطبي منظِّرها وإمامها، وذلك في كتابه (الموافقات).

(١) نقلاً عن تسجيل صوتي لمُحاضرة للشيخ عبد الله بن عبد المحسن التركي بعنوان: «الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله»، وقد ألقيت في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن في الظهران في ١٧/ ٦/ ١٤١٨ هـ.

(٢) راجع: مقاصد الشريعة لعلال الفاسي (٣/ ١٦٥)، تحقيق الشيخ الحبيب بلخوجة.

إن ابن عاشور من أشهر المعاصرين الذين أثروا علم المقاصد؛ فهو أول من صرح بالدعوة إلى تأسيس علم للمقاصد الشرعية[٣]، كما أنه أدخل الدراسة المقاصدية في البرنامج الدراسي لجامعة الزيتونة، واعتنى بنشر كتاب الموافقات، وشرحه للطلبة أكثر من مرة، وكذلك كان لعلال الفاسي جهد مشكور بعد ابن عاشور[٤].

## موضوع علم المقاصد:

هو المصالح والمفاسد والأحكام الشرعية؛ فالمصالح من حيث جلبها والمحافظة عليها وبيان مراتبها ومراتب ما تجلب به ويحافظ به عليها؛ والمفاسد من حيث دفعها ودفع ما يدعو إليها؛ والأحكام من حيث جلبها للمصالح ودفعها للمفاسد[٥].

## أقسام المقاصد:

تتعدَّد أقسام المقاصد إلى:

مقاصد عامة، ومقاصد خاصة، ومقاصد جزئية..

مقاصد الشارع، ومقاصد المكلف..

مقاصد ضرورية، ومقاصد حاجيّة، ومقاصد تحسينيّة..

مقاصد قطعية ومقاصد ظنية.

## أهمية فقه المقاصد:

إن مقاصد الشريعة كما هو معلوم خمسة: (حفظ: الدين والنفس والنسل والعقل والمال)، وكل ما يُفوّت هذه الأصول أو بعضها فهو مفسدة، فلا يمكن بحال من الأحوال الاستغناء عن فقه المقاصد الذي يُوجّه دائماً نحو الغايات؛ لأن بعضهم أساء استخدامه وأخرجه عما يجب أن يرتبط به من أنواع أخرى من الفقه.

(٣) مقاصد الشريعة بتحقيق الميساوي، ص١٢٧.

(٤) من أشهر ما كُتِبَ في المقاصد:
- الموافقات للإمام الشاطبي.
- مقاصد الشريعة الإسلامية للطاهر بن عاشور.
- مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها لعلال الفاسي.
- المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ليوسف العالم.
- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي للدكتور أحمد الريسوني.
- نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور للدكتور إسماعيل الحسني.

(٥) راجع: مدخل إلى مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد المبارك بن محمد أحمد.

## النظر في مقاصد الشريعة عند التعامل مع النص الشرعي:

لا يمكن أن نعزل تعاملنا مع النصوص الشرعية من خلال فقه المقاصد كما تراه المدرسة الوسطية، عن الضوابط المنهجية التي يجب مراعاتها عند التعامل مع النصوص الشرعية بعمومها، فهناك جملة من المبادئ والأسس المنهجيَّة الكليَّة المستوحاة من الخصائص العامَّة التي يختصُّ بها النصُّ الشَّرْعِيّ، والتي يجب على المتعامل معه مراعاتها والالتزام بها؛ حفظاً له من التمحّل والاعتساف وسوء التأويل والإساءة إلى المعنى المراد من النص، وتكاد تلك المبادئ المنهجيَّة أن تنحصر في خمسة ضوابط أساسيَّة، وهي: ضابط التحقق من صحة نسبة النصِّ إلى مصدره، وضابط التجرد والتزام الموضوعيَّة عند التعامل مع النصِّ، وضابط اتِّباع النظرة الموضوعيَّة التكامليَّة، وضابط الوقوف على مناسبات النزول والورود، وضابط الإبقاء على مراتب النُّصُوص كما وصلتنا[1].

ثم يأتي بعد ذلك التعامل الوسطي الناجح مع فقه المقاصد، حيث تقتضي تلك الوسطية ربط فقه المقاصد وضبطه بغيره من بعض أنواع الفقه حتى لا يُساء استخدامه.

إن هذا الضبط يمكن أن نجعله حسب درجة حفظ مقاصد التشريع في النصوص والتي تتدرج – حسبما قسمها علماء الأصول – إلى ثلاث مراحل بحسب الأهمية، وهي: الضروريّات، والحاجيّات، والتحسينيّات.

١ – فعند نظر المقاصد في نصوص (الضروريات) لا بد من مراعاة فقهين:

**أولاً: (فقه الاتباع لا الابتداع):** والمقصود بالاتباع اتباع ما جاء في القرآن المنزّل من عند رب العالمين، وكذلك السنة المطهرة، والتسليم لهما، وصاحب الاجتهاد محتاج دائماً إلى ذلك الفقه؛ لأنه يعني الأصالة ولا يعني التقليد، والأصالة تعني التقدم للأمام اعتماداً على الأصول، ولا تعني مطلقاً الرجوع للوراء.

**ثانياً: (فقه الضرورة):** وذلك حتى يتم تقديرها تقديراً صحيحاً؛ فيتم التعامل معها بشكل صحيح أيضاً.

٢ – وعند نظر المقاصد في نصوص (الحاجيات) لا بد من مراعاة (فقه الموازنات): وهو الذي يعين على رعاية شؤون الناس بما يخدم مصالحهم، وهو فقه «قائم على الموازنة والترجيح بين المصالح بعضها بعضاً إذا تعارضت: أيها أولى بالاعتبار؟ وأيها أولى بالإسقاط؟ أيها أحق بالتقديم؟ وأيها أحق بالتأخير؟ وكذلك الموازنة بين المفاسد والمضار بعضها بعضاً إذا تعارضت.

ومثلها: المعارضة بين المصالح والمفاسد، أيها يرجح الآخر في ميزان الشريعة؟

وهذه الموازنات والترجيحات تحتاج إلى نوعين من الفقه:

– فقه الأحكام والأدلة، من خلال النصوص الجزئية، والمقاصد الكلية.

– فقه الواقع على ما هو عليه، دون تهويل ولا تهوين، سواء واقع المسلمين أو واقع أعدائهم. الواقع المحلي، الواقع الإقليمي، والواقع الدولي»[2].

٣ – وعند نظر المقاصد في نصوص (التحسينات) لا بد من مراعاة فقهين:

أولاً: (فقه الأولويات): وهو يرتب الأهداف حسب أهميتها[3].

ثانياً: (فقه المآلات): ويفيد في تحديد النتائج النهائية وما تؤول إليه الأقوال والأفعال[4].

**وأخيراً: فإن المستفاد من كل ما سبق أنه كي نتبع مسلكاً وسطياً في التعامل مع فقه المقاصد في الإسلام بطريقة لا تفرغه من مضمونه وأحكامه؛ لا بد من فهم علاقته بأنواع الفقه الأخرى، وذلك يترتب عليه عدم تعطيل النصوص الشرعية – حتى لو كانت ظنية الدلالة – والتقيّد بما يظهر فيها من تكليف، ويترتب عليه أيضاً عدم النظر إلى فقه النصوص بمعزل تام عن المقاصد فنكون بذلك أقرب إلى اتباع حَرْفيّة النصوص.**

---

(١) انظر: الموقع الشخصي للدكتور قطب مصطفى سانو، أستاذ مشارك في قسم الفقه وأصوله – الجامعة الإسلاميَّة العالميَّة في ماليزيا، بحث (ضوابط منهجية للتعامل مع النص الشرعي).

(٢) انظر: ص (١٨٥، ١٨٦) من كتاب (من فقه الدولة في الإسلام) للدكتور يوسف القرضاوي.

(٣) انظر: (في فقه الأولويات، دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة) للدكتور يوسف القرضاوي.

(٤) انظر: الموافقات (٥/ ١٧٧، ١٧٨) للإمام الشاطبي، ط١/ دار ابن عفان ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

# تطبيق الشريعة بعدم تطبيق الشريعة!

فهد بن صالح العجلان
Fsalehajlan@gmail.com
@alajlan_f

## هل أنت ضد (تطبيق الشريعة)؟

خذ هذا السؤال وضعه على طاولة أي اتجاه علماني، ستجد أن الغالبية منهم ستقول لك بوضوح: لستُ ضد تطبيق الشريعة، بل إن ما أدعو إليه هو التطبيق الحقيقي للشريعة.

بل لستَ بحاجة لأن تعرض هذا السؤال على أحد؛ لأن الأجوبة متاحة منثورة بين ناظريك في القنوات والمواقع والدراسات، يتحدث فيها العلمانيون بوضوح عن أنهم لا يعارضون الشريعة وأن موقفهم ليس فيه عداء ولا مخاصمة لها.

**هل انتقل العلمانيون إذن إلى الصف الإسلامي وتخلوا عن رؤاهم العلمانية؟**

**أم قد انتهى الخصام الإسلامي/ العلماني حول تطبيق الشريعة وصارت من الأمور المسلَّمة؟**

لنأخذ أولاً نموذجاً من هذه الإجابات ولنفحص مضامينه جيداً حتى نكتشف الجواب عن هذا السؤال، ولأن النماذج لدينا كثيرة، فسنضع جهاز الفحص على أوسعها وأشهرها، وهو نموذج الدكتور محمد عابد الجابري، وسبب اختيارنا الجابري يرجع لأسباب عدة، من أهمها: أنه شرح فكرته شرحاً بيّناً يوفر عليك كثيراً من الظن والاستنتاج.

يتفق معنا الجابري أولاً على أن تطبيق الشريعة قد غدا من المسلمات التي يصعب معارضتها، فهو في نظره:

(شعار لا يمكن مواجهته بشعار مضاد ولا حتى بشعار بديل، ومن يستطيع أن يناقش وجوب تطبيق الشريعة في بلاد إسلامية تستمد معظم نظم الحكم فيها شرعيتها من الانتماء للإسلام بصورة من الصور)[1].

(١) الديمقراطية وحقوق الإنسان ٧٠.

ولهذا يبدي الجابري معارضة للعلمانية ولفكرة فصل الدين عن الدولة، ويرى أن المجتمعات الإسلامية لا تحتاج إليها؛ فهي خاصة بالهوية الأوروبية.

**ما مفهوم (تحكيم الشريعة) إذن عند الجابري؟ وما العلمانية التي يعارضها؟**

لنستعرض معاً رؤية الجابري التفصيلية حول هذا الموضوع حتى يتضح جيداً مقصوده منها:

يرى الجابري أنه لا بد من مرجعية فقهية لتحكيم الشريعة، ويرى أن المرجعيات الفقهية التراثية غير موثوقة:

(يمكن القول إن معظم المرجعيات التي يستند إليها الباحثون المعاصرون كانت موجهة بكيفية أو بأخرى بالظروف السياسية التي زامنتها)[١].

ولأن الثقة بالمرجعيات الفقهية معدومة، فلا بد من:

(التأكيد على ضرورة بناء مرجعية تكون أسبق وأكثر مصداقية من المرجعيات المذهبية، أعني تلك التي قامت أصلاً كوجهة نظر تروم تأييد موقف سياسي معين)[٢].

وحلاً لهذه الإشكالية لا بد من العودة بالمرجعية إلى مرحلة الصحابة رضي الله عنهم:

(وإذا كنا هنا ندعو إلى وضع الاجتهادات السابقة والمذاهب الماضية بين قوسين والرجوع مباشرة إلى عمل الصحابة)[٣].

وحين رجع الجابري لفقه الصحابة وجدهم في بنائهم الفقهي قد اعتمدوا على المصلحة:

(إن المبدأ الوحيد الذي كانوا يراعونه دوماً هو المصلحة، ولا شيء غيرها، وهكذا فكثيراً ما نجدهم يتصرفون بحسبما تمليه المصلحة، صارفين النظر عن النص حتى لو كان صريحاً قطعياً، إذا كانت الظروف الخاصة تقتضي مثل هذا التأجيل للنص)[٤].

واكتشف أن النظر المصلحي عند الصحابة لا يختلف عما كان فيه نص أو لم يكن فيه نص:

(إن هذا المبدأ مبدأ المصلحة هو المستند الذي كان الصحابة يرتكزون عليه في تطبيقهم، سواء تعلق الأمر بما فيه نص أو بما ليس فيه نص)[٥].

وبناءً عليه، يرى ضرورة الاعتماد على المصلحة في بناء النظام السياسي الإسلامي:

(يجب أن تؤسس عملية تطبيق الشريعة في كل زمان ومكان، وهي اعتبار المصلحة العامة.. يبقى بعد هذا المبدأ الأساسي العام تحديد المصلحة في كل نازلة وفي كل حكم وفي هذا شيء سهل لأن ميدان البحث عنها ميدان بشري)[٦].

وأما العلمانية فيرى أنه مصطلح جرى تشويهه، فهو قد ارتبط في أول الأمر بالوحدة والاستقلال ضد الدولة العثمانية، ولهذا لا بد من تعويضه بمصطلحات بديلة:

(وفي رأيي أنه من الواجب استبعاد شعار العلمانية من قاموس الفكر العربي وتعويضه بشعاري الديمقراطية والعقلانية؛ فهما اللذان يعبّران تعبيراً مطابقاً عن حاجات المجتمع العربي.. الديمقراطية تعني حفظ الأفراد وحقوق الجماعات، والعقلانية تعني الصدور في الممارسة السياسية عن العقل ومعاييره المنطقية والأخلاقية وليس عن الهوى والتعصب وتقلبات المزاج)[٧].

والمجتمع الإسلامي في نظره ليس بحاجة لفصل الدين عن الدولة، إنما يحتاج لفصل الدين عن السياسة:

(ما يحتاج إليه مثل هذا المجتمع هو فصل الدين عن السياسة بمعنى تجنب توظيف الدين لأغراض سياسية باعتبار أن الدين يمثل ما هو مطلق وثابت، بينما تمثل السياسة ما هو نسبي ومتغير، السياسة تحركها المصالح الشخصية أو الفئوية، أما الدين فيجب أن ينزه عن ذلك وإلا فقد جوهره وروحه)[٨].

## الصورة الكلية لتطبيق الشريعة:

بعد هذا العرض التفصيلي نريد أن نبتعد قليلاً عن التفصيلات وننظر في الصورة الكلية لتطبيق الشريعة عند محمد عابد الجابري.

نهاية رؤية الجابري أننا سنعتمد على المصلحة، فما جاءت به هو المعتبر، وما رفضته هو غير معتبر، والمصلحة في رؤية الجابري ليست هي المصلحة بحسب الموازين الشرعية المعروفة عند الفقهاء، بل المصلحة يمكن أن تتجاوز حتى النص القطعي.

وحين نعرف أن كل الاتجاهات العلمانية تبحث عن المصلحة، وهي إنما ترفض تطبيق الشريعة بدعوى مخالفتها للمصلحة المعاصرة؛ فإن رؤية الجابري في النهاية هي الرؤية العلمانية ذاتها، وهي سترفض تطبيق الشريعة لكنها هذه المرة بدعوى تطبيق الشريعة!

الفرق بين رؤية الجابري ورؤية بقية العلمانيين، أن العلمانيين صرحوا بقبولهم المفاهيم الحداثية المعاصرة وصرحوا برفضهم ما يعارضها من تطبيق الشريعة، أما الجابري فقد كان مدركاً

(١) الدين والدولة وتطبيق الشريعة ٨.
(٢) الدين والدولة وتطبيق الشريعة ٩.
(٣) الدين والدولة وتطبيق الشريعة ١٢.
(٤) الدين والدولة وتطبيق الشريعة ١٢.
(٥) الدين والدولة وتطبيق الشريعة ٤١.
(٦) الدين والدولة وتطبيق الشريعة ١٧١.
(٧) الدين والدولة وتطبيق الشريعة ١١٣.
(٨) الدين والدولة وتطبيق الشريعة ١١٦-١١٧.

أن هذا المسلك في رفض الأحكام الشرعية ليس مجدياً، وأنه لا يمكن قبول المفاهيم الحداثية المعاصرة إلا بعد البحث عن مرجعية فقهية لها، واستنبات أصول تراثية للمفاهيم المعاصرة، ولهذا يحرص على تجاوز المفاهيم التراثية من خلال مفاهيم تراثية أخرى.

**هل هذا دخول في النوايا أو إساءة ظن أو حتى تحليل واستنباط؟**

أبداً، بل هو أمر يتحدث عنه الجابري كثيراً وبكل وضوح، ويراه ضرورياً لأي إصلاح.

فهو يعترف بأن قراءة التراث إنما هي طريق للبحث عن سند تاريخي للمضامين الحديثة:

(إن هذا يعني أن قراءتنا لما كان موضوعاً للتفكير أو قابلاً لأن يكون كذلك في تراثنا، ستكون موجهة بالرغبة في إيجاد سند تاريخي يمكننا من تأصيل المضامين الحديثة والمعاصرة التي يحملها مفهوم الإنسان وحقوقه، تأصيلها في وعينا ومرجعياتنا)[1].

وحين شرع في البحث عن حقوق الإنسان في التراث الإسلامي قرر بوضوح أنه:

(يجب ألا يغرب عن بالنا قط أننا موجّهون في قراءتنا لنصوص تراثنا بالرغبة في تأسيس مفهوم الإنسان وحقوقه على جميع المستويات تأسيساً يجعلها ذات جذور في تراثنا وكياننا الحضاري)[2]، فهي رؤية واضحة تبحث عن جذور للنتائج المتقررة سلفاً!

وهذه الطريقة نابعة من واقع خبرة لدى الجابري أدرك بها أن التجديد لا يمكن أن يمر من دون أدوات تراثية:

(لا سبيل إلى التجديد والتحديث ونحن نتحدث عن العقل العربي إلا من داخل التراث نفسه وبوسائله الخاصة وإمكاناته الذاتية أولاً)[3].

ولهذا شرح سبب اهتمامه بالتراث:

(والحق أن اهتمامي بالتراث لم يكن من قبل وليس هو الآن من أجل التراث ذاته، بل هو من أجل حداثة نتطلع إليها)[4].

وما دام أن المقصد هو توظيف الأدوات التراثية وليس الاعتماد عليها، فهو يعلن – بلا خجل – أنه في سبيل هذا الهدف ليس مهماً المحافظة على الموضوعية والصرامة العلمية:

(والمقاربة ليست من الأمور التي يطبق عليها منطق الصواب والخطأ تطبيقاً صارماً، خصوصاً عندما يتعلق الأمر بموضوعات كالتي نحن بصددها، ذلك أن موضوع المقارنة هنا ليس من نوع الحقائق العلمية، بل هو من جنس الحقائق الثورية إن جاز التعبير؛ الحقائق التي توظفها الثورات وكل دعوات الإصلاح والتي تستمد صدقها ولنقل مصداقيتها من وظيفتها كمحرك للثورة وشعار للدعوة)[5].

فالذي حدث أن الجابري أراد هدم مفهوم (تطبيق الشريعة) من خلال البحث عن أصول شرعية يستطيع بها إبدال هذا المفهوم بمفهوم آخر لا ينازع المفاهيم الحداثية المعاصرة.

ولأجل هذا فمن الطبيعي أن يكون المنهج الذي يسلكه ليس منهجاً موضوعياً يبحث عن الدلائل ويتقصى الوصول إلى الحق بقدر ما هو بحث عما يعين على الهدف، وهو شيء يعترف به كما نقلنا ذلك سابقاً.

لهذا تجد أن الجابري يمارس تفريغ الأصول الشرعية التي يتعامل معها من مضامينها:

فهو يتجاوز أولاً مرجعيات الفقهاء بدعوى الوصول إلى فقه الصحابة، وهذا خلل منهجي كبير، لأن الوصول إلى فقه الصحابة لا يمكن أن يتم من دون هذه المرجعيات الفقهية، فهم الذين نقلوا لك آثار الصحابة، وهم الذين محَّصوها، فاتهامهم بأنهم كانوا منقادين للسياسة هو اتهام لفقه الصحابة الذي نقلوه، فالمنطق الصحيح أن يطعن الشخص في فقه الصحابة بناءً على طعنه في العصور التي نقلته، أما جعل العصور المتأخرة عصوراً ملوثة ومؤدلجة ومنحرفة ثم يستطيع الشخص الولوج منها إلى عصر الصحابة من دون أي تأثر؛ فهذه طريقة استدلال ظريفة!

الخلل الثاني أن الجابري لما وصل إلى عصر الصحابة لم يطالبنا بالاستمساك بفقه الصحابة، وإلا لوجد أن فقه الصحابة قائم على ذات الأصول التي ينطلق منها الفقهاء، وأن فقههم في المصالح لا يختلف عن فقه العلماء؛ إنما أراد الجابري الانتقال إليهم لحذف مَن بعدهم ثم البدء بعملية تفكير جديدة هي أن الصحابة كانوا يعتمدون المصالح فقط، وهذه صورة مغالطة لفقه الصحابة؛ فالصحابة كانوا يستعملون المصالح فعلاً، غير أن المصالح في رؤيتهم تختلف عن المصالح في رؤية الجابري؛ فأساس رؤيتهم في المصالح قائم على اعتبارها وفق موازين الشريعة، فما رفضته الشريعة ليس بمصلحة، وما اعتبرته هو مصلحة، وبقدر اعتبار الشريعة يكون وزن المصلحة،

(١) الديمقراطية وحقوق الإنسان ١٩٧.
(٢) الديمقراطية وحقوق الإنسان ٢٠١.
(٣) بنية العقل العربي، محمد عابد الجابري، ٥٦٨.
(٤) محمد عابد الجابري في المسألة الثقافية ٢٥٠ ، نقلاً عن «الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة وموقفهم من القرآن» للجيلاني مفتاح ٧٠.
(٥) الديمقراطية وحقوق الإنسان ١٥٩.

وبقدر رفض الشـــريعة يكون وزن المفسدة، والنصوص في هذا عن الصحابة أكثر من أن تحصر، وهو شيء يختلف تماماً عند الجابري، لهذا يأتي الجابري إلى النصوص القطعية التي جاءت بها الشـــريعة والتي هي من أصول المصالح المعتبرة، فيحرفها ويؤولها بســـبب أنها مخالفة لرؤيته فـــي المصلحة المنطلقة من رؤية مختلفة؛ كموقفه مثلاً من حد السرقة، وهو نص قطعي لا يحتمل الخلاف ولا التأويل، ومع ذلك فمن تطبيق الشريعة في نظر الجابري أن لا يطبق هذا الحكم، ويتم التخلص من قطعية الحكم بطرائق مختلفة؛ كالبحث عن سبب تاريخي معين يجعل الحكم مرتبطاً به، وهو:

(تدبيـــر كان معمولاً به في الجاهلية لعدم وجود ســـجون ولا ســـلطة تعتقل السارق، لقد كان العقاب البدني هو الوسيلة الزجرية الوحيدة التي تعاقب الســـارق)[1]. ومارس أمثال هذا التأويل مع ما ترفضـــه الثقافة الغربية من أحكام ميراث المرأة وحد الردة وتعدد الزوجات والطلاق[2].

ولو أن الثقافة الغربية المعاصـــرة تتقبل مثل هذه الأحكام لقبلتـــه هذه النفوس ولمـــا بحثت عن أســـباب تاريخية مفتعلة للتخلص منه!

الخلل الثالث: أنه لا ينطلق من مقاصد الشـــريعة وأصولها للحكم على المصالح المعاصـــرة، وإنما يريدنا أن نخلق مقاصد للشريعة من خلال هذه المصالح:

(وهكذا عندما ننجح في جعل ضروريات عصرنا جزءاً من مقاصد شـــريعتنا، فإننا سنكون قد عملنا ليس فقط على فتح باب الاجتهاد في وقائع عصرنا المتجددة المتطورة، بل ســـنكون أيضاً قد بدأنا العمل في تأصيل أصول شريعتنا نفسها بصورة تضمن لها الاســـتجابة الحية لكل ما يحصل من تغيير أو يطرأ من جديد)[3].

فالطريقـــة عند الجابري ليســـت أن تنظـــر في المصلحة المعاصـــرة ومدى موافقتها للشـــريعة، بل أن تنظر في المصلحة المعاصرة وتبحث في الشريعة عما يجعلها من مقاصدها!

فمقاصد الشـــريعة عند العلماء هي استخراج أصول كلية مستقرأة من جمع فروع الشريعة، وأما الجابري فيريد أن تكون مقاصد الشـــريعة منتزعة من المصالح المعاصرة التي نريد أن نجعلها داخلة ضمن الشريعة!

(فإن تطبيق الشـــريعة يتطلب اليوم إعادة تأصيل الأصول على أســـاس اعتبار المصلحة الكلية كمـــا كان يفعل الصحابة، وبعبارة أخرى إن تطبيق الشريعة التطبيق الذي يناسب العصر وأحواله وتطوراته يتطلب إعادة بناء المرجعية للتطبيق).

فحقيقة الوضع هي أن الجابري لا يعتبر بالشـــريعة، لكنه بـــدلاً من أن يكون واضحاً في رفضه لها واعتبارها لما يخالفها؛ رفضها واعتبر ما يخالفها، لكن بحث عما يجعلها غير مخالفة!

فالجابـــري إذن يصل إلـــى ذات الغاية التـــي يجتمع إليها العلمانيـــون، وإنما تميز عنهم بأنه مزق من الأدوات التراثية ما جعلها طريقاً يوصله لهذه الغاية، ولهذا تجد الجابري يكرر ذات الإشكالات التي يثيرها العلمانيون ضد الشريعة، مثل:

لا بد من فصل الدين عن السياســـة حتى لا يؤدي ذلك إلى إدخال جرثومة التفرق والاختـــلاف في الدين، وما يحدثه من طائفية وحروب أهلية، وأنه يجب تنزيه الدين عن السياسة حتى لا يفقـــد روحه كونه مطلقاً، وهي نســـبية متغيرة[4]. إن تطبيق الحدود سيكون شبهة للتسييس[5].

وأما موقف الجابري من العلمانية؛ فهو في الحقيقة رفض لفظها، وقَبِـــل محتواها، فهو يرفض اللفـــظ لما تعرض له من إســـقاط وتشـــويه في نفوس عامة الناس، فأراد البحث له عن ألفاظ بديلة، فالعقلانية والديمقراطية التي عرضها بديلاً عن العلمانية تحمل ذات المضامين المستقرة في العلمانية.

بعد هذا يتضح جواب السؤال السابق:

## هل تحـوّل العلمانيون إلى الصف الإسـلامي وأصبح تحكيم الشريعة من الأمور المسلَّمة؟

بالتأكيـــد لا، فما زال العلمانيون علـــى موقفهم من رفض تحكيم الشـــريعة، إنما الذي استجد هو انتقال أكثر العلمانيين وبعض الإســـلاميين إلى تبنّي ذات الموقف العلماني من تحكيم الشـــريعة وهم يحســـبون أنها هي الشـــريعة، فبدلاً من رفض الشـــريعة تُفرَّغ من مضمونها وتعبأ بـــذات المضامين العلمانية والليبراليـــة، ولهذا يجـــري في رؤيتهم تأويـــل جميع الأحكام الشـــرعية التي تعترض عليها الثقافة الحداثية المعاصرة، فأي حكم لا ترتضيه الحداثة فهو مؤول ويبحث في ســـبيل ذلك عن أي خلافٍ فقهي أو سبب نزول أو أي مخرج من هنا أو هناك.

تطبيق الشـــريعة بعدم تطبيق الشـــريعة مســـلكٌ لجأ إليه العلمانيـــون هرباً من النفرة التي يجدون أنفســـهم فيها مع أي احتكاك لهم مع الشارع المسلم، كما ذهب إليها بعض الإسلاميين هرباً من الضغط الذي يلاحقهم به العلمانيون!

(١) الديمقراطية وحقوق الإنسان ١٨٤.
(٢) انظر: الديمقراطية وحقوق الإنسان ١٧٩ و١٨٣ و١٨٦.
(٣) الدين والدولة وتطبيق الشريعة ١٩٢.
(٤) انظر: الدين والدولة وتطبيق الشريعة ١١٦-١١٧ .
(٥) انظر: الدين والدولة وتطبيق الشريعة ٢٠٠.

في حوار مع البيان

# د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري(*):

## خدمة علوم القرآن والباحثين فيها مشروع فريد يقوم عليه مركز تفسير للدراسات القرآنية

أجرى الحوار: أحمد مقرم النهدي(**)
adan4004@gmail.com

### مقدمة الحوار:

**من القطاعات البحثية الحيوية قطاع الدراسات القرآنية، والذي كان ولا يزال في حاجة إلى بذل الجهود المضاعفة لتطويره والارتقاء به، ومن المراكز العلمية الرائدة «مركز تفسير للدراسات القرآنية»، وهو مركز نوعي في تخصصه، كرّس جهده في تطوير هذا القطاع، والعمل على إنشاء صرح مؤسسي يخدم هذا المجال الفريد.**

**وحيث يقام في مدينة الرياض المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية في الفترة من ٦ إلى ١٠ربيع الآخر ١٤٣٤هـ، بتنظيم من جامعة الملك سعود ممثلة في كرسي القرآن الكريم وعلومه بالتعاون مع مركز تفسير للدراسات القرآنية؛ فقد أجرينا حواراً مع فضيلة الشيخ د. عبدالرحمن بن معاضة الشهري رئيس المؤتمر ومدير عام مركز تفسير للدراسات القرآنية في الرياض.**

### أولاً: تأسيس مركز تفسير:

**البيان: لو حدثتنا عن نشأة المركز كيف ومتى بدأت؟**

أصل هذا المشروع بدأ بإنشاء موقع إلكتروني مع بدء دخول الإنترنت للسعودية عام ١٤١٩هـ، ثم تطور عام ١٤٢٣هـ ليكون منتدى حوارياً متخصصاً في الدراسات القرآنية باسم (ملتقى أهل التفسير). وبدأنا باستقطاب الباحثين وإثراء المنتدى بالموضوعات الجادة التي تجذب المهتمين الذين يتزايد عددهم يوماً بعد يوم، وحرصنا على الجدية في الملتقى، فترسخ لدى القارئ نوع من التقدير للملتقى وللمشاركين فيه، حيث يكتب أبرز الكتاب بأسمائهم الصريحة، وقد ساعد هذا على نجاح الملتقى منذ سنواته الأولى.

وفي عام ١٤٢٥هـ قررنا مع مجموعة من الزملاء المشرفين أن نحول هذا العمل الإلكتروني الناجح إلى عمل مؤسسي يكون مظلة للارتقاء بهذا المشروع الذي أثبت نجاحه في خدمة الباحثين في القرآن وعلومه، فكانت فكرة إنشاء مركز تفسير للدراسات القرآنية، ليكون مركز أبحاث ودراسات غير ربحي ومقره مدينة الرياض.

(*) أستاذ القرآن وعلومه المشارك بجامعة الملك سعود، والمشرف على كرسي القرآن وعلومه بالجامعة، مدير عام مركز تفسير للدراسات القرآنية.
(**) محرر بالبوابة الالكترونية لمركز تفسير.

**البيان: لا بد حتماً من صعوبات وعوائق واجهتكم، كيف تجاوزتموها وتعاملتم معها، وفي المقابل ما أبرز التسهيلات التي لم تكن تتوقعها أثناء التأسيس؟**

العوائق النظامية هي أبرز العقبات، حيث لا توجد أنظمة مسنونة تسهل عمل هذه المراكز البحثية، كما لا يوجد وعي كافٍ لدى رجال الأعمال والمؤسسات المانحة لتبني مثل هذه المراكز النوعية البحثية. ولكن إيماننا بالمشروع جعلنا نتجاوز هذه العقبات بتوفيق الله سبحانه وتعالى. ومن التسهيلات التي ساعدتنا على نجاح مشروعنا التعاون مع شركاء النجاح الكبار، مثل: معالي الشيخ صالح بن حميد عندما قبل رئاسة مجلس الإدارة، وكذلك معالي الدكتور عبدالله العثمان مدير جامعة الملك سعود عندما عرضت عليه عضوية مجلس الإدارة، فقد كان هذا مما ساعدنا على إنجاح مشروعنا، حيث بادر معالي الدكتور عبدالله العثمان إلى إنشاء كرسي القرآن الكريم وعلومه وكلفني بالإشراف عليه، فكان هذا معيناً لنا على الانتفاع من إمكانات جامعة الملك سعود الضخمة في خدمة القرآن وعلومه، وقد تحقق في ظل هذه الشراكة الرائعة عدد من المشروعات الكبرى، كموسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، والمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية الذي يعد الأول من نوعه، وهو شراكة بين كرسي القرآن وعلومه في كلية التربية بجامعة الملك سعود ومركز تفسير للدراسات القرآنية.

## ثانياً: المركز وخدمة الباحثين:

**البيان: يظهر جلياً اهتمام المركز بالخارج، وهو توجه رائع، وإبراز باحثين قل أن يعرفهم طلاب العلم وربما العلماء في العالم الإسلامي، هل هذا من سياسات المركز التي ينتهجها؟**

المركز رؤيته عالمية، حيث نصل إلى كل الباحثين اليوم من خلال البوابة الإلكترونية، كما أن الحوار العلمي الجاد على صفحات ملتقى أهل التفسير عرّفنا بمئات الباحثين الجادين المتميزين في العالم، وعقدنا علاقات تعاون علمي مميزة من وراء التعارف على صفحات ملتقى أهل التفسير، وهذه نعمة عظيمة منَّ الله بها علينا في الاستفادة من شبكة الإنترنت، ولم يعد يهم كثيراً مكان وجود الباحث مع وجود هذه الوسائل الحديثة في التواصل، وقد أسعدني كثيراً ما رأيته من الحب للملتقى وللمركز في زياراتي للعديد من دول العالم في المشرق والمغرب التي فيها نشاط للقرآن الكريم وعلومه، بل حتى في الولايات المتحدة وكندا وأوروبا – ولله الحمد، ولدينا علاقات علمية قوية مع عدد من الباحثين في مختلف دول العالم نعتبرهم بمثابة السفراء للمركز في تلك الدول دون أن يتقاضوا أي مرتبات من المركز، وإنما هو التطبيق الأمثل لمقولة: العلم رحم بين أهله، وهو من أقوى أواصر الرحم والمحبة في الله وخدمة العلم.

**البيان: ما الخدمات التي يقدمها المركز للباحثين، وكم بحثاً أصدرتم حتى الآن، وهل لك أن تطرح أسماء بارزة لباحثين وباحثات وبحوث أيضاً؟**

نحن نقدم للباحثين خبرات الخبراء الذين سبقوهم في البحث والدراسة مجاناً على صفحات الموقع الإلكتروني، وهذه من أعظم الخدمات التي يحتاج إليها الباحثون اليوم؛ فالمعلومة الصحيحة والدقيقة هي ما يحتاج إليه الباحثون في الدراسات العليا، ونحن نستهدف طبقة المتخصصين في القرآن وعلومه من الأساتذة وطلاب الدراسات العليا بالدرجة الأولى، فنحن في زمن التخصص، والنجاح قرين للتخصص اليوم إلا في حالات قليلة، وما وصل من الفوائد لغير هذه الفئة فهو كما تقول العامة (فوق البيعة)، ومع حبنا لخدمة الجميع، إلا أن إمكاناتنا المادية تحول دون استهداف جميع الشرائح. وقد أصدرنا ما يقارب من عشرين إصداراً بعضها طبع ونفد من الأسواق، مثل كتاب (مقالات في علوم القرآن) للدكتور مساعد الطيار، وبعضها سينزل للمكتبات قريباً جداً، ونطمح لأن يأتي وقت قريب يصبح فيه مركز تفسير المركزَ الاستشاري الأول على مستوى العالم في قضايا تطوير الدراسات القرآنية واستشراف مستقبلها. وأما الباحثون الذين يشاركوننا مشروعنا هذا فهم صفوة الباحثين والمتخصصين في القرآن وعلومه في جميع أنحاء العالم الإسلامي، ولكثرتهم لا أقدر على تسميتهم حتى لا أغفل منهم أحداً، بل إنني أقول: إن الباحث المتخصص الذي لا يشاركنا في ملتقى أهل التفسير نادر، وقد بلغ عدد المشاركين في حوارات ملتقى أهل التفسير أكثر من عشرة آلاف عضو معظمهم من المتخصصين في القرآن وعلومه وأساتذة في الجامعات

الإسلامية، والتسجيل لدينا مشروط بضوابط مسبقة، لأننا نؤمن بفكرة الانتقاء والجودة دون الالتفات للكثرة المجردة.

**البيان: عملية التواصل مع الباحثين ما آليتكم فيها، وما آليتكم في إصدار البحوث والدراسات من ناحية ضوابط البحث والطباعة وغير ذلك؟**

نحن نتواصل مع الباحثين بوسائل التواصل التقنية، كالبريد الإلكتروني والهاتف والزيارات المباشرة له، أو يقوم الباحث بزيارة المركز، ونستفيد من اللقاءات على هامش المؤتمرات الدولية والمحلية التي نحضرها في التعريف بمركزنا واستقطاب الكفاءات للمشاركة في مشروعاته. وأما آليتنا في إصدار البحوث فنحن نتبع أمثل الطرق البحثية في الجامعات التي درسنا فيها وندرس فيها اليوم، وقد حرصنا في المركز على تنويع المستشارين من كل العالم الإسلامي لتظهر ثمار المركز وعليه صبغة العالمية وعدم الانفراد بالرأي والرؤية، وأرجو أن يكون هذا ظاهراً بشكل إيجابي في إصدارات ومشروعات المركز.

**البيان: هل عندكم تصور عن مدى معرفة كليات القرآن وأساتذتها وطلابها في العالم عن مركزكم؟**

أزعم أننا وصلنا إلى شريحة كبيرة جداً من الفئة المستهدفة دون أن نبذل مالاً في الدعاية للمركز حتى الآن لقلة ذات اليد، لكننا سنبدأ في هذا العام ببعض الحملات الإعلامية التعريفية بمركز تفسير - إن شاء الله، وقد بدأنا بمجلة البيان فأعلنا فيها مع بدء عام ١٤٣٤هـ، ونحن متفائلون بذلك، وسنواصل التعريف بالمركز حتى يبلغ العالم كله، ويسمع بنا كل محتاج إلى خدماتنا خدمة للقرآن وعلومه، وقربة إلى الله بخدمة كتابه الكريم خدمة نوعية متقنة تليق بكتاب الله الكريم، ولدينا كل مقومات النجاح من عملنا في هذا البلد المبارك، وهو بلد كريم معطاء باذل لخدمة القرآن حكومةً وشعباً، وهو مهبط الوحي وأهله يحبون خدمة القرآن ويتشرفون بذلك من أعلى رجل في الدولة حتى أصغر طفل فيها، وأنا دائم التذكير لنفسي ولزملائي العاملين في المركز بهذا الشرف والاحتساب فيه.

**البيان: هل عندكم قائمة بالعناوين التي تحتاجون إلى البحث فيها، أم تأتيكم أفكار العناوين وتسعون لإصدارها؟**

نحن نستفيد من كل الأفكار التي تنتج داخل المركز أو خارجه، ونهتم بكل التفاصيل التي تنفعنا في مشروعنا، وقد جاءتنا الكثير من الأفكار الإبداعية من نقاشات جانبية أو إشارات صغيرة في حوارات جانبية هنا أو هناك، ولدينا إدارة للمشروعات في المركز تقوم ببلورة كل الأفكار ودراستها وتقديمها على هيئة مشروع نبدأ في دراسته ومدى جدوى تنفيذه.

## ثالثاً: مؤتمر تطوير الدراسات القرآنية:

**البيان: تستقبلون هذه الأيام مؤتمراً لتطوير الدراسات القرآنية، في البداية لو سألتك عن معنى العنوان كيف توضحه لنا، وما جوانب القصور في الدراسات القرآنية التي سيناقش المؤتمر تطويرها؟**

نقصد بالتطوير معناه الإيجابي، وهو التجديد العلمي المنضبط بأصول الفهم الصحيح للقرآن الكريم، مع الاستفادة من كل التقنيات والأدوات المساعدة على إيصال رسالة القرآن للعالمين، والارتقاء بمستوى البحث العلمي في القرآن وعلومه ليكون على مستوى تطلع الرواد من العلماء والباحثين، ومساعدة الباحثين المبتدئين على الارتقاء في درجات البحث العلمي في هذا التخصص وتطوير مهاراتهم البحثية والعلمية ليكونوا قدوة لطلابهم، وليكونوا على مستوى التحديات التي تواجهها أمتنا في هذا العصر، كما نعني بالتطوير تطوير الجوانب الإعلامية والتقنية والتمويلية التي تخدم القرآن الكريم وتساعد على نجاح مشروعاته، ولو تأملنا الجهود التي تبذل في خدمة الإنجيل والباحثين المتخصصين فيه لتملكنا الذهول من تلك الأموال التي تنفق في ذلك، لكننا نثق بتوفيق الله لأهل القرآن، ونجد من تسديد الله ما يجعلنا نواصل المسير في هذا المشروع ونطلب من كل من يبلغه خبرنا أن يخصنا بدعوة طيبة ينفعنا الله بها في الدنيا والآخرة.

وقد حرصنا في محاور المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية على الشمول، وقد انبثقت محاور المؤتمر في الحقيقة من الخطة الاستراتيجية لمركز تفسير للدراسات القرآنية، والتي وصلنا إليها مع أحد المراكز المتخصصة في التخطيط الاستراتيجي، ورأينا أن نحولها إلى مؤتمر عالمي لملاءمتها لأي قطاع يخدم الدراسات القرآنية، ومحاور المؤتمر ستة هي: المحور العلمي، والمحور التعليمي، والمحور التقني، والمحور الإعلامي، والمحور التمويلي، والمحور التشجيعي.

**البيان: ما أبرز المعلومات عن هذا المؤتمر من ناحية الباحثين وأوراق العمل والجهات المشاركة بشكل موجز؟**

وصلنا ما يزيد على ٣٥٠ بحثاً مشاركاً من مختلف دول العالم، وقد استعرضت اللجنة العلمية هذه البحوث وتواصلت مع الباحثين حتى سُلمت البحوث بشكل نهائي، وانتخبت اللجنة العلمية ما يقارب مئة بحث من هذه البحوث، وأخضعت كل البحوث المقدمة للتحكيم العلمي حسب تخصص البحث المقدم، وخلصت اللجنة العلمية إلى تقسيم البحوث المقبولة إلى ثلاثة أقسام: أولاً: البحوث المقبولة للعرض في جلسات المؤتمر وعددها ٣٤ بحثاً، ثانياً: البحوث المقبولة في حلقات نقاش وعددها ٢١ حلقة نقاش، ثالثاً: البحوث المقبولة للطباعة ضمن أعمال المؤتمر فقط وعددها ١٤ بحثاً؛ ومجموعها كلها ٦٩ بحثاً، وسنقوم بطباعة بحوث القسمين الأول والثالث وتوزيعها في المؤتمر وإتاحتها كذلك لعموم الباحثين عبر موقع مركز تفسير وبوابته الإلكترونية، ونرجو أن تكون وثيقة مفيدة للباحثين في تاريخ تطوير الدراسات القرآنية مستقبلاً.

**البيان: ما الطموح المأمول أن تقدمه الدراسات القرآنية في الساحة الفكرية والتنموية عموماً في عالمنا العربي والإسلامي؟**

نحن نشكو اليوم من ضعف أدواتنا في الدراسات التي تستشرف المستقبل للدراسات القرآنية وكيفية مشاركتها الفعلية في مستقبل الأمة الإسلامية، لكننا على يقين ووعي تام بأن الأمة في إقبال واضح على تعلم القرآن الكريم ودراسة علومه والعناية بتدبره، وهي في طريقها إلى ذلك تنتظر من أبنائها المتخصصين في القرآن وعلومه أن يتلمسوا لها الطريق الصحيح الذي ينبغي عليها سلوكه، وأن يستشرفوا لها مستقبل الدراسات القرآنية التي ترتقي بعلومه وتقربها للأمة الإسلامية بمختلف اللغات، وتوظف كل وسائل العصر وتقنياته في سبيل تحقيق هذه الرسالة، وهذا ميدان بكر نسعى جاهدين للتخصص فيه وإتقان أدواته، حيث يعتبر حقل استشراف المستقبل بكراً بشكل عام، فضلاً عن استشراف الحقول الخاصة كالدراسات القرآنية مثلاً، لكننا نعمل في هذا السبيل ونسأل الله التوفيق والسداد.

## رابعاً: قبل الختام.. تطلعات وتوصيات:

**البيان: ما الذي ترى أنه ينقص مركز تفسير، وما نداؤك الذي توجهه لجميع الشرائح في خدمة هذا المركز؟**

نحن نطمح إلى إنشاء أوقاف تكفل استمرار المركز، وتضمن استمرار نجاحاته، وتحقيق رؤيته العالمية الفريدة في خدمة القرآن وعلومه، وتطوير بيئة الدراسات القرآنية وتعزيز الناجحين فيها من المراكز والأفراد، ولو هدى الله أحد أثرياء المسلمين، وهم كثيرون، وشرح صدره لتبني مثل هذه الأوقاف؛ لحقق لمشروعنا الديمومة واستطاع المركز بذلك أن يحقق خططه وأهدافه، ونحن لا نخفي مدى حاجتنا لتعاون التجار ورجال الأعمال المسلمين، وتذكيرهم بمسؤوليتهم أمام الله في خدمة كتابه الكريم والانتصار له ممن يناله بسوء.

**البيان: خاتمة تود إرسالها لأهل القرآن والباحثين في هذا المجال، وكلمة أخيرة لهذا الحوار وقراء مجلة البيان والعاملين فيها؟**

أدعو إخواني وأحبابي الباحثين في القرآن وعلومه إلى تحمّل مسؤوليتهم في خدمة القرآن الكريم وعلومه والاحتساب في سبيل ذلك؛ بتعليم الناس كتاب الله والمشاركة الإيجابية الفاعلة في المشروعات الهادفة لخدمة القرآن، فالعمر يفنى والباقي هو العمل الصالح الخالص لوجه الله، وخيره ما كان في خدمة القرآن الكريم، وهو تخصص شريف ينبغي إعطاؤه حقه من النصح والبذل والناس في حاجة، وقد لمست من خلال تجربتي البسيطة في الإعلام قلة المبادرين للمشاركة في تعليم الناس القرآن وتفسيره وترسيخ المفاهيم الصحيحة في أصول التفسير وكيفية التعامل معه وتدبره دون إفراط أو تفريط حتى لا يتجرأ على هذا العلم من ليس من أهله فيضر أكثر مما ينفع.

وأما أحبابي في مجلة البيان فأسأل الله لهم المزيد من التوفيق، وأثمن جهودهم وأدعوهم للاستمرار في توعية الجيل المسلم، فهو في أمس الحاجة إلى مجلة البيان وأمثالها من المجلات الرائدة الرصينة المتوازنة العميقة.

[موقف]

# الاحتلال الأمريكي يدير المالكي وأتباعه

الشيخ حارث الضاري(*)

تشهد المدن العراقية منذ عدة أسابيع ثورة عارمة ضد حكومة نوري المالكي، ومن عوامل وأسباب هذه الثورة الظلم المتراكم والاضطهاد المتواصل والفشل السياسي وانعدام الحد الأدنى لشروط الحياة البسيطة، وقبل ذلك رفض الاحتلال وتوابعه؛ كلها عوامل أسهمت في حصول ما حصل. أما بخصوص ما يردده البعض بأن الثورة لها علاقة بما يحدث في سورية، فإن هذه القضية لها حضور لكن ليست هي السبب الرئيسي في ذلك، فالجماهير العراقية لأول مرة يتاح لها الخروج والتظاهر من قبل السلطات المحلية في هذه المناطق؛ ولذا خرجوا بقوة للتعبير عما يعانونه متجاوزين الأمرين المذكورين إلى المطالب الأساسية والضرورية للجماهير الثائرة، التي لم يعد بينها شيء منهما.

هذه الثورة نتيجة الظلم الواقع على الشعب العراقي وليست وسيلة لتخفيف الضغط عن الثوار في سورية كما يرى البعض؛ فالعراقيون ثاروا لأسبابهم الخاصة التي سبق بيانها، ولكن بلا شك سيكون ذلك عامل تخفيف عن ثوار سورية ووسيلة إلهاء لنظام المالكي عن تقديم الدعم الكبير والمتواصل لنظام الحكم في سورية.

ورغم طائفية الحكم في العراق واضطهاد أهل السنة هناك، فإننا نرى أن الثورة شملت الكل بلا استثناء، ولا أعتقد أن يتحول الوضع في العراق إلى صراع طائفي؛ لأسباب عديدة ومعروفة لدى العارفين بالوضع العراقي، وأما الصراع المسلح فهو مرهون بتطور الأحداث وطريقة تعامل الحكومة مع المطالب الجماهيرية.

وقد اتضح جلياً أن الموضوع لا يتعلق بأهل السنة، وإنما بأصحاب خيار الخلاص من الأوضاع السياسية التي يعيشها العراقيون، وها هو خيارهم يتحقق على أرض الواقع متمثلاً في (مظاهراتهم واحتجاجاتهم) و(مطالبهم المعلنة)، بعيداً عن أدعياء السياسة من (السنة) الذين أسهموا في إرساء دعائم النظام السياسي الحالي بكل موبقاته وآثاره السيئة. ومن هذه الموبقات: الدعوات المشبوهة لتقسيم العراق تحت عنوان الفيدراليات، وهو مشروع أعداء العراق والأمة، ولا توجد مقارنة بين ما يدعون إليه من فيدراليات وبين الوضع في كردستان.

أما بخصوص دخول التيار الصدري في أحداث الثورة، فإنني أرى أن وراء ذلك توجهات سياسية خاصة، وإحساساً بالمتغيرات الجديدة في المنطقة، ومحاولة للاستفادة من المتغيرات الجديدة في العراق لغرض تحسين قواعد اللعبة السياسية وتحسين الصورة ما أمكن، وإلا فإنه شريك لغيره في سنّ هذه القوانين الجائرة، ولا يزال متمسكاً بها مثل قانون الاجتثاث ومادة (٤) إرهاب.

وكما يرى أصحاب العقل والبيان، فإن أمريكا لم تخرج من العراق نهائياً، بل ما زالت موجودة فيه بطريقتها الخاصة، وما زال العراق خاضعاً للاحتلال بصورة رسمية وفقاً للبند السابع من ميثاق الأمم المتحدة، كما أن الأيدي الأمريكية واضحة جداً في تسيير الأمور بالبلاد، فضلاً عن تواجد كمٍّ لا بأس به من قواتها في العراق، وعودة جزء من قواتها المقاتلة إليه في الأشهر الماضية. وستعمل الولايات المتحدة على العودة الظاهرة والمباشرة بالطريقة المناسبة لها ولمصالحها في العراق، اقتصادياً وسياسياً، إذا رأت أن العودة إليه لا تكلفها كثيراً.

كما نستهجن تجاهل الإعلام العربي لقضية الشعب العراقي وثورته، وهذا التجاهل ليس مستغرباً؛ فمعاناتنا مستمرة من هذا الإعلام، الذي إن كان سابقاً خاضعاً للطغاة فإن كثيراً منه المفروض أنه تحرر الآن وأصبح أكثر استقلالية في تعامله مع أحداث المنطقة؛ لكن أين هو الآن؟

ونرى أن مستقبل العراق - بإذن الله تعالى - أفضل مما مضى طيلة العشر سنوات الماضية؛ فهذه الأزمة هي محاولة لتصحيح الأوضاع في العراق وإعادته إلى وصفه الطبيعي والمأمول. وفي الختام نسأل الله السلامة للعراق وأهله، ولسورية وأهلها، ولكل المسلمين.

(*) أمين عام هيئة علماء المسلمين في العراق.

# [ المسلمون.. والعالم ]

**مأساة مالي.. صوملة جديدة**
رأفت صلاح الدين

**ربيع العراق.. السُّنَّةُ ينتفضون والمالكي يترنح**
مجدي داود

**الربيع العراقي.. عوداً على بَدء**
د. أمجد الجنابي

**الحراك الشعبي العراقي.. في الميزان!**
محمد الطائي

**مرصد الأحداث**
عمرو عبد البديع

# مأساة مالي.. صوملة جديدة

رأفت صلاح الدين(*)

**لم يكد يصحو المسلمون من مآسيهم حتى ظهرت في الأفق مأساة جديدة يقود أوارها هذه المرة فرنسا، ربيبة الصليبية العالمية، التي لم تنس ماضيها الاستعماري البغيض، حيث تشن حرباً جديدة على دولة مالي بمباركة ومساندة من الأمم المتحدة، في عنوان جديد لحرب صليبية جديدة، وبأموال المسلمين.**

**فما زالت أياديها ملطخة بدماء الأبرياء في دول المغرب العربي وإفريقيا وغيرها، ثم هي اليوم تقود حرباً صليبية جديدة على بقعة جديدة من أراضي المسلمين في مالي المنكوبة. وحتى نستطيع فهم حقيقة الحرب الصليبية الجديدة على دولة جديدة من دول العالم الإسلامي، لا بد من توضيح بعض الحقائق التي قد يغيب بعضها عن كثير من الناس، من هذه المعطيات:**

## أولاً: مالي بين التاريخ والجغرافيا:

❊ جمهورية مالي: هي دولة إسلامية إفريقية تقع في غرب إفريقيا، وعاصمتها باماكو، وهي دولة غير ساحلية تحدها الجزائر شمالاً، والنيجر شرقاً، وبوركينا فاسو وساحل العاج في الجنوب، وغينيا من الغرب والجنوب، والسنغال وموريتانيا في الغرب. تزيد مساحتها على ١,٢٤٠,٠٠٠ كم$^2$، ويبلغ عدد سكانها ١٤,٥٣٣,٥١١ مليون نسمة، حسب آخر الإحصاءات.

❊ تقع مالي في منطقة الساحل، يقصد بالساحل المنطقة الواقعة ما بين شمال مالي في المنتصف وجنوب الجزائر وشمال النيجر وشرق موريتانيا وجنوب ليبيا، وتلك المساحة تتجاوز أربعة ملايين كيلومتر مربع، ويتنوع سكان تلك المنطقة فتضم القومية الأمازيغية والطوارق وبعض القبائل العربية والقبائل الإفريقية، ويدينون بالإسلام.

❊ تتألف مالي من عدة قبائل: الماندي وتبلغ ٥٠٪ (بامبارا، مالينكي، ساراكولي)، بيول ١٧٪، والفولتيك ١٢٪، وسونغاي ٦٪، طوارق وقبيلة مور ١٠٪، آخرون ٥٪.

وتعتبر الفرنسية اللغة الرسمية، والبامبارا الأكثر استخداماً، نحو ٨٠٪ من السكان.

❊ تبلغ نسبة المسلمين نحو ٩٠٪، ويبلغ النصارى نحو ١٪، وهناك ٩٪ ديانات إفريقية أخرى.

❊ نشأت في هذه المنطقة مملكة إسلامية عظيمة هي «مملكة مالي»، أو «إمبراطورية مالي»، التي تُعرف عند العامة ببلاد التكرور، وكانت تقع بين برنو شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً وجبال البربر شمالاً، وكانت تُعد من أعظم ممالك

(*) مدير تحرير مجلة قراءات إفريقية.

السودان الإسلامية، حيث بلغت المملكة أقصى عظمتها وقوتها.

وكانت مملكة مالي من أغنى ممالك السودان الغربي وأقواها، وازدهارها كان يمثّل أعظم فترات التاريخ الإفريقي تطوّراً وتقدّماً، وحكامها كان لهم دور مهم في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، واشتهرت باسم مملكة مالي، كما عُرفت بمملكة الماندنجو.

والماندنجو، مؤسّسو مملكة مالي، كانوا من أكثر شعوب إفريقيا تحمّساً للإسلام، وقد اشتهر أن كنكن موسى، أشهر ملوك مالي، كان يبني مسجداً في كلّ مكان تدركه فيه الجمعة، وقد اقترن اتساع المملكة بالدعوة إلى الإسلام(١).

وأثناء أوجها، امتدت الإمبراطورية المالية من ساحل المحيط الأطلسي بالغرب إلى ما وراء تخوم منحنى نهر النيجر بالشرق، ومن حقول الذهب في غينيا بالجنوب إلى محطّ القوافل التجارية عبر الصحراء بالشمال. وكان إمبراطورها مانسا موسى قد حج لمكة عام ١٣٢٤م عبر القاهرة، واستقبله المماليك في القاهرة بحفاوة بالغة، وقد انخفض سعر الذهب بالعالم إثر رحلة الحج تلك لكثرة ما وزع من ذهب على طول الرحلة، وفي هذه السنة أصبحت العاصمة تمبكتو بجنوب غرب نهر النيجر، مركز تجارة الذهب وتعليم الإسلام، وفي سنة ١٥٠٠م امتد حكم مالي لمناطق بأعالي نهر النيجر(٢).

❋ استولت فرنسا على مالي أثناء احتلالها شمال إفريقيا أواخر القرن التاسع عشر، وجعلتها جزءاً من السودان الفرنسي. نالت السودان الفرنسية (سميت بعد ذلك باسم الجمهورية السودانية وهي ليست جمهورية السودان الحالية)، استقلالها في ٢٢ سبتمبر ١٩٦٠ مكونة مع السنغال اتحاد مالي، الذي ما لبث أن انحل عقده بعد عام في أعقاب انسحاب السنغال، فسمت الجمهورية السودانية نفسها باسم جمهورية مالي، وحكم البلاد موبيدو كايتا: ما بين ١٩٦٠ إلى ١٩٦٨.

❋ تنقسم مالي إلى ثلاثة أجزاء كل جزء تحكمه إحدى القبائل الثلاث، وهي: الطوارق ويبلغ عددهم نحو ربع السكان ينتشرون بالقرب من الصحراء الكبرى، ومناطقهم هي تمبكتو وكيدال وغاو الأمازيغ.

(١) د. الفاتح الشيخ يوسف، مظاهر الحضارة الإسلامية في الممالك الإفريقية، مجلة قراءات إفريقية، العدد ١٤ أكتوبر ٢٠١٢م.

(٢) موسوعة ويكيبيديا http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D9%85%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D8%B7%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A9%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%8A.

وقبائل البمبراو، ويبلغ عددهم ثلث عدد السكان، وينتشرون في بماكو وسيكاسو وسايغو وبقية المناطق الأخرى.

وقبيلة الهوتسو، وهم أقل من القبيلتين الأخريين تعداداً في مالي، وينتشرون في كاي.

❋ توجد في شمال مالي مدينة «تمبكتو»، وهي مدينة تاريخية إسلامية شهدت نهضة حضارية علمية إسلامية كبيرة، وهي تعد العاصمة الثقافية والتراثية لجمهورية مالي، وملتقى الحضارات والثقافات منذ مئات السنين، ومنارة العلم ومجمع العلماء، وتوجد بها أكبر كمية من المخطوطات في إفريقيا، وهي من أشهر المدن الإسلامية في القرن الثالث عشر، وملتقى القوافل البرية للقادمين من النيجر وليبيا، غير أن الحقبة الاستعمارية قد دمرتها، وحاولت طمس معالم الحضارة العربية الإسلامية فيها، في القرن السابع عشر، من خلال الرحلات الأوروبية، ليتعاقب عليها المستعمر الفرنسي الذي قاومته قبائل المنطقة من العرب الطوارق بقيادة المجاهد محمد على الأنصاري.

## ثانياً: أطراف الصراع:

### ١- فرنسا:

❋ منطقة الساحل منطقة نفوذ فرنسي، حيث احتلت كل دولها تقريباً في فترات سابقة، وما زالت صاحبة القرار في هذه البلدان. ولقد مارست فرنسا أبشع همجية في التاريخ الحديث كله، فهي التي قتلت مليون وستمائة ألف جزائري عبر سنوات احتلالها الهمجي للجزائر من ٥ يوليو ١٨٣٠ حتى ١ نوفمبر ١٩٥٤، ولم تكتف بذلك، بل حرق جنودها ومستوطنوها أرض الجزائر عندما أيقنوا أنهم مغادروها، كي لا ينتفع بها الجزائريون بعدهم؟!!

وهي التي ظلت تنهب خيرات إفريقيا حتى الرمق الأخير، وما زالت تسيطر على مناجم الماس والذهب والمعادن واليورانيوم في الدول الإفريقية، ثم تركتها في فترة الاستقلال الموهوم في ذيل الشعوب والأمم.. فأي مدنية وحضارة أصابت تلكم الشعوب من جرّاء سيطرة فرنسا عليهم لعشرات السنين؟!!

ثم هي التي هددت بعودة قواتها إلى الجزائر إذا فازت جبهة الإنقاذ الإسلامية في انتخابات عام ١٩٩٠، وقد ساعدت العسكر على تنحية جبهة الإنقاذ من الحكم؛ هذا غيض من

فيض من ممارسات فرنسا الإرهابية التي لا تمت للإنسانية بصلة، ولم تنته عن هذه الممارسات الشنيعة حتى اليوم.

### ٢ - أمريكا:

❋ توجد أطماع أمريكية في هذه المنطقة لعدة أسباب:

– وجود كثير من الثروات فيها، كالبترول والغاز والمعادن واليورانيوم الذي يشكل مع النيجر أكبر الاحتياطيات في العالم، وتهيمن عليه فرنسا ولا يستفيد منه أهلها.

– تسعى أمريكا منذ ٢٠٠٧م ليكون لها موطئ قدم في هذه المنطقة التي فضلها البنتاغون لتنفيذ مشروعه بإقامة مقر القيادة العسكرية الأمريكية في إفريقيا «أفريكوم» (AFRICOM)، ووقف رفض هذه الدول حجر عثرة أمام طموح أمريكا بإنشاء أكبر قاعدة عسكرية لها في إفريقيا في هذه المنطقة، خاصة الرئيس المالي المخلوع أمادو توماني توري، الذي اضطر القيادة الأمريكية إلى إدارة هذه القيادة – التي كان مخططاً لها أن تضم في حدود ٣٠٠٠ جندي وضابط – من قاعدة عسكرية أمريكية في مدينة شتوتغارت الألمانية.

– محاصرة المد الإسلامي، خاصة بعد تمدد القاعدة في الصحراء الكبرى، وتمركزهم في شمال مالي.

❋ بعض التحليلات السياسية توضح أن هناك صراعاً خفياً بين فرنسا وأمريكا على الغنيمة، وتحاول فرنسا أن يكون لها قدم السبق، فالمنطقة ملك خالص لها، فمن المسلّم به وجود تنافس بين أمريكا وفرنسا للسيطرة على هذه المنطقة الحيوية، والغنية بالثروات الطبيعية (المعادن والنفط واليورانيوم)، والتي هي في الأساس تابعة للنفوذ الفرنسي، لكن دخول أمريكا بقوة تحت دعوى مكافحة الإرهاب عجل من تدخل فرنسا.

### ٣ - الانقلابيون الماليون:

❋ وقع أغرب انقلاب في باماكو في ٢١ مارس ٢٠١٢م قام به أحد قادة الجيش ممن تدرب في أمريكا سابقاً النقيب «أمادو سانوغو»، حيث جاء الانقلاب قبل شهر واحد من موعد الانتخابات الرئاسية في البلاد، والتي كان محدداً لها أبريل ٢٠١٢م، وأعلن وقتها الرئيس المالي المخلوع أمادو توماني توري عدم ترشحه فيها؛ لإتمامه المرحلة الثانية من الحكم، بموجب الدستور الذي لا يجيز له الترشح لفترة ثالثة، وهو له سابقة تحسب له في تسليم الحكم للمدنيين بعد إدارته البلاد لفترة انتقالية استمرت ١٤ شهراً بعد الانقلاب الذي أطاح بالرئيس موسى تراوري، وقام بتسليم الحكم للرئيس ألفا عمر كوناري عقب انتخابات عام ١٩٩٢م.

❋ هذه المنطقة منذ مدة وهي مسرح لعمل المخابرات الأجنبية عامة والأمريكية خاصة مع تزايد نمو القاعدة، فكيف يحدث هذا الانقلاب دون علم هذه الأجهزة، إلا إذا كانت هي من تقف وراءه؟

❋ الانقلاب حدث بلا أي أهداف أو أسباب معقولة، حيث كان السبب المعلن عدم استجابة الحكومة لمطالب الجيش بتسليح رفاقهم الذين يعانون هزائم متكررة في شمال البلاد في حربهم ضد الطوارق وأفراد القاعدة، مع علمهم استحالة ذلك للوضع الاقتصادي المتردي للبلاد، وكذلك لأن قوام الجيش المالي صغير للغاية ولا يتحمل أي مواجهة مع الطوارق أو القاعدة أو القوات الغربية.

فماذا فعلوا بعد الانقلاب؟ هل سلحوا رفاقهم؟ أم زادوا الطين بلة؟ وجروا البلاد والعباد إلى أتون حرب لن يسلم منها أحد، وستزيد من معاناة الماليين أضعافاً مضاعفة.

❋ قام الانقلابيون بتسليم السلطة إلى رئيس انتقالي هو «ديونكوندا تراوري» – رئيس البرلمان السابق الذي كان مرشحاً لانتخابات الرئاسة المقررة في أبريل ٢٠١٢م – الذي جرى تنصيبه في ١٢ أبريل ٢٠١٢م بمقتضى تسوية إفريقية وضغط فرنسي، جاء ذلك بعد أسبوعين من الانقلاب، وظل قائد الانقلاب النقيب «أمادو سانوغو» ورجاله أصحاب النفوذ في باماكو.

وتم اختيار «شيخ موديبو ديارا» رئيساً للوزراء، وهو عالم سابق في إدارة الطيران والفضاء الأمريكية (ناسا) ورئيس مايكروسوفت في إفريقيا، وقد تولى منصب رئيس الوزراء في أبريل الماضي، وهو زوج ابنة الرئيس السابق موسى تراوري الذي انقلب عليه أمادو توري في عام ١٩٩١م.

وديارا كان من المؤيدين للتدخل الأجنبي، حيث أعلن مراراً تأييده لتدخل قوة عسكرية دولية سريعة في شمال مالي، قبل أن يجبره العسكر على تقديم استقالته في ديسمبر الماضي، ثم تم تعيين «ديانغو سيسوكو» – الحائز على شهادة الدكتوراه في القانون، والذي كان يشغل منصب الأمين العام لرئاسة الجمهورية في نظام موسى تراوري – رئيساً للحكومة يوم الثلاثاء ١١ ديسمبر.

### ٤ - الطوارق:

❊ يتواجد الطوارق في منطقة الشمال التي تبلغ مساحتها أكثر من ثلثي مساحة مالي؛ وهي منطقة نفوذ كامل للطوارق، كما يوجد الطوارق في البلدان المجاورة موزعين على هذه الدول مشكلين عبئاً ثقيلاً وموروثاً استعمارياً نتيجة تقسيم البلدان وفق هوى المستعمر.. تشبه مشكلتهم إلى حد كبير مشكلة الأكراد في العراق وسورية وإيران وتركيا.

### ٥ - الحركات الإسلامية الجهادية:

❊ وجود تمركز للجماعات المنتسبة للقاعدة في شمال مالي في مناطق الطوارق منذ فترة طويلة، ووجود تحالف بينهما يقوم على حماية المصالح والمنافع الشخصية لكلا الطرفين.

❊ الحركات الإسلامية الجهادية الموجودة في الشمال كثيرة ومختلفة ومتفرقة وبعضها مخترق، اللاعب الأكثر نشاطاً في المنطقة هو «حركة أنصار الدين» التي يعرّفها مؤسسوها بأنها «حركة شعبية جهادية»، وقد تعززت قوتها بانهيار نظام القذافي.. هذه الجماعة أسسها «إياد غالي»، وهو من أبناء أسر القيادات القبلية التاريخية لقبائل «الإيفوغاس» الطوارقية، قاد التمرد ضد الحكومة المالية في بداية تسعينيات القرن الماضي، وكان حينها قائداً قومياً أقرب إلى الفكر القومي الوطني منه إلى الفكر الإسلامي، وبعد توقيع اتفاقية السلام بين الحكومة المالية والمتمردين الطوارق عام ١٩٩٢، عمل قنصلاً عاماً لجمهورية مالي في جدة، لكن الرجل التزم في سنواته الأخيرة توجهاً دينياً، وتحولت رؤيته للعمل المسلح في أزواد من عمل نضالي تحرري إلى عمل جهادي ديني، ومع سقوط القذافي عاد «إياد غالي» إلى أزواد واتخذ من سلسلة جبال «أغارغار» مقراً له، وأسس تنظيمه الجديد، بعد أن تداعى إليه المئات من أبناء قبيلة الإيفوغاس التي ينتمي إليها، وبعض المنتمين لقبائل طوارقية أخرى، وقد بدا واضحاً أن «إياد غالي» استغل مكانته الاجتماعية وتوجهه الفكري في نشر دعوته بين السكان.

كما توجد «حركة الجهاد والتوحيد» في غرب إفريقيا، التي تأسست في أكتوبر عام ٢٠١١، ويقودها «سلطان ولد بادي»، إحدى شخصيات المجتمع العربي في أزواد، ومعه القائد الموريتاني السابق في القاعدة «حماد ولد محمد الخير» المكنى بـ «أبو القعقاع»، وإليهما انضم عشرات المقاتلين من أبناء القبائل العربية في شمال مالي، لتصبح الحركة بذلك واجهة للتيار الجهادي في المجموعات العربية بأزواد، تماماً كما شكلت «حركة أنصار الدين» الواجهة الجهادية داخل المجموعات الطوارقية.

وراء «جماعة أنصار الدين» الطوارقية، و«حركة الجهاد والتوحيد» العربية؛ يقف «تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي»، الذي وصل إلى المنطقة عام ٢٠٠٣ على يد أمير كتيبة الملثمين «مختار بالمختار» الملقب بـ «بلعور»، ويعتبر أرسخ التنظيمات قدماً في الصحراء الكبرى عموماً ومنطقة أزواد خصوصاً، وقد تمكن من استقطاب الكثيرين، وينسب إليه البعض اختطاف القنصل الجزائري في بلدة غاو الخميس ٥ أبريل ٢٠١٢.

كما شكل مؤخراً كتيبة أطلق عليها «الموقعون بالدماء»، والتي أعلنت مسؤوليتها عن اختطاف مئات الرهائن في مصنع للغاز في آن أمناس بجنوب الجزائر، والتي انتهت نهاية مأساوية بقتل العشرات من الرهائن والخاطفين.

### ٦ - دول الجوار:

❊ موقف دول الجوار - مثل الجزائر وموريتانيا والنيجر وبوركينا فاسو وساحل العاج والسنغال وغيرها- يثير كثيراً من التساؤلات؛ ففي حين أنهم أول من سيكوى بنيران الحرب، نجد أنهم يؤيدون التدخل العسكري في المنطقة، ولم نجد اعتراضاً من أيها، حتى دولة تونس رائدة الربيع العربي أيدت الهجمة الفرنسية على مالي.

فقد بدأت هجرات اللاجئين الماليين لبعض الدول المجاورة كموريتانيا، وقد تتفاقم المشاكل مما ينذر بوضع مأساوي لهذه الجموع التي ستنتقل عبر صحراء قاحلة.

أمر آخر متعلق بدول الجوار، وهو احتمال فرار كتائب جهادية إلى هذه الدول من جراء اشتداد المواجهة والقذف الجوي عليها، ما ينبئ بانتقال الفوضى إلى دول الجوار.

فما الذي يلجئ هذه الدول إلى اتخاذ هذا القرار؟ هل نار القاعدة أشد وطأة من نار الاحتلال واللاجئين؟ أم أن هناك تفاهمات سرية بينها وبين فرنسا؟!

## ثالثاً: حقيقة ما يجري في مالي وفق المعطيات السابقة:

لم تنس فرنسا إرثها الاستعماري ووصياتها على دول المنطقة، فمنذ استقلال مالي الشكلي عام ١٩٦٠م وهي تمارس كل أصناف الاستغلال والتدخل في هذه الدول، وهي تعمل كي تسيطر على عمل علاقات مع كل الأطراف من النظام الحاكم حتى الطوارق، فإعلان استقلال إقليم أزواد أبريل الماضي تم إعلانه من باريس، دون أي تعليق من الحكومة الفرنسية، كما تقوم فرنسا الاستعمارية باستغلال مقدرات هذه الدولة التي تعد من أفقر دول العالم رغم امتلاكها اليورانيوم بنسبة كبيرة ورغم وجود كثير من المعادن والثروات التي تستفيد منها فرنسا وحدها.

مع تصاعد الأحداث – التي هي صناعة غربية بامتياز – تخشى فرنسا على مناطق نفوذها في هذه المنطقة من القارة الإفريقية؛ في البداية أعلن وزير الدفاع الفرنسي جان إيف لودريان: إن التدخل العسكري في شمال مالي بات وشيكاً، وإن فرنسا لن تشارك في القتال ميدانياً، بل ستقدم مساعدات تقنية ولوجستية للقوة الإفريقية التي ستضم نحو ٣٣٠٠ جندي[١]، هذا في أكتوبر الماضي، ثم تغير الحال بعد استصدار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة قراراً رقم ٢٠٨٥ يسمح بنشر بعثة دعم دولية في مالي بقيادة إفريقية لفترة أولية مدتها عام واحد، تقوم باتخاذ جميع التدابير اللازمة[٢]، وذلك في ديسمبر الماضي، والخوف من التدخل الأمريكي المباشر للسيطرة على المنطقة؛ لذا سارعت فرنسا الاستعمارية منفردة بإعلان بدء العمليات العسكرية في مالي يوم الجمعة ١١ يناير ٢٠١٣م.

ومن ناحية أخرى، تسعى أمريكا للسيطرة على هذه المنطقة لتوسيع نفوذها واستغلال خيراتها، وكذلك لإقامة قاعدتها العسكرية أفريكوم، وقد رفضت هذه الدول – وخاصة مالي – إنشاء هذه القاعدة في المنطقة، كما أن أمريكا وفرنسا والغرب لهم أطماعهم وأهدافهم الخبيثة في وأد الحركات الإسلامية وحصار المد الإسلامي في الشمال الإفريقي، ووأد الإسلام ذاته، وتركيع بلاد المسلمين، ولا يتأتى لها ذلك إلا بغطاء دولي وإعلامي، وإعلانها الجاهز دوماً «الحرب على الإرهاب»، بمساعدة المتهورين من بني جلدتنا الذين يكررون الأخطاء، وهم يعلمون جيداً أن أمتنا في أضعف حالاتها وتسعى للخروج من شرنقة التبعية والتخلف بعد ثورات الربيع العربي ووصول بعض الأحزاب الإسلامية إلى سدة الحكم.

لذا سارت أمريكا في ثلاثة اتجاهات:

– حرّضت أحد قادة الجيش ممن تدرب في أمريكا سابقاً، النقيب «أمادو سانوغو»، على القيام بانقلاب عسكري غير مبرر على الإطلاق وبلا أهداف منطقية.

– في نفس الوقت تحرك الطوارق بعد أن تذكروا أن لهم مطالب بإقامة دولة في أرض الشمال التي يسيطرون عليها سيطرة تامة بلا أدنى تدخل من الحكومة؛ تحركوا للمطالبة بانفصال الشمال.

– هذا ما شجع بعض الجماعات المسلحة على إعلانهم إقامة دولة إسلامية.

وهذا لا يعد مبرراً على الإطلاق لمثل هذا التدخل الصليبي الذي يوضح أن هذه الدول لم ولن تتخلى عن سلوكها الاستعماري الصليبي.

التدخل العسكري في الدول تحت غطاء دولي وإعلامي وتبريري من البعض ينذر بصومة جديدة لهذه المنطقة، فالدول الغربية، وعلى رأسها أمريكا وفرنسا، لن تسعى لحل مشاكل مالي بقدر ما تسعى لإغراق هذه المنطقة في أتون صراعات لن تنتهي، حتى تصبح هي الملاذ والملجأ الذي يأوي إليه جميع الأطراف وحثه حتى يبقى لضمان الاستقرار الموهوم، وبالتالي تنجح هذه الدول في تحقيق مآربها.

والتدخل الأجنبي ونشر الفوضى الخلاقة هو السياسة الأمريكية التي وعدت بها دول العالم الإسلامي لنشر الصراعات والقلاقل والفوضى، والتي تنتهي بها مقومات الدول وتصبح الكيانات الموجودة في أضعف حالتها؛ لا تستطيع أن تقوم بنفسها وبالتالي تطلب الحماية والعون من هذه الدول الاستعمارية، كما ستتحول القوى والجيوش الموجودة في الدول إلى ميليشيات لا تستطيع أن تحمي حتى نفسها، والنتيجة دمار شامل وقتلى لا حصر لهم ولاجئون ومشتتون في صحراء جرداء، وتمضي فصول القصة بتفرقنا وغفلتنا وجهلنا وخيانة الكثيرين.

(١) موقع (فرانس ٢٤) – ١٨/١٠/٢٠١٢م، http://www.france24.com/ar

(2) http://daccess-dds-ny.un.org/doc/UNDOC/GEN/N1265/660//PDF/N1266065.pdf?OpenElement.

# أوراد

## أهل السنة والجماعة

من القرآن الكريم وصحيح السنة والنبوية

قال شيخ الإسلام: (فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحري من الذكر والدعاء، وسالكها على سبيل أمان وسلامة، والفوائد والنتائج التي تحصل لا يعبر عنها لسان، ولا يحيط بها إنسان).

في هذا الكتاب..

الثناء • الصلاة على الحبيب • الاستغفار • السؤالات • الاستعاذات
تفريج الكرب والهم • الرقية الشرعية • أذكار الصباح والمساء


للتوزيع الخيري والمبيعات في المملكة العربية السعودية - اليمن - السودان
دار رسالة البيان للنشر والتوزيع - هاتف : ٤٥٤٦٨٦٨ - تحويلة ٥٠٢/٥٠٠ - جوال : ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥
المنطقة الغربية : ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ - المنطقة الجنوبية : ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨ - القصيم : ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦
الشرقية : ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ - مكة : ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠

# ربيع العراق..

# السُّنَّةُ ينتفضون والمالكي يترنح

مجدي داود

لأول مرة منذ أن سقط العراق في يد الاحتلال الأمريكي الصليبي، يخرج مئات الآلاف من أهل السنة في مظاهرات حاشدة في معظم المحافظات ذات الأغلبية السنية، ليعلنوا عن هبة ضد الظلم والطغيان والاضطهاد الذي يتعرضون له على أيدي عصابات نوري المالكي الشيعي المذهب، المعروف بولائه لإيران، وليعلنوا مطالبهم بكل صراحة ووضوح، دون سابق إنذار أو مؤشرات لهذه الهبة الكبيرة، لاستعادة الحقوق وتصحيح المسار.

لقد تعرض المسلمون السنة في العراق للكثير من الظلم على أيدي الاحتلال الأمريكي ووكلائه من بعده، ذلك لأنهم رفضوا الاحتلال وأعلنوا الجهاد ضده، فتكالب عليهم المرتزقة من كل حدب وصوب، ووجهوا جميعاً سهامهم لأهل السنة، فاغتصبت نساؤهم، وشرد شبابهم، وقتل شيوخهم، وذبح أطفالهم، فاستشهد منهم مئات الآلاف، وامتلأت بهم السجون والمعتقلات، وقصفت مدنهم، ودكت بيوتهم، وما أحداث الفلوجة والرمادي والأنبار وصلاح الدين وغيرها عنا ببعيد.

ولقد سعى الاحتلال خلال وجوده إلى إعادة تشكيل العراق من جديد، ليجعل من حلفائه الشيعة أصحاب الكلمة الأولى والأخيرة في البلاد، فكان دستور «بريمر»، الذي جعل النظام السياسي في البلاد قائماً على المحاصصة الطائفية، والذي وافق عليه بعض القادة السياسيين السنة، وعلى رأسهم طارق الهاشمي والحزب الإسلامي الذي كان يمثله، وغيره، وهو ذات الدستور الذي مكن نوري المالكي وأمثاله من رقاب أهل السنة، وكانت حجتهم وقتئذ أنه يمكن تعديله بعد الموافقة عليه، لكن كيف يتم هذا وأي تعديل فيه سيحتاج إلى موافقة ٧٠ في المائة من الشعب، وبشرط عدم اعتراض ثلاث محافظات، ما يعني استحالة تعديله حتى بعد مائة عام، إلا أن تتغير التركيبة السكانية بالكامل؟

لجأ الاحتلال الأمريكي وحلفاؤه الشيعة إلى مطاردة الرموز السنية المجاهدة التي لم تقبل أن تشارك في هذه العملية السياسية الهزلية، وفقاً للقواعد التي وضعها الاحتلال لتحقيق أهدافه، وكان على رأس المطارَدين رئيس الوقف السني الدكتور عدنان الدليمي، والشيخ حارث الضاري الأمين العام لهيئة علماء المسلمين في العراق، الذي كان يرى أن هذا الدستور يمثل لغماً لتفجير الوضع العراقي، ويمهد لتقسيم العراق إلى دويلات متناحرة بما يصب في النهاية لخدمة الاحتلال وأعوانه في المنطقة، ولم يستمع ساسة السنة في العراق إلى نداءات ذلك الشيخ، بل صمتوا على مطاردته وإخوانه، وربما كانوا راغبين في ذلك.

صار أهل السنة في العراق بين فكي كماشة، فساستهم لا يهتمون لأمرهم، فرغم أنه صار منهم وزراء وكبار مسؤولين، وعلى رأسهم طارق الهاشمي نائب الرئيس السابق، وصالح المطلك نائب رئيس الوزراء، وأسامة النجيفي رئيس الوزراء العراقي؛ إلا أن السجون ظلت تعج بعشرات الألوف من أهل السنة، تنتهك فيها الحرمات وتغتصب فيها الحرائر، دون أن يحرك أحد من هؤلاء ساكناً، كما تركوا الشيعة يسيطرون على جميع المناصب القيادية في الدولة وإقصاء ممثلي السنة عن أهم وأفضل المناصب القيادية في الدولة، وفي أهم مؤسساتها من الجيش والشرطة والوزارات المختلفة، فعلى سبيل المثال هناك ٢٤ مديراً عاماً في وزارة التعليم العالي، واحد منهم فقط سني، ويتكون الجيش من ١٦ فرقة لا يوجد من بين قادة هذه الفرق سني واحد.

ما إن انقضت أهمية هؤلاء الساسة لدى نوري المالكي، حتى سارع في تلفيق قضية لهم، وبدأ بطارق الهاشمي، عندما طالب أهل السنة بإقامة أول إقليم لهم في محافظة صلاح الدين، حسبما ينص الدستور، ثم تلتها الأنبار والموصل ثم ديالى، وطورد طارق الهاشمي، ثم حكم عليه بالإعدام، وتخلى حلفاؤه عنه، وبعد عام أعاد المالكي الكرة من جديد، واعتقل عناصر حماية رافع العيساوي وزير المالية السني، بنفس التهم التي وجهت للهاشمي من قبل.

خلال كل تلك الفترة، كان الشارع السني يتلقى الضربات في سكون، بعدما نجح الاحتلال الأمريكي وحلفاؤه الشيعة مع بعض الخونة في توجيه ضربات قوية للمقاومة، وبشكل خاص بعد تشكيل ما يسمى «الصحوات» التي أثرت بشكل كبير في قدرات المقاومة، وعندما خرج الاحتلال الأمريكي، التزم الشارع السني السكون، إلا أنه فجأة وبعيداً عن كل التوقعات، ثارت ثائرته، واندلعت التظاهرات في المظاهرات السنية، وعادت الحياة إلى الفلوجة، فانتفضت برجالها، وانتفضت نينوى والرمادي والأنبار وصلاح الدين، وخرج مئات الآلاف من السنة في مظاهرات مستمرة يومياً، وقام بعضهم بالاعتصام.

هذا الحراك السني الكبير في العراق اليوم يشكل مأزقاً كبيراً لنوري المالكي وعصابته، فالرجل نجح بامتياز في خلق المزيد من العداوات له، فمن ناحية خلق أزمة مع إقليم كردستان العراق، وأصبحت العلاقة بينهما متوترة، وينتظر قادة الإقليم الفرصة لسحب الثقة منه والإطاحة به من منصبه، ومن ناحية أخرى اصطنع أزمة مع تركيا، وصار يناكف رئيس الحكومة التركية رجب طيب أردوغان، ويسعى إلى تحقيق نوع من الضغط عليه عبر فتح خطوط تواصل مع المعارضة التركية، إضافة إلى ترنح النظام السوري، وقرب سقوطه، وتصاعد الأزمة الاقتصادية في حليفته الرئيسية إيران، بسبب العقوبات الدولية المفروضة عليها.

وإن تلك الأزمة التي يعيشها المالكي ستدفعه إلى محاولة إفشال الربيع العراقي مبكراً، وإفساد ذلك الحراك

وإجهاض الانتفاضة السنية بأي شكل من الأشكال، وقد بدأ المالكي بتهديد أئمة المساجد وبعض مجالس المحافظات السنية الداعمين والداعين لهذه التظاهرات، ثم بدأ بتشويه التظاهرات، وإلقاء التهم عليها جزافاً، ثم تهديد المتظاهرين بالعنف وإطلاق النار عليهم بشكل محدود نسبياً في بعض المناطق، لكنه لم ينجح في ذلك حتى الآن.

أمام المالكي اليوم خياران لإجهاض تلك الانتفاضة السنية، أولها هو سبيل القوة، ويبدأ بتخوين المتظاهرين، ومحاولة تصوير الأمر على أنه ثورة طائفية، وربما يقوم ببعض التفجيرات في المناطق الشيعية، تتبعها حملة أمنية كبيرة على المتظاهرين والمعتصمين، مراهناً على رد فعلهم، فإما أنهم سينفضّون وتنتهي الأزمة، أو أنهم سيلجأون إلى الدفاع عن أنفسهم بصد العنف وحمل السلاح، وبهذا سيصورهم على أنهم إرهابيون مجرمون يريدون إسقاط الدولة، وغير ذلك من الشعارات الكاذبة التي يبرع في استخدامها.

أما الخيار الثاني فهو استخدام الأساليب الناعمة في تفريق المتظاهرين، وذلك من خلال بعض الساسة المشبوهين الذين لا يعرفون سوى مصالحهم الشخصية، أو أن يرسل إليهم من يظنونه منهم، فيخالف مطالبهم الواضحة التي يتحرج المالكي من إنكارها، ويطالب بأخرى ذات صبغة طائفية واضحة، أو تثير الفرقة فيما بينهم، أو أن يعلن قبول بعض المطالب دون بعض، مستهدفاً بذلك استمالة بعض المتظاهرين إليه وتخليهم عن الحراك الحالي، فإذا ما انتهت الأزمة تنكر للجميع، وهيهات أن يستعيدوا ذلك الحراك مرة أخرى.

إن أمام سنة العراق تحديات عظيمة لاستمرار ذلك الحراك الكبير، يأتي على رأسها ضرورة عدم تسليم قيادة تلك الجموع إلى أي قيادة سياسية ممن شاركت في العملية السياسية على مدار الفترة الماضي، فهذا الحراك هو حراك شعبي بامتياز، لا تحركه مجموعة الساسة الذين كانوا شركاء فيما وصل إليه حال سنة العراق، وليس سببه، كما يروج بعضهم، هو ما تعرض له وزير المالية «رافع العيساوي»، بل كان ذلك فقط نقطة الانطلاق وليس السبب، ولهذا يجب أن يبعد أمثال هؤلاء عن المشهد الثوري تماماً، ولقد جربهم أهل السنة على مدار سنوات ولم يحققوا لهم أي إنجاز.

كذلك ينبغي على المتظاهرين الحذر بشدة من جميع الفصائل السياسية في العراق، وبشكل خاص التيار الصدري، فهو يلعب دوراً مشبوهاً في العملية السياسية في العراق، ولا يمكن الجزم بأنه مع هذا أو ذاك، لكنه في كل أزمة يتظاهر بالوقوف في وجه المالكي ويتحالف مع الطرف الآخر، ثم فجأة يتراجع ويترك ذلك الطرف وحيداً، وقد حدث ذلك في أكثر من موقف، منها موقفه من مطالب القائمة العراقية وقتما ثارت أزمة الهاشمي وإعلانه دعم مطالبهم وحق السنة في إقامة الأقاليم ثم تراجعه بعد ذلك، تلا ذلك تحالفه مع الأكراد العام المنقضي لسحب الثقة من نوري المالكي ثم تراجعه؛ فالصدر يريد أن يصور نفسه اليوم على أنه إحدى أضلاع هذا الربيع العراقي، والخشية كل الخشية أن يكون سبباً في إفساد هذا الحراك.

إن استمرار هذا الحراك الثوري يتطلب صد ألاعيب نوري المالكي في جر الثوار إلى العنف، من خلال استفزازهم بتصرفاته المعروفة، فبقاء هذا الحراك الثوري سلمياً قدر الإمكان هو أكثر ما يهدد حصون المالكي، ويؤدي إلى تفكك تحالفاته السياسية، ويمنعه من فرصة التذرع بضرورة مواجهة المتظاهرين حفاظاً على أمن البلاد، أما إن لجأ هو إلى العنف على نطاق واسع، فها هنا يجب التصدي له ولعصاباته.

وعلى أهل السنة في العراق أن يصمدوا حتى تحقيق أهدافهم، وعلى رأسها رحيل نوري المالكي نهائياً، وعليهم ألا يتفاوضوا على هذا المطلب أياً كانت الظروف، وأن يهددوا بتصعيد الأمور تدريجياً، وألا يكشفوا أوراقهم مرة واحدة؛ حتى لا يفسد حراكهم ويتراجعوا بعد ذلك، فإنهم إن تراجعوا اليوم دون تحقيق الأهداف الرئيسية، فلن يكون لهذا الحراك أي معنى أو نتيجة إيجابية، بل سيكون فرصة للمالكي وعصاباته لمعرفة القيادات أو الهيئات أو الجماعات المؤثرة في أهل السنة وتصفيتها تماماً، حتى لا يقوموا بأي حراك مستقبلي.

وأخيراً، لقد حان الوقت لعودة قادة أهل السنة ورموزهم الحقيقيين ليقوموا بدورهم في استعادة الحقوق المنهوبة ورفع الظلم والاضطهاد، فعلى المتظاهرين أن يجعلوا من ضمن أهدافهم عودة الشيخ حارث الضاري والدكتور عدنان الدليمي، وغيرهما من أهل الفضل والسبق والجهاد.

# نماء

منهج بناء الشخصية الإسلامية
من الرضاعة إلى ما بعد الجامعة

للمربين..
..للأسرة..
..للدعاة

بمشاركة فريق من الباحثين المختصين

إعداد مؤسسة
المربي
ALMURABBI

إخراج و تصميم
BN
www.BNet.ws

# الربيع العراقي..
# عوداً على بَدء

د. أمجد الجنابي
amjedaljanabi@yahoo.com

قبيل رحيل العام الميلادي ٢٠١٢ بنحو عشرة أيام، تحركت حشود من أهل الرمادي غربي العراق باتجاه الطريق الدولي السريع ليعلنوا اعتصاماً مفتوحاً حتى تحقيق مطالبهم التي بدأت جزئية ومحددة بعدم المسّ برموز أهل السنة وبإطلاق سراح حماية وزير المالية رافع العيساوي كي لا يتكرر سيناريو طارق الهاشمي مرة أخرى، إذ بدأ باعتقال أفراد من حمايته ثم انتهى بإصدار خمسة أحكام غيابية بالإعدام على الهاشمي، زعماً أنه كان يوجههم ويموّلهم لتنفيذ عمليات قتل ضد المدنيين وهو نائب رئيس الجمهورية!!

ثم توالت أيام الاعتصام وتوسعت رقعته بسبب عدم الاستجابة من الطرف الحكومي، بل والتهكم والاستهزاء من قبل وزراء ونواب وأعضاء كتلة حزب الدعوة بزعامة رئيس الحكومة نوري المالكي، بل جاءت أجرأ كلمات الازدراء على لسانه حين وصف هذه الانتفاضة بـ (النتنة) و(الفقاعة)، ما استفز المعتصمين لتنساح هذه التظاهرات في كل الرقعة الجغرافية التي يقطنها أهل السنة والجماعة من العرب، فتشمل أكثر من نصف مساحة العراق بدءاً من الأنبار وصلاح الدين والموصل وديالى وبغداد، ونادت هذه الجموع المليونية في جمعات متتالية بمطالب لهذا المكون بعد أن عانوا الإقصاء والتهميش وشتى صنوف الظلم التي بات من المسلّم بها في أوساط العرب من أهل السنة في العراق.

وبالنظر في عمق تاريخ العـــراق الذي تربى على مواقفه البطولية المســـلمون من ســـنة العراق، عرباً وكرداً وتركمان؛ نكتشـــف أنهم كانوا وما زالوا لا يتصـــورون أن حاكماً ينبري لقيـــادة العراق ثم يفعل بهم من الظلـــم ما فعله المالكي، وهم يستحضرون مواقف فاتح العراق الخليفة الراشد الثاني عمر بـــن الخطاب – رضي الله عنه –، ومنهـــا ما ثبت عن مجيء وفد العراق لمقابلة سيدنا عمر يقودهم الأحنف بن قيس، وهو سيد من ســـادات العراق، فحينما وصلوا وجدوا سيدنا عمر يغســـل الإبل بنفسه ويقول: يا أحنف! تعال أعن أمير المؤمنين على إبـــل الصدقة. فقال رجل من الوفد: رحمك الله يا أمير المؤمنـــين هلا أمرت عبداً من عبيدك ينظف هذه الإبل. فقال عمـــر: وأي عبد هو أعبد مني، ومـــن الأحنف بن قيس، ألم تعلـــم أنه من ولي أمر المســـلمين كان لهـــم بمنزلة العبد من السيد؟!.. على مثل هذه العبارات والمواعظ تربى سنة العراق، فهـــم يتعاملون بأبوية مع كل العراقيين على مختلف توجهاتهم وعقائدهم، وقد أثبت التاريخ المعاصر أن العراق يبقى موحداً وقوياً وفاعلاً كلما كان أهل السنة في سدة الحكم، فهم العمود الذي يرفع ســـقف الخيمة، فإذا ذهب العمود سقطت الخيمة فوق رؤوس ساكنيها.

لقد صرح غير واحد من قيادات الشـــيعة أن المالكي نجح وبامتياز في توحيد الكورد والســـنة وتفتيت الشـــيعة، مع أن حزب الدعوة قد تقدم وســـعى بكل طاقاته ليخدم المشـــروع الشيعي وعلى جميع المستويات، لكن مكره كان أرضياً وبحدود المشـــاهد والمنظور، فلما بلغ الســـيل الزبـــى كان الله تعالى أســـرع مكراً؛ فخرجت ملايين أهل السنة على تنوع توجهاتهم رافضين الظلم وصادحين بحقوقهم، نعم لقد كانت أســـباب كثيـــرة جعلت أتباع المالكي يقفون لوحدهم، فقد بلغ الفســـاد مبلغه، إذ استشـــرى في كل مؤسســـات الدولـــة وزحف على مقدراتها فباتت خاوية على عروشـــها، وما جرى ويجري من سرقات في السر والعلن للميزانية الضخمة للعراق والتي قد تجاوزت ١٢٠ مليـــار دولار؛ كل ذلك وغيره دفع بقيادات هذا الحزب إلى زاوية حادة يعانون فيها العزلة والوحدة إلا من يد إيرانية تمتد بين الحـــين والآخر لتفكك بعض الأزمات مقابل مواقـــف باهظة يدفعها هذا الحزب خدمة للمصالح الإيرانية في المنطقة، ومنها ما جرى ويجري من دعم النظام الســـوري المتهالك وقد بات غير خاف على أحد.

انظر إلى قدر الله تعالى الرحيم، إذ بدأت مقاومة الاحتلال الأمريكـــي المنهزم من مـــدن الأنبار في الفلوجـــة والرمادي والقائم، وكانت أشـــرس المعارك هنـــاك، ثم عادت اليوم هذه المدن ذاتها لتعلن تحرير العـــراق من النفوذ الإيراني المتغلغل فـــي العراق، فمن كانت بدايته محرقة كانت نهايته مشـــرقة، فالرجال هـــم ذات الرجال، ودافع الغيرة على الدين والعرض والأرض هـــو ذات الدافع، ولن تســـكت هذه الصرخات حتى تحقيـــق كل المطالب، وقد فاقت الوقائع تحليل أكبر المتفائلين في ديمومتها، فجاءت متســـعة مكاناً وحشوداً، وصارت اليوم علامة بارزة وشامة ظاهرة في تاريخ العراق.

وللناظر مرة أخرى في صفحات التاريخ قد يجد شـــيئاً ممـــا تعرض له العراق من الظلم، ومنه ما حدث في ســـنة (٦١٧هـ)، ففي هذه السنة عمّ البلاء وعظم العزاء بجنكيز خـــان، ووصل إلى بلاد العراق ومـــا حولها حتى انتهى إلى إربل (محافظة أربيل في كوردســـتان العراق)، فملكوها في ســـنةٍ واحدة، وقتلوا في هذه السنة من المسلمين ما لا يحد ولا يوصف، وبالجملة فلـــم يدخلوا بلداً إلا قتلوا جميع من فيـــه من المقاتلـــة والرجال، وكثيراً من النســـاء والأطفال، وأتلفوا مـــا فيه، ثم نهبوا ما احتاجوا إليه، وبالحريق إن لم يحتاجوا إليه، حتى إنهم كانوا يجمعون الحرير الكثير الذي يعجزون عن حمله فيطلقون فيـــه النار وهم ينظرون إليه، ويخربون المنازل، وما عجـــزوا عن تخريبه يحرقونه، وأكثر ما يحرقون المساجد والجوامع، وكانوا يأخذون الأسارى من المســـلمين، فيقاتلون بهم، ويحاصرون بهم، وإن لم ينصاعوا في القتـــال قتلوهم، وذكر ابن الأثيـــر – رحمه الله – عن هذه الحادثة فقال: فلو قـــال قائلٌ إن العالم منذُ خلق الله آدم وإلى الآن لم يبتلوا بمثلها لـــكان صادقاً، فإن التواريخ لم تتضمـــن ما يقاربها ولا يدانيها؛ كأننـــا نقول لو أن ابن الأثيـــر امتد عمـــره وعاش في هذه المـــدة التي حكم فيها المذهب الرافضي لتراجع عـــن قوله ولوصف ما جرى من قتل مليون ونصف المليون من أهل العراق على يد الاحتلال وأذنابه وحكوماته المتعاقبة بأنه جدير بأن تفرد له مجلدات تتناول أســـبابه وأفكاره ودوافعه ومن المسبب الرئيس فيه.. بمقارنة بســـيطة بين الأعداد في ذلك الزمان والأعداد في

هذا الزمان نكتشف بسهولة فظاعة ما آل إليه حال العراق على يد هؤلاء.

إن ما جرى من تعذيب وتقتيل وظلم لأهل السنة في العراق قد فاق حتى ظلم التتر وعنجهيتهم؛ فقد قبع عشرات الآلاف من السنة في السجون الحكومية لسنوات طوال من غير ذنب ولا تهمة، وبعضهم حكم عليه بالمؤبد مرتين وقد اقتيد أول الأمر من الشارع بشكل عشوائي!

مئات القصص بل آلاف يمكن أن تحكى لأجيال قادمة عن الظلم الذي لف هذه المحافظات وحاول أن يسحق إرادة أبنائها بمخطط صهيوصفوي تبادلت الأدوار فيه أمريكا وإيران وتعاونتا بشكل لافت للنظر في كثير من مفاصله، وبخاصة حين يتعلق الأمر بحقوق السنة العرب.

وفي أحاديث النبي ﷺ دروس وتوجيهات في هذا السياق، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكَ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: إِنَّكُمْ تقرءون هذه الآية: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ** ﴾ [المائدة: ١٠٥] وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ؛ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ».

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُمَا عَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ تَصْنَعُ بِهَذِهِ الْآيَةِ؟ فَقَالَ: أَيَّةُ آيَةٍ؟ قُلْتُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ** ﴾. قَالَ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْهَا خَبِيرًا، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: [بَلِ] ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ وَفِي رِوَايَةٍ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ.

لقد أدرك سنة العراق الدرس واستفاقوا على ظلم وظالم، فلم يعد في قاموسهم ما يقولونه إلا ما يدور حول معاني الحرية والعدل وإنصاف المظلوم والسعي على الأرملة واليتيم، لقد صبروا كثيراً وسكتوا طويلاً وقد جاء أوان الكلام.

إن الحق أحق أن يتبع، وهو قادم بقدر رباني، فقد رفعت أكف الضراعة وصعدت الدعوات تطرق أبواب السماء تشكو ظلم الظالمين وتدعو لغضبة عارمة تعيد الحق لأهله، وقد صارت أرض العراق في محافظاتها السنية تنادي بنداء الشاعر العراقي وليد الأعظمي في قصيدته (ثوروا على الباغي الذليل):

ثوروا على الباغي الذليل
واحموا تعاليم الرسول
وابغوا الحياة كريمة
في ظل دستور نبيل
وتمردوا فالحر يأبى
أن يساوى بالذليل
والموت أهون عند نفس
الحر من حكم الدخيل
بغداد يا دار الرجولة
والبطولة والعقول
بغداد يا أم الحياة
وربة المجد الأثيل
هزي قلاع الظالمين
السالكين خطى المغول
المستبدين الطغاة
الحاكمين بلا أصول
الحاقدين على معاني
الخير والخلق الجميل

أدرك عقلاء هذه الأمة، ومنذ وقت مبكر، حجم المؤامرة على العراق بشكل عام، فقد أعلن وزير الدفاع الأمريكي رامسفيلد الأسبق بعد ثلاث ساعات فقط من تفجير البرجين في نيويورك، ضرورة الحرب على العراق، محملاً إياه مسؤولية دعم الإرهاب، وأهم دول محور الشر، كما صنفه القاموس السياسي لإدارة بوش، وهي العراق وإيران وكوريا الشمالية. ووضع العراق على قائمة الدول التي يجب أن تتحمل مسؤولية ما حدث في الحادي عشر من أيلول، على الرغم من عدم توفر أي دليل يربط العراق بما حدث، ولا بأي علاقة بينية بين أسامة بن لادن وتنظيمه تنظيم (القاعدة)، فلا يمكن أن يوجد تعاون بين الطرفين

لاختـــلاف العقائد والأهداف بين الحزب الحاكم في العراق برئاســـة صدام حســـين، الذي يتبنى العلمانية، وبين تنظيم دينـــي كتنظيم القاعدة، ومع كل هذه الحقائق تم غزو العراق وتدميـــره، ثم الاتيـــان بحكومات شـــيعية متعاقبة مدعومة أمريكيـــاً وإيرانياً، مع الحرص علـــى عدم تدخل العرب في صناعة القرار العراقي.

وبعد انكســـار الجيـــش الأمريكي على يـــد أبطال أهل السنة والجماعة، تم وبشكل متواز تسليم كل مقدرات العراق وسلطاته المركزية لفريق شيعي أسهم بشكل واضح في إخراج الأمريكان من محنتهم في المســـتنقع العراقي وبتعاون إيراني مكشـــوف، وبنفس الوقت تم محاولة تركيع السنة وإرغامهم على القبول بالوضع الجديد للعراق وبالتدخل السافر لإيران، فجرب الســـنة كل الخيارات فلم تفلح، فكان خيارهم الأخير وهـــو إعلان الغضـــب وتفجيره في ســـاحات الاعتصام عبر مظاهرات سلمية سلاحها الصوت والتكبير والحشود المليونية أسوة بالشعوب العربية المنتفضة، ورددوا مع الشاعر المصري جويدة قصيدته (اغضب):

**اغضب**
**فالأرض تحزن حين ترتجف النسور**
**ويحتويها الخوف والحزن الدفين**
**اغضب**
**فإنك إن ركعت اليوم**
**سوف تظل تركع بعد آلاف السنين**
**اغضب**
**فإن الله لا يرضى الهوان لأمة**
**كانت ورب الناس خير العالمين**

وطبيعة الفرد العراقي أنه يقتحم الشـــداد والمكاره، وكما جاء في المعاجم وصفاً لصنف من الرجال إنه لشـــرّاب بأنقُع: وهو يقال للرجل المعاود للخير والشر. والأنقُع: جمع نَقَع، وهو الموضع الذي يَستنقع فيه الماء، وأصله أن الطائر إذا كان حذِراً ورد المَناقِـــع في الفَلوات، حيث لا تبلغ القناص، ولا تنصب له الأشـــراك. وقيل: هو مثل للرجل المعـــاود للأمور التي تُكره، واحتُج بقول الحجّاج: يا أهل العراق إنكم لشرابون عليّ بأنقع، أي معاودون للأمور الشداد. فإذا تطاول الظالم فقد انضاف لشخصية العراقي مادة أخرى تدعوه للخروج وإعلان مطالبه وحقوقه وقد كان.

**اغضب ولا تسمع أحد**
**قالوا بأن الأرض شاخت.. أجدبت**
**منذ استراح العجز في أحشائها..**
**نامت ولم تنجب ولد..**
**الأرض تحمل فاتركوها الآن**
**غاضبة ففي أحشائها..**
**سخط تجاوز كل حد**
**تخفي أساها عن عيون الناس**
**تنكر عجزها**
**لا تأمنن لسخط بركان خمد**
**لو أجهضوها ألف عام**
**سوف يولد من ثراها كل يوم ألف غد**

إنـــه درس لكل حاكم يعتلي عرش العراق، لســـت بمأمن مـــن رياح التغييـــر، واحذر غضبة الحليـــم إذا غضب، وهي رســـائل تتسلمها الشعوب وتســـلمها لحكامها حين يأتي أوان التغيير وتبدأ تفاريج النور تقشـــع ظلام الليل فتشرق بعدها شـــمس الحقيقة منيرة الدروب للتائهين وناشرة دفء العدل بين الناس.. شـــعوب العرب اليوم تشتاق لعودة العراق والمسلم العربي لسان حاله يقول:

إني أحن إلى العراق وإنني ❊ لا من رصافته ولا من كرخه

إنهـــا إرادة الله تعالى التي دفعت اليوم هذه الجموع لتعلن براءتها من الظلم وتســـعى لحكم نفسها بنفسها عبر رجالها وعشـــائرها، مستمدين إرث العزة والكرامة من تلك الصولات والبطولات التـــي مرغت أنف أكبر قوة لجيش أرضي فهزمته وكســـرته، وعاد اليوم أســـياده يفكرون ألف مرة قبل الإقدام مرة أخرى علـــى غزو العراق. نعم، إنها أيـــام لها ما بعدها، فريـــاح التغيير والإصلاح تعصف بـــكل جنبات هذه المنطقة، فإن رفع العراق رأســـه من جديد فسيكون مرة أخرى البوابة الشرقية الحصينة للمسلمين العرب، وسيعود توازن للقوى كان قد فقدناه في العشر سنوات الأخيرة، ويعود قول المتنبي يتردد من جديد:

كيف لا يأمن العراق ومصر ❊ وسرايـاك دونها والخيولُ

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

# الحراك الشعبي العراقي..
# في الميزان!

محمد الطائي

## لا بد من مقدمة

هــلّ الربيع العربي... وجل الأنظمة الدكتاتورية الحاكمة فيه هرمة!... عضت على كراســي حكمها ببقايا أســنانها المتآكلة!... وقد نخر الفساد جنباتها وأركانها... فغدت وكأنها خشب مسندة!!!... تحاول منع أعاصير الانقلابات... وتصارع كيد المؤامرات من أحزاب أو كتل أو تنظيمات... وهي تظن أنها مدركة بذلك طريق البقاء والنجاة!!!... والدهر يقول: هيهات وهيهات!!!

فأسقطتها بين ليلة وضحاها نسائم التظاهرات العفوية... وزعزعت بنيانها قوة الشعارات السلمية... وخرجت الجماهير من صمت ظنه الطغاة أبدياً.

وقد يظن البعض (مخطئاً) أن الشعوب قد خرجت من المعارضة إلى التمكين!!!... أو من الخريف إلى الربيع!!!... لكن الحقيقة تقول إنها خرجت من القمع إلى الاســتهداف!... ومن خريف ربما كانت تتستر ببعض أوراقه المتساقطة... إلى شتاء لا يرحم فيه مطر ولا يرفق فيه ثلج!!!

ولربمــا اختلفت الأنظمة العربية في تعاملها مع آثار ذلك الربيع الهاب... والذي بدأ يُســقط أحجار الدومينو العربي الواحدة تلو الأخرى دون موعد ولا استئذان... فبينما حاول البعض المكابرة لكنه سرعان ما سقط... حاول الآخر إعادة ترتيب أوراقه الداخلية غالقاً أبوابه ولو مؤقتاً بوجه التغيير... بينما انفرد النظام الحاكم في العراق بمزيد من الظلم والقهر والاستئصال لشرائح مصطفاة من شعبه وهو يرجو قتل روح المبادرة وزرع اليأس في نفوس جل العراقيين... ويتمنى إذا ما دقت نسائم الربيع بابه ولو بعد حين... أنها لن تجد من يفتح لها... وقد أزال الظلم من قاموس الخيرين عبارات المقاومة والإباء!!!

## الربيع العربي.. والدولة العميقة

وســـواء أخذنا برأي الحكومات العراقية الطائفية بعد الاحتلال أو لم نأخذ برأيها (وهو الصواب) مـــن أن الربيع العربي انطلق مبكراً من العراق حين احتله الغـــزو الأمريكي!!!... فـــكان أن صنـــع العراق أنموذجـــاً فريداً من الديمقراطية كان على الـــدول العربية حينها أن تســـتلهم منه الدروس (كمـــا صرح بذلك رئيس الوزراء المالكي)... ولو بعد ســـنين، وكل حســـب فهمه ووعيه!!!... وكأن ما حصل في العراق صفحـــة من الإصلاح والبناء!!!... فلا خيانة للبلد ومقدراته!!!... ولا قدوم على ظهر دبابات المحتل وطائراته!!!... ولا دمار شاملاً للبنيـــة التحتية وبأياد عميلـــة عراقية... من قبل أن يكون بأياد مغتصبة أجنبية!!!... حتى باعوا الوطن ومن يعيش على أرض الوطن إلى المحتـــل (الأمريكي منه والإيراني) بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من المجرمين!!!

ومن أخطر وأعقد (وأصدق) المصطلحات التي أفرزها الربيع العربي والثورات الشعبية التي صنعت فيه التغيير، هو مصطلح (الدولة العميقة)... وهو مصطلح يعبر عن جدار عال يصطدم فيه التغيير إذا ما نجح في إســـقاط رأس النظام... حيث التركة الثقيلة... والآثار المحفورة على كل جدار في مؤسســـات الدولة وأروقتهـــا... حتى تبين لثوار الشـــعب حقيقة الصراع القـــادم وخطورته ومن أن تغيير رأس النظام أهون من إزالة آثاره.

## حكومات الاحتلال والدولة العميقة

لقد أدركت الحكومات العراقية الطائفية بعد احتلال العراق عام ٢٠٠٣... وبمشورة إيرانية خبيثة؛ خطر بقاء الدولة العميقة التي بناها النظام البعثي الســـابق (رغم علّاتها)، فسارعت إلى حـــرق الأخضر واليابس وتدمير أركان الدولة ما ظهر منها وما بطن في خطوة اســـتباقية ســـريعة ربما تكون واحداً من أهم أســـباب استمرار بقائها على كرســـي الظلم ليومنا هذا، وذلك من خلال:

١. حل الجيش العراقي بكامل صنوفه وقطعاته.

٢. حل وزارة الإعلام.

٣. إصدار قانون اجتثاث البعث ليشمل عزل كل من لا يروق للحكومة تواجده في عمله.

٤. ممارسة الاستئصال والقتل والتهجير بحق المخالفين في المذهب والسياسة والفكر.

٥. تدمير البنى التحتية.

٦. إشـــاعة ثقافة اســـتلام البلد تراباً وقاعاً صفصفاً من النظام البائد... فلا تنتظروا الإصلاح القريب.

كمـــا ســـلكت الحكومـــات الطائفية مـــن أول الاحتلال (وبمعونته) طريقاً مرســـوماً التقت عليـــه مصالح الاحتلالين الإيراني والأمريكي... في اســـتلام العملاء والسراق وأصحاب المشاريع الهدامة زمامَ الحكم... وإقصاء أهل السنة عن الشراكة في صناعة القرار العراقي لأسباب يطول شرحها... وذلك من خلال برنامج متواصل ومدعوم من ثلاث مراحل، هي:

١. منع أهل الســـنة من المشاركة في العملية السياسية من خلال تشجيع ودعم الداعين إلى بطلان العملية السياسية تحت ظل الاحتلال!!!... وبعدة وسائل والتفافات قد لا تسعها سطورنا اليـــوم... أو من خلال التهديدات والاغتيالات والتصفيات على

يد الميليشيات والقاعدة، وكلاهما وجهان لعملة التومان الإيراني الخسيس!!!

٢. إسقاط القلة القليلة المشاركة في العملية السياسية من أهل السنة، من خلال تهميشهم وسحب صلاحياتهم وإسقاطهم في نظر جمهورهم وأنهم لا يقدرون على تلبية احتياجاتهم الدنيا من العزة والكرامة والمساواة.

٣. استهداف السياسيين الفاعلين والمعارضين لسياسة الحكومة بملفات فساد وإرهاب ملفقة وجاهزة.

كل هذا من أجل الوصول إلى الهدف الأسمى في ولادة اليأس والإحباط حتى عند أصحاب الغيرة على الوطن منهم، وبالتالي تتحرك الحكومة إلى المربع المريح لها لتصنع بنفسها الشريك الخانع الذي تريده من العملاء العرب السنة فيعتبرونه الممثل الشرعي للأغلبية السنية المغلوبة على أمرها... وهم على ذلك سائرون!!!

ثم كان أن بدأت تلك الحكومات ببناء الجيش الطائفي من خلال زرع العصابات والميليشيات المدعومة من إيران فيه وخاصة قياداته... ومن ثم سعت إلى تفريغ الوزارات وأجهزة الدولة من الكفاءات العلمية والرموز الوطنية واستبدالها بكوادر متدنية وطائفية... حتى بلغ الأمر أشده في وزارة المالكي الحالية، حيث كان وزير التعليم العالي والبحث العلمي فيه والحائز بصعوبة على شهادة البكالوريوس!!!... قد حول الوزارة إلى حسينية كبيرة ملفوفة باللون الأسود وهو في طريقه لاستئصال الكفاءات وغير الكفاءات من أهل السنة!!!... أضف إلى ذلك وزير النقل الفذ هادي العامري المشرف العام على نقل الميليشيات أيام القتل الطائفي في العراق!!!... وغيرهم كثير.

فكان أن نجحت حكومات الاحتلال الطائفية... وآخرها حكومة المالكي وبامتياز... في استهداف وحدة العراق ونسيجه؛ فجعلت من السجون والمعتقلات بيوتاً لأهل السنة، وختمت عليهم كمواطنين من الدرجة الثانية... ومن ثم فتحت ملف الكرد وهي تسعى لابتلاع إقليمهم كجزء من مشروعها الإيراني... وأفلحت في قطع كل العلاقات الطيبة مع دول الجوار... وأورثت خراباً وفساداً مالياً... جعل من الحكومة العراقية الأكثر انتهاكاً لحقوق الإنسان... ومن العراق البلد الأكثر فساداً في العالم... ومن بغداد الرشيد العاصمة الأقل نظافة في الوجود!!!

## مسبّبات الحراك الشعبي

بالتأكيد، فإن كل ما ذكرنا من ويلات وانتهاكات كانت تمثل بركاناً يغلي في صدور العراقيين... وظلماً لا يمكن أن يدوم وإن طال... لكنه كان في حاجة إلى فتيل يؤججه... وظهر الظلم الطائفي كان بحاجة إلى قشة تقصمه.

فكان أن تحرك المالكي بين ليلة وضحاها... بقوة وبطش وحقد... نحو رافع العيساوي وزير المالية العراقي والقيادي السني الأبرز في الساحة السياسية اليوم... معتقلاً مسؤول حمايته ثم أفراداً من حمايته... ثم جميع حمايته!!!... ومن خلال التهمة الجاهزة لكل القيادات السنية بل حتى عوامها... تهمة الإرهاب!!!... ثم كانت المداهمات الهوجاء (ومن قبل قوات تابعة للمالكي مباشرة) لمقرات العيساوي السياسية ومقرات حمايته ومنزله في محافظة الأنبار ومكاتب وزارة المالية!!!... لتظهر بعدها وبقدرة قادر اعترافات (تم الحصول عليها تحت وطأة التعذيب المميت والتهديد باغتصاب الأعراض!!!).

ولا أدري هل وقع المالكي بشر أعماله التي سعى بها لاستئصال أهل السنة حين أقدم على هذه الخطوة؟!... أم أنها مشورة البطانة السيئة للمالكي التي جرأته على الاستعجال بإسقاط رمز سني آخر؟!... أم أنه الفراغ الرئاسي الذي خلفه الموت السريري لرئيس الجمهورية الطلباني؟!... المهم... حصل ما حصل وولدت قشة البعير من رحم الأزمة.

ورغم أن للمالكي سوابق في استهداف قائمة عريضة من القيادات والرموز السنية... والتي نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: الدكتور عدنان محمد سلمان، وطارق الهاشمي، ومحمد الدايني، ورياض العضاض، وليث الدليمي، وآخرون من أعضاء البرلمان وأعضاء مجالس المحافظات وشيوخ وأعيان القوم... إلا أن استهدافه الأخير للعيساوي كان ذا أبعاد مختلفة بعضها له علاقة بالدكتور رافع العيساوي بشكل خاص، منها:

١. الخطاب الناري الذي خرج به العيساوي عقب الاعتداء ليثبت من خلاله قوة موقفه وليدافع عن حمايته بقوة... وليصف الحكومة بأنها حكومة ميليشيات... ما أسقطها في عيون العراقيين... وما ألهب مشاعر المظلومين ودفعهم للإقدام وكسر حاجز الصمت على الظلم.

٢. التفاف السياسيين حول رافع العيساوي بشكل سريع وخروجهم بمؤتمر صحفي في نفس اليوم وظهورهم كقوة واحدة.

٣. العمق العشائري للعيساوي من خلال عشيرة العيساويين في محافظة الأنبار.

٤. الأثر الطيب للعيساوي في تقديم يد العون لأهله من عموم محافظته بتنوع عشائرها وأعيانها ومكوناتها.

والبعض الآخر من تلك الأبعاد خارجية مثل:

١. الثورة السورية وما كانت تقدمه من زخم للمظلومين في العراق.

٢. نمو ملف اعتقال النساء في العراق محل أزواجهن المتهمين ظلماً بالإرهاب، والاعتراف الرسمي بوجود حالات الاعتداء والاغتصاب داخل السجون، وما سبّبه من غضبة جماهيرية، إضافة إلى حالة الاغتصاب التي قام بها ضابط من الجيش العراقي لفتاة قاصر في الموصل قبل أيام من الحراك الشعبي.

## بداية ونمو الحراك

١. كانت البداية للحراك الشعبي عفوية غير موجهة... انطلقت من مدينة الفلوجة البطلة التي ارتبط اسمها بالبطولات وقد أرغمت المحتل الأمريكي بالأمس على تجرع ذل الهزيمة وألم الانكسار... وهي مسقط رأس الدكتور رافع العيساوي ومستقر عشيرته وعزوته، حيث بدأ الناس في التجمع الطبيعي شيئاً فشيئاً... فكانت تظاهرات ساخطة انتقلت خلال ساعات إلى اعتصام يهدد بالعصيان... وسرعان ما أصبح المشهد مهيباً ترسمه مئات الألوف من الرجال.

٢. لقد كانت الساعات الأولى للحراك تتسم بغياب التوجه الواضح، وعدم القدرة على ترتيب وتهذيب المتطلبات بما يجعل الشارع العراقي بكل مكوناته متعاطفاً معها وداعماً لتحقيقها... لكنها وبمرور الوقت خرجت إلى النضج والاتزان بفضل الله وهمة المنظمين المتبرعين لإدارتها، وكان من أهم معالم هذا النضج:

· اللسان الواثق المبين الذي بيّن للسامع والمشاهد أن ما ينادي به أهل الحراك هو ليس طلبات بعضها مشروع وبعضها غير مشروع كما حاولت أن تروج الحكومة الطائفية ووسائل إعلامها الموتور... بل هي حقوق مسلوبة يحاول المظلومون استرجاعها.

· الثقافة العالية والإدارة الواعية التي منعت بعض الآحاد من الخطابات أو الصور المستفزة من الاستمرار بالتواجد في ساحة الحراك... والتي قد اعتمدها بعض المغرضين حجة لتشويه صورة الحراك وكأنها تعبر عن توجهاته.

· الانتقال التدريجي السريع من العفوية نحو التخصص والتنظيم.

· سرعة ترتيب الصفوف وتوزيع الأدوار بين أهل التخصص.

٣. انطلاق الحراك الشعبي في جميع المحافظات السنية المظلومة وكما يلي:

· محافظة الأنبار: ظهر حراك شعبي آخر في مدينة الرمادي مركز محافظة الأنبار ثم في المناطق الغربية من المحفظة بشكل أقل، وبقي الحشد الجماهيري في الأنبار وليومنا هذا رمزاً للحراك الشعبي وزخماً لبقية المحافظات في العراق... والأكثر تفاعلاً وحضوراً، حيث اقترب الحضور في مدينة الفلوجة وحدها من النصف مليون متظاهر.

· محافظة صلاح الدين: وهي المحافظة الثانية التي وصل إليها الحراك، وكانت ذروته وما زالت في مدينة سامراء التي تطمع الحكومة الطائفية إلى ضمها للخارطة الشيعية لوجود مرقد الإمامين العسكريين فيها، رغم أنها مدينة لا يقطنها ولا مواطن شيعي واحد!!!... ثم تعداها الحراك إلى مدينتي تكريت وبيجي، لكن بقي الحراك في سامراء الأكثر وعياً وتنظيماً وزخماً.

· محافظة الموصل: والتي تأخرت لأيام عن اللحاق بأخواتها في الحراك الشعبي... لأسباب لعل أهمها قوة الجيش الطائفي المرابط في تلك المحافظة شبه المحتلة!!!... لكن وبمرور الأيام نما الحراك.

· محافظة ديالى: تلك المحافظة المظلومة مرتين... مرة من الحكومة العراقية الطائفية، ومرة من جوارها غير المرغوب فيه لإيران أس البلاء وأصله!!!... وقد انضمت إلى أخواتها في الحراك وسط المضايقات الكبيرة من الجيش الطائفي فيها.

· محافظة كركوك: وقد ظن الكثير أن لا يزورها الحراك الشعبي؛ لأنها مزيج من كل مكونات العراق وشرائحه، حيث يصعب اتفاقهم على أمر واحد... لكنها وأمام صدق مطالب المظلومين وقوة عزيمتهم نالت شرف هذا العز.

· العاصمة بغداد: وهي الثكنة العسكرية للمالكي وجيشه!!!... انتظرت أسبوعين بعد الحراك حتى تنطلق بتجمعاتها من جامع الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان في مدينة الأعظمية رغم مضايقات الجيش وإغلاق الطرقات... ولتعيد

الكرة في الجمعة التي تليها في جامعي أبي حنيفة النعمان وأم القرى... ثم لتشهد في الجمعة الثالثة صلوات جامعة في مساجد عدة في أنحاء متعددة في وسط العاصمة وأطرافها أعادت الثقة للبغداديين من أن عاصمتهم لم تسقط بعد بيد الفرس... وأدخلت في ذات الوقت الرعب في قلوب الحكومة وجيشها ومن أنهم لم يحكموا القبضة على بغداد رغم ظلمهم وقهرهم... كما أنهم لم يفلحوا في قتل روح الجهاد والثورة في أبنائها.

٤. كانت مطاليب الحراك الشعبي قد بدأت بأهم وأعجل الاحتياجات، حيث تم إطلاق سراح الآلاف المؤلفة من المعتقلات والمعتقلين الأبرياء في سجون المالكي، فلم تبق عائلة من عوائل أهل السنة إلا ولديها معتقل أو شهيد، وقد حرص المالكي على أن يختم على جميع أهل السنة بالإرهاب... ثم أضيف لها مطالب إلغاء المادة (٤ إرهاب) أو كما يطلق عليها مادة: ٤ سنة!!!... لأنها مخصصة لاستهداف واعتقال أهل السنة والجماعة!!!... وأضيف لها تفعيل التوازن في أجهزة الدولة خاصة الأمنية منها والعسكرية، والتي يشكل المكون الشيعي نسبة ٩٨٪ من قياداتها!!!... أضف إلى ذلك ملف إخراج القوات العسكرية الطائفية من المدن التي تحتلها لتحل محلها قوات من الشرطة تشكل من أبناء المحافظة.

٥. أما استراتيجية الحراك فقد اعتمدت على إدامة الزخم ومضاعفة الحضور... حيث الأساس المتين الذي ينطلق منه الحراك إلى طلبات مشروعة مقنعة مرتبة حسب أولويتها وأهميتها وصولاً إلى الدعوة نحو إسقاط المالكي وحكومته في حالة عدم الاستجابة لمتطلبات الحراك الشعبي.

## من يقود الحراك؟

لقد حرصت الحكومة العراقية وإعلامها المنحاز على تشويه صورة الحراك من يومه الأول... وإظهاره وكأنه يقاد من ثلة متطرفة تريد الضرر بوحدة العراق وإثارة النعرات الطائفية... وأنه مدعوم مالياً من دول إقليمية وعربية من أجل تنفيذ أجندة هدامة تستهدف العراق الديمقراطي الجديد!!!... وسرعان ما فضحت كل تلك الادعاءات أمام براءة الحراك ومصداقيته وسيرته الوطنية وتبني أبناؤه مستلزماته كافة... فمن يقود الحراك الشعبي إذاً!!!... ومن هنا نقول:

١. حرص بعض السياسيين والبرلمانيين السنة على أن يركبوا موجة هذا الحراك الشعبي... خاصة والانتخابات المحلية على الأبواب... لكن رسالة جماهير الحراك الشعبي كانت واضحة وحازمة منذ البداية... إنكم أيها السياسيون لم تفلحوا في تأمين حقوقنا وقد أوصلناكم بدمائنا إلى مقاعد البرلمان... فلن نسمح لكم اليوم بأن ترتقوا على دمائنا ثانية لتتمسكوا بتلك المقاعد ومنافعها المادية... مع وجود تنسيق مع بعض المخلصين منهم في صياغة المطالب ومشاركة البعض في سوح الحراك كمواطنين في الحراك.

٢. كان للعمامة البيضاء ورجال الدين الدور الريادي في توجيه الحراك... فهم في خطاباتهم وتوجيهاتهم وتواجدهم وسط الجماهير بعثوا الأمل في قيادة أمينة صادقة لا تبتغي من هذا الحراك أجراً ولا شكوراً؛ إلا السعي لإعادة حقوق المظلومين.

٣. نشأت بمرور الأيام ما أسماه الحراك الشعبي بالتنسيقيات، وهي تجمعات إدارية متخصصة لقيادة الحراك في كل محافظة، وقد بدأت تنمو وترتب عملها حتى صارت الناطق الرسمي والمشرف الفعلي والحارس الأمين لكل تظاهرة واعتصام داخل الحراك الشعبي.

## الحراك الشعبي في الإعلام

لعب الإعلام دوراً مهماً في توصيف الحراك الشعبي ونقل أنشطته ورسائله... ما بين ثورة في الإعلام الإلكتروني على الفيسبوك والتويتر... ونشاط في الإعلام المسموع والمقروء وجهد في النقل الفضائي المرئي الذي يمكن تصنيف قنواته الفضائية كما يلي:

١. القنوات الحكومية والكتل الطائفية... وكانت تحارب الحراك وتحاول أن تصوره كعدو يستهدف الشيعة ويريد إعادة البعثيين الظلمة إلى الحكم.

٢. القنوات العربية على العموم هاملة لهذا الحراك باستثناء قناة الجزيرة.

٣. القنوات العراقية العلمانية... بدأت بإهمال الحراك في أول أيامه واليوم تحاول أن تركب الموجة.

٤. قنوات المحافظات السنية تتبع سياسة المحافظين فيها، لكنها لا تستطيع إلا دعم الحراك.

٥. قنوات تابعة لهيئات أو مسؤولين... وهي تمارس تغطية للحدث مع الترويج لأصحابها وسياستهم.

٦. قناة بغداد الفضائية... وهي الوحيدة التي تبنت الحراك الشعبي منذ ساعاته الأولى حتى الآن وبكل جهد وسعي ومثابرة، وتلقت جزاء ذلك الإنذار من أكثر من جهة بالإيقاف والإغلاق!!!

## المواقف من الحراك الشعبي

١. موقف الحكومة: ونقصد بالحكومة رئيسها المالكي ورجال كتلة دولة القانون من الوزراء والبرلمانيين، وهم يقفون في صف معاداة الحراك والتشكيك بتوجهاته.

٢. الائتلاف الوطني الشيعي: وقد كانت توجهاته في البحث عن السبل التي تجعله يحافظ على مكتسباته التي نالها في السنوات الماضية على حساب أهل السنة، وذلك بمسارين:

· عدم الانزلاق في صراع واشتباك قد يؤدي إلى ضياع مغانم السنين.

· عدم الاستجابة لمتطلبات الحراك الشعبي التي قد تعيد العملية السياسية العرجاء التي استأصلوا بها المنافسين إلى المربع الأول.

مع ضرورة الانتباه إلى دور تخذيلي معروف للتيار الصدري يحاولون من خلاله لعب دور المجس الخارجي للائتلاف ومحاولة إجهاض الحراك في الوقت الملائم... وما تخذيلهم لحلفائهم في سحب الثقة عن رئيس الوزراء المالكي قبل أشهر عنا ببعيد... ودور آخر يتحرك به المجلس الأعلى بزعامة الحكيم للعب دور المعتدل الوسطي ليوهم جمهور الحراك الشعبي بأن صوت العدل موجود داخل الائتلاف الوطني.

٣. المرجعية الشيعية: وهي حائرة ما بين مشروع طويل المدى تريد الحفاظ عليه... وتهور متوقع من المالكي في أي لحظة ينسف كل تلك الأحلام... لذلك رفضت استقبال المبعوثين رفيعي المستوى من المالكي (الشهرستاني والزهيري)، وأرسلوا للمالكي رسالة حادة مفادها أن حل البرلمان خط أحمر... والنظر في حقوق الحراك الشعبي هو من واجبات المالكي وحكومته.

٤. القائمة العراقية: إن المتبقي من القائمة العراقية بعد أن تشظت إلى أقسام متناثرة لأسباب منها جهد المالكي في شرائه ذمم الرخيصين منهم... ومنها عمالة بعض رجالها ممن ضحكوا على أذقان القائمة بدعوى وطنيتهم... المهم... فإن المتبقي منهم يتظاهرون بأنهم على قلب واحد في دعم متطلبات الحراك، ومنهم أفراد يشاركون في الحراك وهم على عدد أصابع اليد الواحدة.

٥. الكرد: وهم لهم مصالحهم وأولوية إقليمهم، لكن مع خلافهم الأخير مع المالكي حول مسائل مفصلية كتصدير النفط وتمويل قوات البيشمركة العسكرية وتقليص تخصيصات الإقليم، إضافة إلى تكشير المالكي عن أنيابه أمام الإقليم... كل هذا جعل للكرد موقفاً شبه بائن يؤيد متطلبات المظلومين من أهل السنة ولن يغادروه إلى ما هو أكثر من ذلك... إلا إذا ما التقى ذلك مع مصالحهم.

٦. إيران: كانت إيران حاضرة من أول أيام الحراك الشعبي!!!... من خلال الهتافات الشعبية التي كانت تنادي بخروج إيران من العراق... خاصة بعد تصريحات جنرالات الحرب الإيرانيين من أن إيران مستعدة للقضاء على المعتصمين في الأنبار إذا ما جاءها الضوء الأخضر من الحكومة العراقية!!!

## تحديات الحراك الشعبي

بالتأكيد هناك تحديات لهذا الحراك وإن بلغ المنعة بزخمه وقوة إدارته، ولعل من أهمها:

١. الموالون للمالكي من أهل السنة... حيث برغم أن الحراك الشعبي بحجمه وتأثيره قد منع الكثير من الظهور على حقيقتهم خشية الغضب العارم وتسقيطهم في ساحات الحراك الشعبي!!!... إلا أن مواقف بعض مسؤولي المحافظات ورجال الدولة المستهلكين، كانت حاضرة، والحكومة اليوم تحاول تسويقهم كمفاوضين عن حقوق المظلومين!!!

٢. الجيش العراقي: والكل يعرف كيف تم بناء هذا الجيش والأسس الطائفية التي قام عليها... لكن ومع هذا فإن جيش المالكي في المحافظات السنية لا يمكن التعويل عليه أبداً أمام عزيمة وصدق ومضاء الحراك الشعبي وجحافله الكبيرة... أضف لذلك معرفة المالكي برجال جيشه الذين ينتظرون نهاية الشهر لاستلام مرتباتهم وهم غير مستعدين للموت في سبيله... بينما قد يكون الأمر مختلفاً في بغداد.

٣. تحويل وجهة الحراك الشعبي من قبل المالكي إلى صراع طائفي من خلال إشعار الشارع الشيعي بأنه هو المستهدف من هذا الحراك.

٤. المتطرفون والحمقى والمستغفلون الذين قد يندسون أو يوجهون الحراك الجماهيري السلمي نحو إثارة الفوضى أو العنف أو الاستفزاز الذي يربك المشهد اليوم.

٥. الإحباط الذي يصيب جمهور الحراك، سواء كان من

خلال مماطلة الحكومة وعـــدم مصداقيتها في تلبية متطلبات الجماهير... أو من المستجدات غير المتوقعة.

٦. استمرار غياب الدعم المعنوي العربي والإقليمي والدولي.

## التظاهرات الشيعية

للأمانة نقول إن هناك عدة تظاهرات شهدتها المحافظات الجنوبية فـــي العراق كانت قد خرجت لمناصرة إخوانهم العرب الســـنة والدعوة لتلبية مطالبهم... وإن كانت لا تلبي احتياجات إخوانهـــم المظلومين من أهل الســـنة... لكنها بوادر خير نتمنى البناء عليها.

## التظاهرات المضادة!

في مشـــهد ســـقيم... أخرج المالكي تظاهـــرات ضعيفة مأجورة بائســـة من عشـــرات أو مئات طلاب المعاهد أو رجال أمن ومكافحة شغب ألبســـوهم اللباس العربي وجاؤوا بهم إلى ميادیـــن التحرير أو غيرها بعد أن قطع الجيش الطرقات وأمن حماية هذه المسرحيات التي استنكرها الجميع، ومنهم الائتلاف الوطني ذاته!!!

## خطوات الحكومة في التعامل مع الحراك

١. محاولة تســـفيه الحـــراك ووصفه بأنـــه فقاعة تحمل أصواتاً نتنة وعلى لسان المالكي!!!

٢. محاولة تهديـــده بالقوة... وظهر ذلك من خلال خطاب المالكي الذي خاطب الجماهير قائلاً: إما أن تنتهوا أو تُنتهوا!!!

٣. إرسال شخصيات ســـنية رخيصة إلى الحراك للتفاهم معه، مثل:

• صالح المطلك الذي طرد بالنعال من ساحة العزة والكرامة في الأنبار.

• وزير الدفاع وكالة ســـعدون الدليمي الـــذي حاول النزول وســـط ســـاحة العزة والكرامة للقاء المتظاهريـــن... فرفع له الجمهور الأحذية فولى هارباً إلى مكان آخر.

• السياســـي البائس السابق ســـلام الزوبعي الذي توعدته الجماهير بذات الاســـتقبال المهين إذا ما تجرأ ووطأت قدماه أرض الحراك... فولى هارباً كسابقيه!!!

٤. تشـــكيل ما يسمى لجنة الحكماء مكونة من أربعة رجال دين؛ اثنان منهم من الشـــيعة، واثنان من العملاء الســـنة!!!... الذين طالما وصفوا الحراك الشعبي بأسوء الصفات... ليبدؤوا بمسرحية إخراج نحو عشرة نساء أو يزيد من المعتقلات ومحاولة تصويرهن وهن شـــاكرات وممتنات لهـــذا العطف الأبوي وأنه لم يمسهن أحد بســـوء!!!... ثم الإعلان عن إطلاق سراح ٣٠٠ معتقل... هم أصلاً قد صدر بحقهم مذكرات إطلاق الســـراح منذ سنين وهم ينتظرون الابتزاز المالي حتى ينالوا حريتهم!!!

٥. ظهور وزراء العدل وحقوق الإنسان ورئيس لجنة المساءلة والعدالـــة (الاجتثاث)، وهم يتصنعون الحلـــم الوردي للجمهور الغاضب ومن أنهم سيرفعون الضيم بجرة قلم!!!

٦. إرسال رسالة إلى الحراك الشعبي ليكتبوا مطالبهم إلى المحافظين أو رئيس مجلس المحافظة لإيصالها إلى الحكومة!!!

٧. وبعد أن فشلت الحكومة في كل خطواتها السابقة قامت بتشـــكيل لجنتين وزاريتين لزيارة المتظاهرين واستلام مطالبهم ممن يمثلونهم.

٨. تشـــكيل لجنة خماسية من جميع المكونات لدراسة هذه المتطلبات... واليوم أعلن عن فشل هذه اللجنة في مهامها!!!... وقـــد تراجع الجانب الحكومي فيها عن تلبية متطلبات الحراك الشعبي.

## الحراك الشعبي إلى أين؟

وختاماً فليس من السهل اليوم أن تتخاذل جماهير الحراك الشـــعبي وتترك ميادين اعتصامها... من دون أن تعيد حقوقها المغتصبة وتعيد موازين العزة والكرامة والمساواة... وإلا فلنقرأ على أهل الســـنة في العراق الســـلام!!!... من هنا نذكر بعض عناصر نجاح وديمومة هذا الحراك الشـــعبي وســـر تحقيقه أهدافه:

١. الحفـــاظ على زخم التظاهرات، والترتيب العملي لدوام تواجد المعتصمين.

٢. الحفاظ على سلمية التظاهرات والجُمَع الموحدة.

٣. الحرص على صناعة قيادات واعية للتنسيقيات.

٤. منـــع المتطرفين والمغرضين والمغفلين مـــن التأثير على الحراك الشعبي.

٥. توحيد المتطلبات وصياغتها بشكل قانوني ومقنع.

٦. الحرص علـــى الحصول على الدعـــم المعنوي العراقي والعربي والإقليمي والدولي.

٧. التنسيق الفاعل مع السياسيين المخلصين.

## مرصد الأخبار

عمرو عبد البديع(*)
amro@albayan.co.uk

## دعاة «أراكان» يبيتون في الغابات هرباً من جرائم البوذيين

قالت وكالة أنباء أراكان (ana) إن عصابات بوذية أقدمت على إضرام النار في مقر العمدة بقرية تدعى نلبينة؛ لمعارضته مشروع التصوير الجماعي المفروض على الروهنجيا من قبل حكومة ميانمار.

وبحسب الوكالة، فإن ٧٧ أسرة روهنجية قتل أفرادها خلال انتقالهم من مساكنهم في كيوكتو إلى الغابات عقب رفضهم مشروع التصوير الجماعي الإجباري.

وأضحت عملية تغيير هوية الروهنجيا قسراً الحلقة الأخيرة في مسلسل التطهير العرقي المنهج الذي يمارسه البوذيون مع حكومتهم ضد مسلمي الروهنجيا.

وذكر تقرير الوكالة أن أربعة من علماء الروهنجيا يقضون لياليهم داخل غابات جبال هيمالايا منذ أسبوع؛ خوفاً من البطش البوذي بهم لاعتراضهم على مشروع التصوير الجماعي.

كما أصدرت السلطات البوذية قراراً عاجلاً يقضي بإخلاء ٤٠ منزلاً تابعاً للمسلمين في جنوب شلخالي؛ لبناء وحدات عسكرية مكانها. وأفيد أن حرس الحدود البنغالي منع العشرات من الأسر الروهنجية من الدخول إلى بنجلاديش هرباً من الموت والجوع في أراكان.

وأشار التقرير إلى أن العشرات من مسلمي الروهنجيا من جهة الشرق، يتوافدون إلى بوسيدونغ أولافي، بينما تستقبلهم السلطات البوذية باعتقال فتياتهم واغتصابهن على مرأى منهم.

## مرسي رفض «خطاً ساخناً» مع تل أبيب

نسب موقع «ديبكا» الصهيوني لمصادر عسكرية واستخباراتية، أن المصريين رفضوا بشكل تام اقتراحاً أمريكياً بإقامة خط اتصال مباشر (خط ساخن) يربط ما بين القصر الرئاسي في القاهرة وأجهزة الأمن الإسرائيلية في تل أبيب، وهو الخط الذي كان موجوداً في عهد نظام الرئيس المخلوع حسني مبارك وفي أثناء إدارة المجلس الأعلى للقوات المسلحة للبلاد، لكن تم قطعه مع صعود الرئيس محمد مرسي – مرشح الإخوان المسلمين – للسلطة في يوليو ٢٠١٢.

وأشار الموقع الإسرائيلي إلى أن جميع المحاولات الأمريكية لإحياء التنسيق (الأمريكي – المصري – الإسرائيلي) لمكافحة ما يسمى «الإرهاب»؛ قوبلت بتجاهل واضح من قبل القيادات السياسية والعسكرية والاستخباراتية المصرية.

(ديبكا: ٢٠١٣/١/١)

## تزايد الإقبال على الإسلام في غينيا بيساو

شهدت الأعوام الأخيرة إشهار قيادات سياسية كبيرة في غينيا بيساو إسلامها، من بينها الرئيس السابق للبلاد.

ويقبل الكثير من سكان غينيا بيساو في السنوات الأخيرة على اعتناق الإسلام بشكل كبير، فيما تقوم بعض المنظمات الإسلامية الخيرية بجهود دعوية وتعليمية وإنسانية لتعريف المهتدين الجدد بالإسلام وتثبيتهم عليه؛ وذلك من أجل توفير مناخ يتكيف من خلاله هؤلاء المهتدون مع بيئة جديدة يحدد الإسلام نمطها ونظامها.

والإسلام يعتبر الديانة الأكثر انتشاراً في البلاد (نحو ٥٠٪)، تتبعه المسيحية ثم الوثنية.

وتقع غينيا بيساو غرب القارة الإفريقية على مساحة تقدر بـ ٣٦ ألف كلم مربع، ويتجاوز سكانها ١,٥ مليون نسمة، وتحدها كل من السنغال وغينيا.

(وكالة الأناضول: ٢٠١٣/١/١٥)

(*) نرحب بمقترحاتكم البنَّاءة في باب مرصد الأحداث على بريد الكاتب.

## مرصد الأخبار

### أردوغان: نصحح أخطاء غلق المساجد ومنع الأذان بالعربية

صـــرّح رئيس الوزراء التركي، رجب طيب أردوغان، في كلمته أمام كتلة حزبه البرلمانية، في أنقرة؛ أن حزب العدالة والتنمية يســـعى دائماً من أجل تصحيـــح الأخطاء التي حدثت بعد قيام الجمهورية، والتي قام بها حزب الشـــعب الجمهوري من طرف واحد، من خلال إغلاق الجوامع، ومنع الأذان بالعربية، فضلاً عن استبعاد لغة معينة، مع ما يتعلق بها من ميراث وكتب وآثار.

(اليوم السابع: ٢٠١٣/١/٢٤)

### «الاغتصاب» يجبر السوريات على النزوح لدول مجاورة!

أفادت لجنة الإنقاذ الدولية بأن الاغتصاب هو العامل «الرئيسي» وراء فرار عديد من السوريات إلى دول مجاورة.

وقالت اللجنة إن الاغتصاب «سمة مهمة ومثيرة للقلق في الحرب الأهلية في سورية».

وأضافت أنه «خلال ثلاثة تقييمات أجرتها اللجنة في لبنان والأردن وسورية، وجدت أن الاغتصاب هو السبب الرئيسي وراء فرار عائلات من البلاد»، موضحة أن «العديد من النســـاء والفتيات تحدثن عن التعرض لاعتداءات في العلن أو في منازلهن، وبشكل أساسي من قبل مسلحين».

(الحياة: ٢٠١٣/١٠/١٤)

## علامة تعجب

### محجّبة تفتتح أول زواج مدني في لبنان!

خلود ســـكرية ونضال درويش عقدا زواجاً مدنياً بناءً على قرار اتخذه المفوض الســـامي الفرنسي في لبنان في عام ١٩٣٦ الذي ينظم الطوائف ويعترف بها ويعطيها الحقوق ويعترف في الوقت نفسه بالأفراد، وكان خلود ونضال الثنائي اللبناني الأول الذي يعقد زواجاً مدنياً في البلاد.

وبدأت إجراءات الزواج بعدما توصلت خلود مع أهلها على اتفاق بأن يتم «عقد القران» شـــكلياً دون أن يســـجّل الزواج في المحكمة الشـــرعية، وكانت أولى الخطوات شطب إشـــارة المذهب الديني للإثبات أمام القانون أنهما لا ينتميان إلى طائفة تتيح لهما الزواج في محكمة شرعية، فيكون من حقّهما الزواج مدنياً.

(النهار: ٢٠١٣/١/١٩)

### الطفل السوري أحمد يموت برداً!

وجد بعض ســـكان اللاذقية الطفل أحمد أديب فتاحي، ١٤ عاماً، على أحد أرصفة ســـوق الداية في المدينة الساحلية؛ ميتاً من شـــدة البرد والجوع. وعلق أحد ســـكان المنطقة على الصفحة «عندما وجدناه مرت لحظات قصيرة ونحن لا نعلم ما ينبغي علينا فعله.. كان لونه أزرق».

وشـــهدت سورية والبلدان المحيطة بها موجة برد وثلج لم تشـــهدها منذ ٥٠ عاماً، مترافقة مع شح شديد في مواد التدفئة إلى جانب الحالة المعيشية السيئة التي يعانيها أغلب السوريين منذ بدء الاحتجاجات منتصف مارس ٢٠١١، والتي تحولت إلى اشتباكات وأعمال عنف أودت بحياة أكثر من ٦٠ ألف قتيل.

(سكاي نيوز: ٢٠١٣/١/١٥)

### القوات الأمريكية سرقت ١٠٠٠ نخلة من سلالات نادرة!

كشفت وزارة العلوم والتكنولوجيا العراقية عن قيام القوات الأمريكية بسرقة ١٠٠٠ نخلة من أجود أنواع سلالات النخيل النادرة بعد الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣م.

(الأهرام: ٢٠١٣/١/٣٢)

## «الربيع العربي ينحدر إلى شتاء إسلامي وإرهاصاته على السياسة الأمريكية»

نشـــرت مؤسسة «هيرتينج الأمريكية» دراســـة بعنوان «الربيع العربي ينحدر إلى شتاء إسلامي وإرهاصاته على السياسة الأمريكية» للكاتب الأمريكي «جيمس فيليبس» كبير الباحثين في شؤون الشرق الأوسط.

في مســـتهل الدراسة أشار الكاتب إلى أن موجات الربيع العربي أشـــاعت الأمل في نفوس الكثير في الغرب بأن سقوط الأنظمة الاســـتبدادية ســـيحمل فرصاً كثيرة للتحول الديمقراطي في المنطقة، بيد أنها أتاحت الفرصة لأطياف واســـعة من الأحزاب الإسلامية لاستغلال الانتخابات وتقويض الديمقراطية وفرض أجندتها الراديكالية.

وفي غمار ذلك، يســـعى الإسلاميون لتطبيق الشريعة الإســـلامية لتقييد الحريات، لا سيما الأقليات الدينية والمرأة، فهم يمثلون خطراً على القيم الغربية، لكن الأكثر خطراً منهم حركة القاعدة التي تســـتخدم الإرهاب لتحقيق أهدافها الثورية عن طريق فرض نســـخة متشددة وغير متسامحة من الشريعة بهدف الوصول إلى الخلافة العالمية. في هذا الإطار، فإنها تُعتبر أكثر من مجرد جماعة إرهابية، حيث ترى نفسها في محل القائد لثورة إسلامية استبدادية. وبذلك تُعتبر خطراً على أمريكا، بل على المسلمين أنفسهم.

### تأثير الربيع العربي في المصالح الأمريكية

أولاً: خســـارة حليف مهم لواشنطن وهو نظام مبارك الذي اســـتبدل بنظام تهيمن عليه جماعة الإخوان المسلمين المعادية للغرب.

ثانياً: غياب الأمن مكّن من اختراق الحدود بين الدول وسمح للجماعات المسلحة باستخدامها لنقل الأموال والأسلحة.

ثالثاً: إمكانية اندلاع صراع عربي – إســـرائيلي تشارك فيه حماس وجماعات إسلامية متشددة بدعم من مصر؛ لإحداث توازن للقوة، كما أن اتفاقية السلام الموقعة بين إسرائيل من جانب والأردن ومصر من جانب آخر، باتت في خطر.

وأكد فيليبس أن مصر هي المحطة الأهم للتطور المســـتقبلي للانتفاضات العربية بقوله «إنها أهم دولة عربية بما تمتلكه من ثقافة خاصة»، وذكر أن الانتفاضة التي اندلعت ضد مبارك نتج عنها انقلاب عســـكري في فبراير ٢٠١١ ونشـــأت علاقة ثلاثية مركبة بين المجلس العسكري والإخوان المسلمين والليبراليين الإصلاحيين، ثم بعد وصول مرسي إلى سدة الحكم أطاح بالعسكر مستغلاً أحداث سيناء في أغسطس ٢٠١٢ وتبنى سياسة خارجية مختلفة عن السابق تقوم على التقارب من الصين وإيران والابتعاد عن واشنطن وتعزيز العلاقة مع حماس التي تحمل عداء للنظام السابق. وعقب أحداث الاعتداء على السفارة الأمريكية بعد نشـــر الفيلم المسيء للرســـول، توترت العلاقات بين واشنطن والقاهرة حيال صمت الحكومة المصرية وموقفها الغامض.

### الانتفاضات العربية و السياسة الأمريكية

على أمريكا أن تتبنى استراتيجية فعّالة وقابلة للتأقلم مع الأوضاع المختلفة للبلاد التي اندلعت فيها الاحتجاجات لمكافحة التشدد الإسلامي، من خلال عدة محاور:

– وضع خطوط حمراء واضحة يجب على الحكومات الالتزام بها للحصول على الدعم الأمريكي: (رفض الإرهاب، احترام الحرية وحقوق الإنسان، وتحقيق الالتزامات القانونية الدولية).

– تغيير الاســـتراتيجية الأمريكية ضد الإرهاب: بما أن القاعدة أصبحت لا مركزية ومتفرقة في العديد من الدول، فإنه يجب إيجاد تحالفات (على الصعيد المخابراتي والأمني) عالمياً وفي دول «الربيع العربي»؛ لمحاربة المتطرفين الإسلاميين.

### الترويج للحرية الاقتصادية ودعمها

في المناطق الواســـعة غير الخاضعة للســـيطرة الأمنية، فإن التحالف مع وجهاء القبائل، الأحزاب السياسية، والجماعات الإثنية القادرة على التصدي لمخاطر القاعدة؛ أمر مهم جداً.

أما في سورية، فيجب على أمريكا دعم المعارضة مالياً ومادياً وسرياً بالسلاح للتعجيل بسقوط بشار، فكلما طالت الحرب الأهلية كلما زادت حدة التوتّر الطائفي الذي يمكن استغلاله من قِبَل القاعدة والجماعات المتطرفة الأخرى.

## مرصد الأرقام

بلغ حجم العجز في الموازنة الإسرائيلية نحو ٣٩ مليار شيكل.

(يديعوت أحرونوت: ٢٠١٢/١/١٥)

بحسب تقرير حركة السلام، فقد ارتفعت نسبة الاستيطان في المستوطنات بنسبة ٣٠٠٪.

وأشار التحقيق إلى التصديق على إقامة ٦٦٧٦ وحدة استيطانية في عام ٢٠١٢، مقابل ١٠٦٧ في عام ٢٠١١.

(صحيفة هآرتس: ٢٠١٢/١/١٦)

ضخّ المصريون العاملون في الخارج، العام الماضي، تحويلات بالعملة الصعبة بلغت ١٩ ملياراً و٥٥ مليون جنيه، بزيادة قدرها ٤ مليارات و٦٠٠ مليون دولار عن عام ٢٠١١.

وأفاد البنك بأن الإحصاءات تشير بوضوح إلى استمرار ارتفاع إجمالي تحويلات المصريين في الخارج خلال عام ٢٠١٢، حيث ارتفع إجمالي التحويلات مؤخراً إلى ٩ مليارات ومائة مليون دولار، بزيادة مليار ومائة مليون دولار عن الفترة نفسها من العام قبل الماضي.

(الأهرام: ٢٠١٣/١/٢٠)

١١٠٠ عائلة فلسطينية، بخلاف ٤٠ عائلة سورية، فرّت مؤخراً إلى مخيم عين الحلوة للاجئين الفلسطينيين في الجنوب اللبناني، ليصبح عدد المقيمين في المخيم الذي لا تتجاوز مساحته الكيلومتر، أكثر من ٨٥ ألف شخص.

(وكالة الأناضول: ٢٠١٣/١/١٥)

## تغريدات

**ياسر الزعاترة**

@YZaatreh

البلاك بلوك، جناح مسلح لمن؟ جناح مسلح للفلول ومليارديرية مبارك وأيتامه، يدعمه ويتعاطف معه قادة جبهة الإنقاذ!!

**عزام التميمي**

@AzzamTamimi

لا يظنن مزهق روح بريئة أو معتدٍ على مال أو عرض أنه مفلت من قضاء عادل، إن لم يكن في الدنيا ففي الآخرة أمام الملك الواحد القهار.

**د. طه الدليمي**

@tahadulaimi

أصول الدين الباطل أربعة: يهودية ونصرانية وشركية ونفاقية. والتشيع خلاصتها، وإن كان أقرب إلى الشركية النفاقية. هذا هو مبدأ التشيع فاحفظوه واحذروه.

**أحمد الصويان**

@Asowayan

تعزيز قيم الاجتماع والائتلاف وتربية الشباب على ثقافة التغافر وحُسن الظن؛ من الأوليات التي يجب أن تتحول إلى برامج عملية يكون العلماء قدواتها.

**الشيخ محمد الدو**

@ShaikhDadow

نحذر المسلمين من مدِّ يد العون إلى الفرنسيين في تدميرهم لبلد مسلم واحتلاله، وندعو إلى نصرة المسلمين في مالي والتضامن معهم.

# الأقلية الإسلامية في إسبانيا

د. أحمد محمود السيد(*)
mr.ah54@hotmail.com

تقع إسبانيا في جنوب غربي قارة أوروبا، في شبه جزيرة أيبريا، وتفصل جبال البرانس بينها وبين جارتها فرنسا من ناحية الشمال الشرقي، ويحدها المحيط الأطلنطي والبرتغال من الغرب، وتطل على خليج بسكاي من الشمال، ويحيطها البحر المتوسط من الجنوب والشرق، وفي جنوبها يقترب اليابس الأوروبي من الإفريقي ممثلاً في البروز الذي يشغله جبل طارق، وحيث يطل على مضيق طارق همزة الوصل بين المحيط الأطلنطي والبحر المتوسط، والمضيق والجبل يحملان اسم فاتح الأندلس منذ نهاية القرن الهجري الأول حتى الآن.

العاصمة: مدريد، وأهم المدن قرطبة وبرشلونة.

يبلغ تعداد سكان إسبانيا ٤٨ مليون نسمة، يمثل الرومان الكاثوليك ٩٤٪ منهم، و٦٪ لآخرين، يشكل المسلمون نحو ٢,٥ في المائة (مليون ونصف تقريباً).

## تاريخ الإسلام في إسبانيا:

وصل الإسلام إلى إسبانيا مبكراً، وذلك عندما فتح المسلمون شبه جزيرة إيبريا في سنة ٩٣هـ - ٧١١م، واكتسح المد الإسلامي أكبر مساحة من شبه جزيرة أيبريا في سرعة مذهلة، وأتى الفتح بنتائج رائعة، وذلك بفضل الجهاد والتسامح الديني عند الفاتحين.

ولقد كانت الموجة الأولى لفتح الأندلس من المؤلفة قلوبهم من العرب والبربر الذين آخى بينهم الإسلام فاندفعوا يفتحون قرى ومدن إيبريا، وبهذا الفتح تحول الأندلس إلى مشعل الحضارة الوسيطة، وامتد تأثير الحضارة الإسلامية إلى الممالك الأوروبية.

ظل المسلمون يحكمون إسبانيا ثمانية قرون لم يفرضوا الإسلام على أهلها وتركوا لهم حرية العقيدة، إلى أن سقطت دولة المسلمين ومارست الكنيسة الكاثوليكية الحاكمة أبشع طرق التعذيب والاضطهاد عن طريق محاكم التفتيش التي خيّرت المسلمين بين ترك عقيدتهم ودخول الكاثوليكية وبين الإعدام أو الهجرة إلى إفريقيا سيراً على الأقدام ومن دون أموالهم ودوابهم. قتل أكثر من نصف مليون مسلم في هذه المحاكم وعذب الملايين.

## أوضاع المسلمين في الوقت الحاضر:

يمكن تقسيم فئات الأقليات المسلمة في إسبانيا إلى الفئات التالية:

١ - الطلاب: تزايد عدد طلاب العلم من المسلمين في إسبانيا حتى بلغ عدة آلاف. ولقد شجعت إسبانيا الطلاب العرب على الدراسة في إسبانيا لأسباب عدة، منها: تحسين العلاقات، نشر ثقافتهم، وإرضاء العناصر الأندلسية التي تحاول فصل الأندلس.

ولقد كانت مساعدة الطلاب الوافدين من أهم أعمال الجيل الجامعي السابق عليهم والذي تولى مهمة الدعوة، ولهذا تأسست الجمعية الإسلامية الإسبانية سنة ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م.

٢ - العمال: هم أكبر الفئات الإسلامية، فهم أكثر من ثلثي عدد المسلمين في إسبانيا، أي نحو ١٥٠ ألفاً من جملة المسلمين البالغة ٢٥٠ ألف نسمة.

ازدادت هجرة العمال المسلمين في سنة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م، لا سيما عمال المغارب العربية؛ بسبب المعاناة التي حدثت للعمال المسلمين في غرب أوروبا، ثم ازدادت الهجرة الإسلامية بعد ذلك حتى وصل عدد العمال المسلمين في لشبونة إلى أكثر من ٥٠ ألفاً، معظمهم من المغاربة، وأغلب هؤلاء من الشباب، ومعظمهم من دون أسرهم، كما أن أغلبهم أميّ، لذا من السهل انحرافهم.

ولقد تنبه المركز الإسلامي في إسبانيا لهذا الخطر، فأخذ يعمل على تعميق الهوية الإسلامية بين هؤلاء.

٣ - المسلمون الإسبان: وهؤلاء اعتنقوا الإسلام طواعية وعن اقتناع بعد أن تكشّفت لهم صورته الحقيقية التي حاول تشويهها المسيحيون، وأسهم في ذلك صدور قانون حرية العقيدة في إسبانيا بعد تعصب دام قرون عدة، وهذه الفئة من المسلمين منتشرة في غرناطة، وإشبيلية، وملقا، وقرطبة، ومدريد.

٤ - المسلمون في الجيوب الاستعمارية الإسبانية: في المغرب في سبتة ومليلة.

يتركز المسلمون في الولايات الكاتالونية، مثل: برشلونة، وترقونا، وخيرونا، ثم تأتي بعد ذلك منطقة الجنوب التي تسمى في إسبانيا «الإقليم الأندلسي»، مثل: منطقة قرطبة وغرناطة، وكذلك منطقة فالينسيا.

مع تزايد أعداد المسلمين المهاجرين بغرض العلم والعمل في المجتمع الإسباني، ظهرت مجموعة من الهيئات والمؤسسات الإسلامية في غرناطة، ثم انتشرت خصوصاً بعد صدور قرارات حرية الأديان، ويبلغ عددها ٤٩، منها: المركز الإسلامي الإسباني، جمعية المسلمين الإسبان في غرناطة، الجمعية الإسلامية في إسبانيا، الجمعية الإسلامية في قرطبة، الجمعية الإسلامية في إشبيلية، والمفوضية الإسلامية في إسبانيا. كما يوجد المركز الإسلامي الثقافي في مدريد ويضم مسجداً ومدرسة تقوم بتعليم العلوم الإسلامية واللغة العربية واللغة الإسبانية والقرآن الكريم، ومعملاً لتعليم اللغات، ويوجد المعهد العربي للدراسات الأكاديمية، والمعهد الإسباني العربي للثقافة في مدريد، والمدرسة العربية في مدريد.

## احتياجات المسلمين في إسبانيا:

- وجود إدارة تجمعهم وتوحّد رأيهم وتفاوض الحكومة الإسبانية وتحل مشكلاتهم بشكل رسمي.
- الحاجة إلى زيادة أعداد المدارس والمعاهد العلمية الإسلامية التي تدرّس الدين الإسلامي لأبناء المسلمين.
- توافر أساتذة لتدريس الإسلام واللغة العربية.
- ترجمة التفاسير والكتب الإسلامية للغة الإسبانية.
- إصدار أكثر من صحيفة ناطقة باسم الأقلية المسلمة وإنشاء قناة تلفزيونية وإذاعة خاصة.
- الحاجة إلى دعاة يجيدون العربية والإسبانية للدعوة بين المسلمين ونشر الدعوة بين غير المسلمين.

## المراجع والمصادر:


- **موقع رسالة الإسلام.**
- **موقع قصة الإسلام.**
- Cia.
- **موقع المركز الإسلامي في إسبانيا.**


(*) مدير وحدة بحوث العالم الإسلامي في المركز العربي للدراسات الإنسانية.

# نتائج الانتخابات الصهيونية على الفلسطينيين

د. عدنان أبو عامر(*)
adnanaa74@hotmail.com
@adnanabuamer1

انتهت الانتخابات الإسرائيلية التاسعة عشرة لعام ٢٠١٣، وستوضع ملفات دسمة ثقيلة العيار على أجندة الحكومة القادمة، لكن الصراع الدائر مع الفلسطينيين يبدو الأكثر سخونة في ظل انسداد أفق التسوية بصورة غير مسبوقة.

## محاورة حماس:

لم يعد سراً أن التعامل مع المستجد الفلسطيني الأكثر سخونة على الساحة الإسرائيلية، شكل القاسم المشترك الأكبر بين الأحزاب المتنافسة سابقاً، والفائزة لاحقاً، وبرز ذلك في دعايتها الانتخابية، لا سيما حزب «الليكود» الذي أخذ يزايد على غريمه الخاسر «كاديما»، واتهامه بالتساهل مع حماس.

وقال أحد رموز الليكود، رئيس لجنة الخارجية والأمن البرلمانية السابق ووزير المالية الحالي، «يوفال شتاينيتس»: حماس جزء من حركة الإخوان المسلمين العالمية، وهي كباقي الحركات الإسلامية؛ قد تتغير تكتيكياً وبصورة مؤقتة، لكنها لن تتخلى أبداً عن الأيديولوجية الكامنة في صلب جوهرها، لذلك لا يجوز لإسرائيل القبول بدولة حماس مسلحة بجانبها؛ لأنها ستكون في تحالف وثيق مع أعدائها خارج الحدود، حتى إن أظهرت زعامتها مرونة براغماتية في الطريق لهدفها النهائي المتمثل بتدمير إسرائيل.

ولعل الموقف الأكثر وضوحاً لحزب الليكود في التعامل مع حماس عبّر عنه «بنيامين نتنياهو» زعيمه الفائز بأقل مما كان يتوقع وفقاً للنتائج المعلنة، حين رأى أن صعود الحركة يشكل خطراً على الدولة؛ ففي غزة يتمثل الخطر بصعود «دويلة مسلحة» بقيادتها، وفي الضفة يتمثل الخطر بانهيار السلطة الفلسطينية، وإقامة دولة أخرى لحماس أكبر، تتبنى نموذج غزة، وتهدد القدس وتل أبيب.

في المقابل، فإن ما يطرحه اليمين، الفائز مجتمعاً بـ ٦١ صوتاً مقابل ٥٩ للوسط واليسار؛ يختلف عما يتبناه حزب العمل تحديداً، الذي لم يعر انتباهاً كثيراً في اختلاف القيادة الفلسطينية، سواء كانت بزعامة فتح أو حماس، رغم تفضيله للأولى؛ لاعتقاده أن إسرائيل أعلنت شروطها للحوار مع أي زعامة فلسطينية، وهي: وقف العنف، تجريد المنظمات من سلاحها، الالتزام بالتعهدات والاتفاقيات الموقعة، الاعتراف بإسرائيل، وحذف البنود الداعية لإبادة إسرائيل الواردة في ميثاق حماس.

وأبدى الحزب عبر دعاية رئيسته الفائزة «شيلي يحيموفيتش»، مرونة ملحوظة بإمكانية محاورة حماس، مع التزام الأخيرة بالشروط السابقة، وإذا ما أعلنت الأخيرة التزاماً بذلك، يؤكد الحزب المرشح للدخول في ائتلاف حكومي متوقع، أنه لن يبقى من سبب يمنع اعتبار الحركة أهلاً للحوار في إطار مفاوضات تجرى في المستقبل.

ورغم أن حزب «الليكود - بيتنا» صاحب النصيب الأكبر من مقاعد الكنيست، يعتقد جازماً بعد أن خاض حرب غزة الأخيرة ضد حماس أن إسرائيل كسبت معركة، لكنها خسرت حرباً

(*) كاتب فلسطيني.

في صراعها الدائر مع الفلسطينيين، لكن عسكريين وأمنيين بارزين دخلوا اللعبة الانتخابية على مختلف القوائم الحزبية، ومن أبرزهم: «موشيه يعلون، عمرام ميتسناع، يعكوف بيري، وعمير بيرتس»، وغيرهم، أثبتوا هذه الحقيقة العملياتية عبر عقد مقارنة بين حرب إسرائيل ضد الفلسطينيين، والحرب الأمريكية ضد تنظيمات القاعدة، على النحو التالي:

١- تكتيكياً: جاءت إنجازات إسرائيل في مجالات الاستخبارات والدقة والحدِّ من الخسائر، أفضل من الولايات المتحدة وبريطانيا في أفغانستان، ونجحت في الوصول لصورة استخبارات جيدة إزاء حماس، بما فيها اغتيال وتصفية قياداتها السياسية والعسكرية، وآخرهم أحمد الجعبري، قائد كتائب القسام، وهو ما مُني فيه الأمريكيون بالفشل ضد القاعدة، باستثناء «ابن لادن».

٢- استراتيجياً: خسرت القاعدة قواعدها في أفغانستان، وفقدت قدرتها على التجنيد وتعبئة وتدريب آلاف الشبان، وتعرضت ركيزتها السياسية المتمثلة في نظام طالبان للإزالة، فيما أقامت حماس في قطاع غزة قواعد تدريب علنية تدرب فيها آلاف المتطوعين، وصناعة صواريخ وتطوير أسلحة بصورة شبه علنية، وتعززت مكانتها السياسية نتيجة حربها الأخيرة، وظهورها كـ «منتصرة» أمام إسرائيل.

## مستقبل المفاوضات:

على الصعيد السياسي مع السلطة الفلسطينية، فإن ما أعلنه «نتنياهو» في الآونة الأخيرة من عزمه الانسحاب داخل حدود الضفة الغربية من طرف واحد، ودون اتفاق مع السلطة، لفرض وقائع على الأرض ترسم حدود الدولة الفلسطينية القادمة؛ قد يصطدم بعقبة ائتلافه المتوقع، لا سيما إن كان يمينياً صرفاً، حيث يعتبر الضفة جزءاً من إسرائيل، واعتباره أن هذه الخطوة - إن تمت - ترسخ اعتقاد الفلسطينيين بأنها هروب إسرائيلي حتمي تحت ضربات القوى المسلحة!

ولذلك يعتقد زعماء اليمين الإسرائيلي الفائزون أن مواجهة الجماعات المسلحة، وعلى رأسها حماس، تأتي ضمن محاربة مكثفة يومية ومتطورة ومتقدمة، وكما أسماها «موفاز» وزير الدفاع الأسبق فإنها «سباق ماراثوني طويل، وليس عَدواً لمسافات قصيرة»، وقد تخطت إسرائيل العوائق التي وضعت في طريقها ممن يتربصون بها، وباتت من الدول المتصدرة للكفاح العالمي ضد تلك الجماعات، للدرجة التي دفعت «نتنياهو» مثلاً لأن يبارك العملية الفرنسية الأخيرة في مالي باعتبارها امتداداً لمحاربته حماس في الأراضي الفلسطينية!

وهنا تتزايد الاتهامات الموجهة للحكومات المتعاقبة برئاستي «أولمرت ونتنياهو» في إخفاقهما عن الرد على المقاومة الفلسطينية، لا سيما الصواريخ المتساقطة على المستوطنات المجاورة لقطاع غزة، والإشارة إلى أن خطأهما تمثل بأنهما لم تقوما، بموازاة بناء الجدار الأمني حول غزة عام ١٩٩٤، ببناء جدار مشابه في الضفة، فهل يكون هذا على رأس المشاريع المتوقعة في الحكومة القادمة؟

أما حزب العمل - الذي استفاق انتخابياً بصورة غير متوقعة بعد أن شهد تراجعاً مريعاً في شعبيته خلال السنوات الأخيرة - فيتخذ لنفسه موقفاً وسطاً بين هذه الاتهامات المتبادلة بين الساسة والعسكر، ويرى أن النصر الميداني على الفلسطينيين لا يُقاس بالمرات التي احتل فيها الجيش مدن رام الله وجنين ونابلس، أو عمليات الإحباط التي قام بها الشاباك، بل يتجه في هذا المحور يساراً نحو مواقف «ميرتس» معترفاً بالخطأ الجسيم الذي ارتكبته إسرائيل في السنوات الأخيرة، سواءً بفهمها المغلوط للهدف السياسي، والاستخدام الخاطئ للقوة العسكرية.

في الوقت ذاته، تعتقد قطاعات واسعة في حزب العمل بالقاعدة العسكرية القائلة: «من يسعى لقتلك، سارع لقتله»! لتكون منطلقاً بعمل الجيش ضد الجماعات الفلسطينية المسلحة، وفي الوقت ذاته تستعيد مخططات آباء الحزب الأوائل «إسحق رابين وشمعون بيريس» من حيث الإسراع ببناء الجدار في الضفة، وإحداث فصل من خلال إقامة معابر على امتداده، وفتح الجسور والمعابر إلى الأردن ومصر، والامتناع قدر الإمكان عن إقامة حواجز ونقاط مراقبة وتفتيش بين التجمعات الفلسطينية.

أخيراً.. فإن بقاء حماس مسيطرة على قطاع غزة، وتقويتها أكثر فأكثر عسكرياً وسياسياً وإقليمياً، مقابل التراجع المتواصل للسلطة الفلسطينية، مالياً وسياسياً؛ قد يجعل الأحزاب الإسرائيلية في حالة تغيير متوقع لمواقفها المعلنة منها، إن بقي الحال على ما هو عليه، ومرهوناً بطبيعة الائتلاف المتوقع تشكيله الأسابيع القادمة.. لننتظر ونرى.

# التفسير الإسلامي لنشوء اللغة وموارِدها

حسن مظفر الرزو

## ١ - مقدمة:

تعدُّ مسألة نشوء اللغة من المسائل العويصة التي أشكلت على العقل البشري الذي ما زال يتأرجح بين اعتبارها اصطلاحية أو توقيفية، بصرف النظر عن انتمائه العقدي أو المفاهيمي.

ولعل أهم الأسباب في هذا الاختلاف تعود إلى تنوع اللغات التي ينطق بها البشر وعدم وضوح بدايات ظهورها في ظل نظريات التطور والتحليل البنيوي التي أفرزتها المدارس الفكرية في عصرنا الراهن، أو التأويلات التي مارسها أئمة اللغة والتفسير والأصول والعقيدة عندما توجَّهوا صوب التعامل مع اللغة بوصفها أداةً لتبليغ الخطاب الإلهي وموردا خصباً لتفسير دلالاته واستنباط الأحكام الشرعية بمختلف تجلياتها من خطابه المعجز.

وسنحاول في هذا المقام مراجعة الآراء التي طُرحت لمعالجة مسألة أصول اللغة في دائرة الفكر الإسلامي الذي يستمد نسقه المفاهيمي من موارد الشريعة الإسلامية، ودائرة الفكر المعاصر الذي يستمد نسقه المفاهيمي من المعالجات اللغوية والبنيوية الصرفة بعيداً عن دائرة الخطاب الديني الذي بات يُتعامل معه بوصفه عقبة مفاهيمية تحول دون انفتاحه على فهم الظواهر الكونية!

## ٢ - أصول اللغة في الفكر الإسلامي:

اللغة مورد أساسي يستمد منه المسلم فهمه لفحوى الخطاب الإلهي، ويؤسِّس من خلالها مراتب الأحكام التكليفية التي فرضها الله عليه في محكم كتابه العزيز وسنة نبيه الأكرم محمد ﷺ.. من أجل هذا عُني المسلمون أيما عناية باللغة العربية، وسبروا مادتها، وقعَّدوا قواعدها؛ لتذليل توظيفها في عملية فهم الخطاب وسبر دلالاته.

وقد طُرحت مسألة أصول اللغة في أكثر من موضع في دائرة العلوم الإسلامية عندما عالج أئمة العلم اللغة بوصفها أداةً لفهم الخطاب وتأسيس دلالات مفرداته، حيث اصطلاحات العلوم التي يؤسسون معانيها وتعريفاتها.. لذا نجد هذه المسألة في كتب العقيدة، والتفسير، وأصول الفقه، وعلوم اللغة، وبمستويات معالجة متباينة: تمتد، وتنحسر، بحسب الدور الذي تمارسه هذه المسألة في تأصيل موارد المسائل المطروحة في هذا العلم وذاك.

وقد ذهب الأشعري، والجبائي، والكعبي، وأهل الظاهر؛ إلى أن اللغات كلها توقيفية، بمعنى أن الله تعالى خلق علماً ضرورياً بتلك الألفاظ وتلك المعاني، وأن تلك الألفاظ موضوعة إزاء المعاني، وعليه؛ فإن واضع اللغة هو الله تعالى، وإن الحصيلة اللغوية المتوافرة بين أيدينا مصدرها التلقي من جهة التوقيف الإلهي، وقد ربط مصدرها بالوحي، أو إن الله تعالى خلق الأصوات والحروف وأسمعها لواحد أو لجماعة فخلق لديهم العلم الضروري بها.

من جهة أخرى، ذهب جماعة من المتكلمين إلى أن اللغة وضعية تواضع على كلماتها واصطلاحاتها واحد أو جماعة انبعثت لديهم دواعٍ إلى وضع الألفاظ قبالة معانيها، ثم انتشرت الألفاظ بطريق الإشارة أو التكرار.. وقد استدل أصحاب هذا المذهب بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، وعدُّوا ما جاء في هذه الآية دليلاً على تقدم اللغة على البعثة والتوقيف[1].

(١) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي، ١: ٢٦.

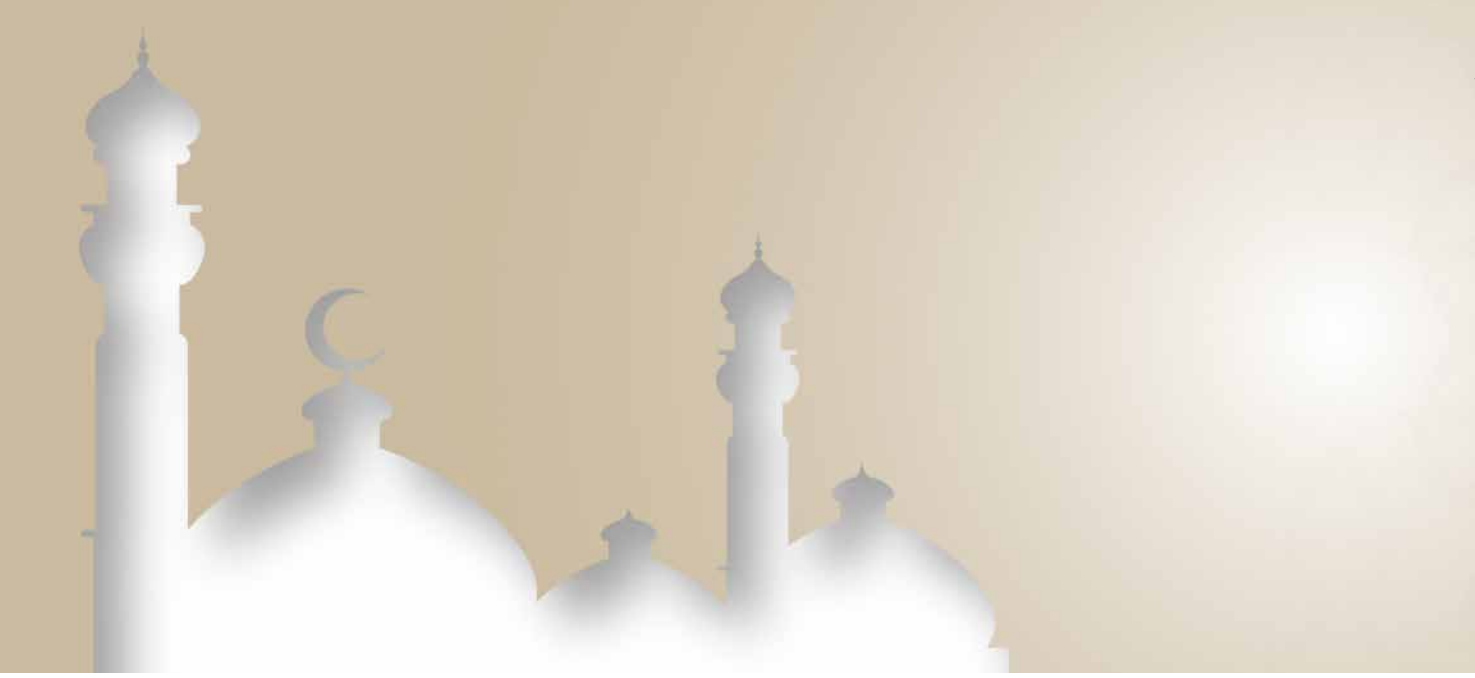

وقد ذهب القاضي أبو بكر ابـــن العربي، وابن جني، وآخرون، إلـــى أن كل واحد من هذه المذاهب ممكن بحيث لو فُرض وقوعه لم يلزم عنه محـــال لذاته، وأما وقوع بعضها دون بعضها الآخر فليس عليه دليل قاطع، والظنون متعارضة يمتنع معها المصير إلى التعيين.

## ٣ - نشوء اللغة ومواردها في القرآن الكريم:

جاء القرآن الكريم بنســـق مفاهيمي اتسم بتكامل عناصره ورســـوخ معطياته التي جاءت من لدن حكيم خبير، وقد وردت الآية التي وصفت نشوء اللغة ضمن مشهد مفعم بأحداث مهمة على مستوى الحدث الكوني، حيث بدء خلق السموات والأرض، وتســـوية خلق آدم من طين، والنفخة الإلهية في الجســـد الذي أصبح صاحبـــه خليفة الله تعالى فـــي الأرض.. وقد عجَّ هذا المشهد بمخلوقات عالم الأمر حيث السموات العلا، وحضر هذا المشهد الملائكة بجميع مراتبهم لشهود خلق آدم - عليه السلام.

ففي خضم دهشـــة الملائكة من الطبيعـــة الجديدة التي خلق الله تعالى منها المخلوق الإنساني من طين بدلاً من مادة النور التي تألَّفـــت منها هياكل الملائكة، والنار التي نشـــأ عنها هيكل إبليس وذريته، وذيوع خبر أن المخلوق الجديد ســـيكون خليفة في الأرض فـــي عالم جديد هو عالم الشـــهادة، وعدم قـــدرة الملائكة الذين يأتمرون بصورة كلية للأمر الإلهي ﴿لاَّ يَعْصُونَ اللّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَـا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]؛ في خضم هذه الأحداث الجســـام علّم الله تعالى آدم - عليه الســـلام - اللغة لتترسخ حقيقة خلافته في الأرض، ولتغيب الدهشة عن الملائكة الذين أثقلتهم تفاصيل مشهد خلق آدم - عليه السلام - وتداعياته المتلاحقة بأمور جديدة.

لقد وصف الله تعالى في كتابه العزيز بدايات نشـــوء اللغة بقوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْـــمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُـــمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُـــبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَـــا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُم بِأَسْـــمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُم بِأَسْـــمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُـــل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّـــمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣١ - ٣٣].

إن القراءة المتأنية لهذه الآيات المباركة تعرض لنا مجموعة من المشـــاهد التي تســـتدعي تأملاً عميقاً، وتحليـــلاً دقيقاً، للخطاب الإلهي في هذا الموقف العظيم:

**المشهد الأول:** الأمر الإلهي بجعل خليفة لله على الأرض لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِـــدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

**المشـــهد الثانـــي:** إن اللـــه تعالى علّم آدم - عليه الســـلام - الأسماء كلها.

**المشـــهد الثالث:** عَرَضَ الأســـماء على الملائكة ليؤكد عجزهم عن معرفة أسماء الموجودات دون توقيف مباشر من الله تعالى.

**المشـــهد الرابع:** اختبار آدم لتحديد قدرته على إنشـــاء مســـميات للكائنات التي تعرض عليه دون أن تكون لديه معرفة مسبقة بهويتها.

لقد تعجب الملائكة في المشهد الأول من تسمية آدم خليفةً فـــي الأرض بعد أن ربطوا ما يشـــوب الطين الذي ســـوّي منه جســـده وما يحويه من كدورات تؤثر في إفساد السلوك، بالنور الذي خلقوا منه، حيث لا كدر، وحيث لا يســـود كيانهم ســـوى التسبيح والتقديس لذات البارئ - عزَّ وجلَّ.

وجاء المشـــهد الثاني فمنح الله تعالى آدم منحة لم يمنحها لمخلوق سواه، فعلمه الأسماء، وتعريف لفظة الأسماء (في الآية الكريمة) يفيد بأن الله علّم آدم – عليه الســـلام – (علم إلهام) كل اسم؛ ما هو مسماه ومدلوله.

والأســـماء في هذا المقام وردت بمعنى التسمية (فيكون من إطلاق اللفظ ويـــراد به مدلوله)[1]. فألهم آدم بهذا العلم وبعث في نفسه القدرة على وضع مســـميات الأسماء، وجُعلت أمانة باقية تلازم وجوده الإنساني.

وعلى هذا الأســـاس كان التعليم الإلهي لآدم – عليه الســـلام – بإلقاء علم ضروري في نفسه بحيث يخطر في ذهنه اسم شيء عندما يعرض عليه، فيضع له اســـماً يؤسس هويته الوجودية، وقد ترســـخت هذه المنحـــة الإلهية بأنْ ألهمه وضع الأســـماء للأشـــياء ليتمكن من التعامل معها (بوصفـــه خليفة لخالقه)، وجعله قادراً على وضـــع اللغة كما قال تعالى: ﴿ **خَلَقَ الإِنسَـانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ** ﴾ [**الرحمن**: ٣ – ٤].

وكان المشـــهد الثالث اختباراً لمقدرة الملائكة على ممارســـة الفعل ذاته، حيث عُرضت عليهم الأســـماء (الموجودات) وأمرهم الله تعالى أن يبيِّنوا أســـماءها[2]، فضجّـــوا معلنين عجزهم عن إطلاق اسم على مخلوق دون علم مسبق من الله تعالى: ﴿ **سُبْحَانَكَ لا عِلْـــمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا** ﴾ [**البقرة**: ٣٢]، ثم إن كلامهم هذا يدل على أن علومهـــم محدودة غير قابلة للزيـــادة، فهي مقصورة على ما ألهمهم الله تعالى وما يأمرهـــم به، فللملائكة علم قبول المعاني لا علم اســـتنباطها. وقد فوضوا الأمر لله تعالى في إعطاء هذه الموهبة لآدم – عليه الســـلام – (دون أن تشملهم العناية الإلهية بهـــذه الأعطية) عندما أقروا علم البـــارئ – عزَّ وجلَّ – بجميع مفردات الكون، وحكمته غير المتناهية في منح ما يشاء لمن يشاء، فقالوا: ﴿ **إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** ﴾ [**البقرة**: ٣٢].

واختتـــم الأمر بالمشـــهد الرابع حيث إثبات اســـتقرار أمر المنحة الإلهية لآدم، واختبار قدرته الفريدة على إنشاء الأسماء التي تطلق على الموجودات، والأشـــياء التي سينشئها في أثناء وجوده في العالم الأرضي وَفق حروف وألفاظ متناسقة.

قـــال ابن عاشـــور:[3] أيًّا ما كانت كيفيـــة التعليم فقد كان ســـبباً لتفضيل الإنســـان على بقية أنواع جنســـه بقوة النطق وإحـــداث الموضوعات اللغوية للتعبير عمَّـــا في الضمير. وكان ذلك أيضاً ســـبباً لتفاضل أفراد الإنسان بعضهم على بعض بما ينشـــأ عن النطق من اســـتفادة المجهول من المعلوم، وهو مبدأ العلوم، فالإنســـان لما خُلق ناطقاً معبِّـــراً عمَّا في ضميره، فقد خُلق مدركاً، أي عالماً، وقد خُلق معلماً، وهذا أصل نشأة العلوم والقوانـــين وتفاريعها؛ لأنك إذا نظرت إلى المعارف كلها وجدتها وضع أسماء لمســـميات وتعريفَ معاني تلك الأسماء وتحديدها لتسهيل إيصال ما يحصل في الذهن إلى أذهان الآخرين.. وكلا الأمرين قد حُرِمه بقيةُ أنواع الحيوان، فلذلك لم تتفاضل أفراده إلا تفاضلاً ضعيفاً بحُسن الصورة أو قوة المنفعة أو قلة العجمة بلْـــهَ بقية الأجناس كالنبات والمعـــدن. وبهذا تعلم أن العبرة في تعليم الله تعالى آدم الأسماء حاصلةٌ سواء أكان الذي علَّمه إياه أســـماءَ الموجودات يومئذٍ أم أسماء كل ما سيوجد، وسواء أكان ذلك بلغة واحدة هي التي ابتدأَ بها نطق البشر منذ ذلك التعليم أم كان بجميع اللغات التي ستنطق بها ذرياته من الأمم، وسواء أكانت الأسماء أسماء الذوات فقط أم أسماء المعاني والصفات، وسواء أكان المراد من الأسماء الألفاظَ الدالة على المعاني أم كل دال على شيء لفظاً كان أو غيره من خصائص الأشياء وصفاتها وأفعالها كما تقدم، إذ محاولـــة تحقيق ذلك لا طائل تحته في تفسير القرآن.

قلت: وفي هذه الآيـــات الكريمة دليل واضح على أن اللغة الإنسانية قد مُنحت لآدم – عليه السلام – في السموات العلا، وأن ألفاظها قد أُلهمت لـــه فأضحت موهبة يتميَّز بها ابن آدم دون غيره من مخلوقات عالمَي الأمر والشهادة.

وعلى هذا الأســـاس فإن جميع اللغات التي تحدَّث بها بنو آدم منـــذ بداية الخليقة، وما ســـيحصل فيها من تعديلات في المعنـــى أو المبنى؛ أصلها بتوقيف إلهامـــي.. وإن عملية التعليم التي تمت فـــي عالم الأمر مجملة محتملـــة لكيفيات متعددة، وإن الإلهام الإلهي قد اســـتوعب جميع المتغيرات الكونية فمنح الإنســـان القدرة على التكيف مع جميع اكتشـــافاته، ونجح في توليد أســـماء جديدة وأصوات تتناســـب معها بعيداً عن جميع أشكال الفوضى المفاهيمية.

ويبقى أمامنا ضابط واحد تجاه التغيرات التي قد تحصل على اللغات وألفاظها يدور حول حُرمة قلب الألفاظ الشرعية، أو تغيير دلالاتها الشرعية، أما غيره فجائز ولا غبار عليه.

---

(١) قال ابن عاشور في تحريره: لما كان مفهوم لفظ (اسم) من المفهومات الإضافية التي يتوقف تعقلها على تعقل غيرها، إذ الاسم لا يكون إلا لمسمى، كان ذكر الأسماء مشعراً لا محالة بالمسميات، فجاز للبليغ أن يعتمد على ذلك ويحذف لفظ المسميات إيجازاً.. انظر التحرير والتنوير، ١: ٢١٧ – ٢١٨.

(٢) فائدة يمكن اقتناصها من أن ضمير النصب في عرضهم يعود على المسميات، وظاهره أنه للعقلاء، فيكون إذ ذاك المعنى بالأسماء أسماء العاقلين، أو يكون فيهم غير العقلاء، وغلب العقلاء بالخطاب لبيان علو مقامهم بالنسبة إلى غير العقلاء.

(٣) تفسير التحرير والتنوير، ١: ٢١٨.

## قصة واقعية

# بقايا طفل ثائر...

محمد عمر الملحم

كان صباحاً بارداً، سماؤه ملبَّدةٌ بالغيوم، شاحبةٌ... وكأنها على موعدٍ مع الحزنِ والألم...

في ذلك الصباحِ الشاحبِ خرج الطفل عبد الله الحليبي ابن الاثني عشر ربيعاً مع صديقه يامن الحليبي يحتطبان... خرج الصغيران ينشدان الدفء لعائلتيهما الفقيرتين، بعدما نَفَدَ ما لديهم من بقايا وقود، ولم يستطيعوا شراء مزيدٍ منه بسبب ارتفاع ثمنه من جهة، وبسبب الحصار الظالم الذي تفرضه عصابات مجرمِ الحربِ النصيري (بشار الأسد) على الشعب السوري، الذي ثار منذ ما يقرب من عامين على جلاديه، يطالب بحريته وينتصر لكرامته، رافضاً الخنوعَ والذلَّ والاستكانَة.

خرج الطفلان النحيلان تلفح وجهيهما نسماتُ شتاء حمصَ الباردة، خرجا وهما يرتعدان من شدة الصقيع، وأخذا يجمعان ما تناثر من أغصان الشجر اليابسة هنا وهناك... في هذه الأثناء يسمع الصغيران صوت هدير طائرة من بعيد فتساءلا:

عبد الله: هل تسمع صوت الطائرة يا يامن؟

يامن: نعم! أسمعه جيداً.

عبد الله: الله أعلم أين ترمي براميلها وقذائفها العنقودية؟

يامن: الله يكفينا شرَّها!

يقترب صوت الطائرة أكثر، فيلمحُها الصغيران...

عبد الله: يامن! انتبه... إنها طائرة (الميغ) تتجه نحونا...

يامن: أسرع يا عبد الله... تعال نحتمي ببوابة هذه المزرعة...

وينطلقا مسرعين باتجاه بوابة المزرعة القريبة منهما، يحاولان النجاة، فيزحف عبد الله تحت الباب ويحتمي بعمود أسمنتي قريب... ويزحف خلفه يامن... وهما يصرخان: الله أكبر... الله أكبر... الله أكبر... ويدوي صوت انفجار آثم رهيب وتمضي الطائرة الجبانة مسرعة في الهروب لا تلوي...

يعبق الجو برائحة البارود، والدخانُ يسدُّ الأفقَ... ويسود السكونُ هنيهةً لا يشقه إلا صوت البراءة النازفة الشجاعة:

يامن...! يامن...! يامن...! هل أنت بخير؟ لكنَّ يامن لا يجيب...!

ينقشع الدخان ويحمل بعض الجيران عبد الله وينطلقون به في سيارة شبه مدمرة بقذائف طائرة (الميغ) إلى المستشفى الميداني... فقدمه قد بُترت، ودماؤه تسيل غزيرة، والطفل الشجاع لم تطرف له عين...

المسعف: لا تنظر إلى رجلك يا بني، سنصل إلى المستشفى، وستكون بخير إن شاء الله.

عبد الله: أعلم أن قدمي قد أصيبت، ورأيت صديقي يامن كيف تمزق جسده إلى أشلاء! رأيت كيف تقطَّعت رجلاه من الفخذين، وكيف طار رأسه عن جسده... الحمد لله لقد فاز بالشهادة إن شاء الله.

يدخل عبد الله غرفة العمليات ويتم تخديره، وفي أثناء العملية يرتفع صوته:

(يامن! بدنا نستشهد سوا... لا تتركني وتروح. جايينك يا بشار... بعون الله جايينك).

# من سادات الصحابة

## فِراسة نبوية، صادفت نخوة وخلقاً عربياً، فأثمرت صحابياً وفياً أبياً: أبا أمامة، ثمامة بن أثال، سيد بني حنيفة، رضي الله عنه

**الأمين الحاج محمد أحمد**(*)

الحمد لله القائل واصفاً رسوله الكريم الحليم، ذا الخلق العظيم: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].. وصلى الله وسلم على رسوله القائل: «إنَّ الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»(١). أمَّا بعد:

فإنَّ الإحسان أعلى مراتب الدين، وقد كان لرسولنا الرؤوف الرحيم منه أوفر الحظ والنصيب، ولهذا لم يقتصر إحسانه على صحابته ومن والاه، بل كان شاملاً لمبغضيه وأعدائه، ولمن شانه وقلاه، مما ألان له قلوب الأعراب الغلاظ الجفاة، فسرعان ما يتحول كفرهم وهجرهم وبغضهم له ولدينه إلى إيمان ومحبة ووفاء وولاء، فسبحان ربه جل في علاه الذي اختاره واصطفاه لختم رسله وأنبيائه.

لقد تمثل أصحابه الكرام هذا الخلق الكريم، وتأسوا فيه برسولهم أحسن التأسي، كيف لا وهم نجوم الغبراء ومصابيح الدجى، كما أن النجوم هي مصابيح السماء.

يظهر إحسانه وإكرامه إذا صادف خُلُقاً عربياً ونفوساً كريمة صافية أبية، وشخصية خيرية، وإن كانت جاهلية: «خياركم في الإسلام خياركم في الجاهلية إذا فقهوا» (الحديث)، وذلك أن الكريم يستعبده الإحسان، ويستفزه ويغضبه الضيم والعدوان، ولله در القائل:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وإذا أنت أكرمت اللئيم تمردا

فالكريم يقابل الإحسان بالإحسان، والمعروف بالوفاء والامتنان، مصداقاً لقول الرحيم المنان: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

لم يقابل أحدٌ إحسان الرسول وإكرامه قط بأحسن مما قابله به السيد الكريم الوفي، ثمامة بن أثال – رضي الله عنه وأرضاه –.

سنشير في هذه العجالة إلى طرف من حُسن خلق رسولنا وكرمه وإحسانه، وإلى كرم وإحسان وشجاعة ووفاء وصدق هذا الصحابي الذي لقب بسببه بسيد بني حنيف؛ لأنه بيَّض وجوه هذا القبيلة بعد أن شانها وشوّهها وأساء سمعتها مسيلمة الكذاب، فإن كان مسيلمة شؤماً على قومه، فإنَّ ثمامة كان سعداً وبختاً لهم.

(*) رئيس الرابطة الشرعية للعلماء والدعاة في السودان، ورئيس رابطة علماء المسلمين.
(١) مسلم رقم ١٩٥٥.

## قصة إسلام ثمامة - رضي الله عنه -:

أخرج الشيخان وغيرهما من أصاب السنن قصة إسلام هذا السيد الهمام، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه -: «أن النبي ﷺ بعث خيلاً جهة نجد لينظروا له ما حول المدينة، فبينما هم يتجولون على دوابهم، فإذا برجل قد تقلد سلاحه ولبس الإحرام وهو يلبي قائلاً: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، ويردد إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك).

فأقبل الصحابة عليه، وسألوه: أين تريد؟ فأخبرهم أنه يريد مكة، فنظروا في حاله فإذا هو قد أقبل من ديار مسيلمة الكذاب، الذي ادَّعى النبوة، فربطوه وأوثقوه، وجاؤوا به إلى المدينة ليراه النبي ﷺ ويقضي فيه ما شاء، فلما رآه النبي ﷺ قال لأصحابه: أتدرون من أسرتم؟ هذا ثمامة بن أثال سيد بني حنيفة.

ثمَّ قال: اربطوه في سارية من سواري المسجد وأكرموه.

ثمَّ ذهب إلى بيته وجمع ما عنده من طعام وأرسل به إليه، وأمر بدابة ثمامة أن تُعلف ويُعتنى بها وتعرض أمامه في الصباح والمساء. فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ، فقال: ما عندك يا ثمامة؟

قال: عندي خير يا محمد.. إن تقتلني تقتل ذا دم - أي سينتقم لي قومي منك -، وإن تنعِم تنعِم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فتركه حتى كان الغد، ثمَّ قال له: ما عندك يا ثمامة؟

فقال: عندي ما قلت لك، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل ما شئتَ.

فتركه حتى بعد الغد، فمرَّ به، فقال: ما عندك يا ثمامة؟

فقال: عندي ما قلت لك.

فلما رأى أنه لا رغبة له في الإسلام وقد رأى صلاة المسلمين، وسمع حديثهم، ورأى كرمهم.

قال ﷺ: أطلقوا ثمامة.

فأطلقوه، وأعطوه دابته، وودعوه.

فانطلق ثمامة إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثمَّ دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.. يا محمد! والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليَّ.. والله ما كان دين أبغض إليَّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إليَّ.. والله ما كان من بلد أبغض إليَّ من بلدك، فأصبح بلدك أحبَّ البلاد إليَّ.

ثمَّ قال: يا رسول الله، إنَّ خيلك أخذتني، وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله وأمره أن يعتمر، فلما قدِمَ مكة قال له قائل: أصبوتَ؟ فقال: لا، لكني أسلمت مع رسول الله، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ»[1].

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (وأخرجه ابن إسحاق في المغازي - أي خبر ثمامة - عن سعيد المقبري مطولاً وأوله: أن ثمامة كان عرض لرسول الله، فأراد قتله، فدعا رسول الله ربه أن يمكنه منه، فلما أسلم قدِمَ مكة معتمراً، فقال: والذي نفسي بيده لا تأتيكم حبة من اليمامة - وكانت ريف أهل مكة - حتى يأذن فيها رسول الله)[2].

## حبسه المبرة من قريش عقوبة لهم على كفرهم:

وقال ابن عبد البر: (وكانت مبرة قريش ومنافعهم من اليمامة، ثمَّ خرج فحبس عنهم ما كان يأتيهم منها من مبرتهم ومنافعهم، فلما أضرهم كتبوا إلى رسول الله: إن عهدنا بك وأنت تأمر بصلة الرحم، وتحض عليها، وإن ثمامة قد قطع عنا مبرتنا وأضرَّ بنا، فإن رأيت أن تكتب إليه أن يخلي بيننا وبين مبرتنا فافعل. فكتب إليه رسول الله: «أن خل بين قومي وبين مبراتهم»)[3].

## تبرُّؤ ثمامة من مسيلمة، ونصحه قومه، واعتزالهم، وانحيازه لجانب المسلمين:

كان ثمامة - رضي الله عنه - صادقاً في إيمانه، مخلصاً لدينه، ناصحاً لعشيرته، متخلياً عن الحمية الجاهلية والعصبية القبلية، ثابتاً على موقفه.

قال ابن إسحاق - رحمه الله -: (ارتد أهل اليمامة عن الإسلام غير ثمامة بن أثال - باتِّباعهم مسيلمة الكذاب - ومن اتبعه من قومه، فكان مقيماً باليمامة، ينهاهم عن اتباع مسيلمة وتصديقه، ويقول: إياكم وامْرأ مظلماً لا نور فيه، وإنه لشقاء كتبه على الله - عز وجل - على من أخذ به منكم، وبلاء على من لم يأخذ به منكم يا بني حنيفة.

فلما عصوه ورأى أنهم قد أصفقوا - عزموا - على اتباع مسيلمة، عزم على مفارقتهم، ومرَّ العلاء ابن الحضرمي ومن تبعه على جانب اليمامة - وهو ذاهب إلى البحرين - فلما بلغه ذلك قال لأصحابه من المسلمين: إني والله ما أرى أن أقيم مع هؤلاء مع ما قد أحدثوا، وإن الله تعالى لضاربهم بليلة لا يقومون بها ولا يقعدون، وما نرى أن نتخلف عن هؤلاء وهم مسلمون، وقد عرفنا الذي يريدون، وقد مروا قريباً، ولا أرى

(١) مختصر صحيح مسلم للمنذري - كتاب السير - باب في ترك الأسارى والمن عليهم رقم ١١٥٢؛ والبخاري.

(٢) الإصابة لابن حجر، طبع بيت الأفكار الدولية، ص١٦٠.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر، ج ١/٢٨٨.

إلا الخروج إليهم، فمن أراد الخروج منكم فليخرج، فخرج مُمِداً للعلاء بن الحضرمي، ومعه أصحابه من المسلمين، فكأن ذلك قد فثَّ في عضد عدوهم حين بلغهم مدد بني حنيفة.

وقال ثمامة بن أثال في ذلك شعراً:

دعانا إلى ترك الديانة والهدى
مسيلمة الكذاب إذ جاء يسجع
فيا عجباً من معشر قد تتابعوا
له في سبيل الغي والغي أشنع

في أبيات كثيرة وفي آخرها:

وفي البعد عن دار وقد ضل أهلها
هدى واجتماع كلُّ ذلك مَهْيَعُ[1]

## نصيحة راشدة وضلال أصم:

سجل الشهيد المحدث المؤرخ أبو الربيع سليمان الكلاعي المتوفى ٦٣٤ هـ، النصيحة الراشدة التي صدع بها ثمامة، فقوبلت بضلال أصم، حيث لم تصادف قلوباً واعية ولا آذاناً صاغية ولا نفوساً زاكية، قائلاً: (وقام ثمامة بن أثال الحنفي في بني حنيفة فقال: اسمعوا مني وأطيعوا أمري ترشدوا، إنه لم يجتمع نبيان بأمر واحد، إنَّ محمداً ﷺ لا نبي بعده ولا نبي مرسلاً معه، ثمَّ قرأ: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ١-٣]، هذا كلام الله عز وجل، أين هذا من: (يا ضفدع نقي كما تنقين، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين، لا الشرب تمنعين، ولا الماء تكدرين).

والله إنكم لترون أن هذا الكلام ما يخرج من ال - من الإله - وقد استحق ﷺ أمراً أذكر به، مرَّ بي رسول الله ﷺ وأنا على دين قومي، فأردت قتله، فحال بيني وبينه عمير، وكان موفقاً، فأهدر رسول الله ﷺ دمي، ثمَّ خرجت معتمراً، فبينما أنا أسير، وقد أظللت على المدينة، أخذتني رسله، في غير عهد ولا ذمة - فلو قتلوني لذهب دمي هدراً - فعفا عن دمي، وأسلمت، فأذن لي في الخروج إلى بيت الله، وقلت: يا رسول الله! إن بني قشير قتلوا أثالاً في الجاهلية، فأذن لي أغزهم. فغزوتهم وبعثت إليه بالخمس، فتوفى رسول الله ﷺ، وقام بهذا الأمر من بعده رجل هو أفقههم في أنفسهم، لا تأخذه في الله لومة لائم، ثمَّ بعث إليكم رجلاً لا يسمى باسمه ولا اسم أبيه، يُقال له: سيف الله، معه سيوف الله كثيرة، فانظروا في أمركم، فآذاه القوم جميعاً، أو من آذاه منهم، قال ثمامة:

مسيلمة ارجع ولا تَمَحَّك
فإنك في الأمر لم تُشرك
كذبت على الله في وحيه
فكان هواك هوى الأنوك[2]
ومناك قومك أن يمنعوك
وإنّ يأتهم خالد تتركك
فمالك من مصعد في السماء
ولا لك في الأرض من مسلك

العظات والعبر التي يمكن أن تستفاد من موقف رسول الله ﷺ من ثمامة، وموقفه هو - رضي الله عنه - من رسول الله ﷺ، ومن الإسلام، ومن قومه؛ كثيرة، منها:

١. حلم رسول الله ﷺ، وكرمه، وإحسانه مع أعدائه.
٢. عفوه ﷺ عند المقدرة.
٣. فراسته الصادقة ونبوته الحقة التي لا يدانيه فيها أحد من خلق الله عز وجل.
٤. صدق ثمامة - رضي الله عنه -، وشجاعته، وصراحته، وثباته.
٥. وفاؤه لرسول الله ﷺ لما وعد به.
٦. تجرده وإخلاصه لدينه، وتخلصه من شوائب الجاهلية.
٧. تجلي عقيدة الولاء والبراء لديه.
٨. نصحه قومه وحرصه على هدايتهم.
٩. سلامة العرب من خلق النفاق قبل الإسلام سوى ما كان لنفر في المدينة بسبب مخالطتهم ومجاورتهم اليهود الضالين الأشرار.

## موقفه من الردة:

كان له مقاماً حسناً، ووقفة مشرفة في الردة، وفي إنكاره لبني حنيفة، ونصحه لهم.

أنشد في الإنكار على بني حنيفة أشعاراً عديدة، منها:

أَهِمَّ بترك القول ثمَّ يردني
إلى القول إنعام النبي محمد
شكرت له فبكى من الغل بعدما
رأيت خيالاً من حسام مهند

ألا رحم الله ثمامة بن أثال، ورضي الله عنه، وعن سائر أصحاب رسول الله، وحشرنا الله في زمرتهم، ووفّقنا للسير على طريقتهم والتأسي بهم، فمن كان مستناً فليستنَّ بهم كما قال ابن مسعود - رضي الله عنه -.

وصلى الله وسلم وبارك على أشرف خلق الله أجمعين، سيدنا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) الاستيعاب، المصدر السابق.

(٢) الأنوك: الأحمق (الخلافة الراشدة والبطولة الخالدة في حروب الردة - للشهيد المحدث الكلاعي).

# مشاهد من دم

محمد عمر الشيخ

مـــرّتْ علـى سِـفـرِ الخُـلـــودِ مغلّـفه
كـانـت تـــزفّ المـــوتَ تَـهـتِـفُ مرجفه

مـــرت بـــلا وعـــد تـنـاديـنـا ولـم
تـلـقَ احـتـفـاءً فـهـي لـم تـكُ مُنصفه

مـن قـبـلـهـا غـرقـت بـــلادٌ مثـلـهـا
هـي تـونُـسُ الخـضـراء ماتت مؤسفه

والـنـيـلُ أعـلـن لـلأنـام شكـاتَـه
يـبـكـي بـعـيـدِ الـفـطـر بـين الأرصـفـه

رحـل الـعـقـيـدُ وكـفُّـه مـا قـصّـرت
في القـتـلِ في الـتـعـذيـبِ كانت مسرفه

واسـتـنـجـدت صـنـعـاءُ لـكـن بـعـدمـا
عـاثَـتْ بـهـا أيـدي الـطـغـاة المتلفه

وبـبـابِ شـامِ الـعـزّ تـاهـت أحـرفـي
ألمـــاً فـجـئـتُ إلـيـكـمـو لأخـفـفـه

أمٌّ تـئـنُّ عـلـى مـصـاب ولـيـدهـا
لـم تـلـقَ شـاش القطن حتى تسعفـه

لـيـفـارق الـدنـيـا عـلـى أحـضـانـهـا
وبـكـفّـه الـيـمـنـى بـقـيـة أرغـفـه

قـد شـيّـعـتـه دمـوعُـهـا وفـؤادهـا
قـد هـدّه لـهَـبُ الجـوى مـا أضـعـفـه

دفـنـتـه حـيـث رفـاقـه وصـحـابـه
لـم يـبـقَ دمـعٌ فـي الـعـيـون لـتذرفه

والـشـيـخ يمّـم مـسـجـداً فـي حـيّـه
صـلّـى وآنـسَ بـالـتـلاوةِ مصحفه

عـنـد الإيـابِ اسـتـقـبـلـتـه رصـاصـة
قـد مـزّقـت ثـوب الـضـريـر ومعطفه

ذبـحٌ وتـقـتـيـلٌ، مـشـاهـدُ مـن دمٍ
أيـن الـعـروبـة والـقـلـوب المرهفه

مـاتـوا جـمـيـعـاً لـيـس يـعـرف ذنبهم
أحـــدٌ، وأيـــن سـبـيـلـه كـي نـعـرفـه

هـم طـالـبـوا بـالـعـيـشـة الـحـسـنـى كما
يـحـيـا كـرام الـنـاس لـيـست سفسفه

هـي حـقـهـم ولـهـا أقـامـوا لـيـلـهـم
نـبـذاً لأنـظـمـة الـضـلال المجحفه

رحـلـوا إلـى المـولـى لـيـبـنـوا (إدلـبـاً)
أخـرى و(حـمـصـاً) فـي الجِـنـانِ مرفرفه

بـشـــارُ، أمـهـلـك الإلـــه لـغـايـةٍ
الـعـيـنُ نـحـو وقـوعـهـا مـتـلـهّـفـه

فـلـقـد أسـلـتَ مـن الـدمـاء شـوارعـاً
كـانـت تـؤمّـل أن تـعـيـش مجففه

ربـــاه طـــال الـظـلـم فـانـصـر أنـفـسـاً
ذابـت لـتـحـيـا سـوريـا المستضعفه

# تحدِّي العقيدة

رحـــاب حسـان

**اغتيـال الثـورة لا يكون فقط بتواجد ثورة سياسـية مضادة، فهناك نوع آخر مـن الاغتيالات أراه أقرب للواقع إذا أردنـا تصـوّر اغتيـال فعلي، ويتمثل ذلك في ثـورة فكرية مضادة للثوابت العقدية في المجتمـع ككل، وحينما أتحدث عن ثورة فلا أقصد التحديات الاعتيادية والهجوم الناعم والحرب المسـتديمة بين الحق والباطل؛ لكنني أتحدث عن حالة خاصة توصِّف المقومات الأساسية للكلمة وتوظّف عناصرها من حيث الشحن وغسل الدماغ والعزم على نسف القديم بالكلية وإحلال جديد مكانه بقوة الدفع والهجوم الثوري.**

## أسباب خفوتها قبل الثورة:

فالأفـكار المخالفة للعقيدة والمحاربة للهوية ليسـت حالة جديدة علـى المجتمع العربي والمصري بوجـه خاص، لكنها – خاصة الشاذ منها – كانت كامنة أو مسلوبة القدرة في الإفصاح عن نفسـها، ولكي نكـون أكثر دقة فقد كانـت محفوظة في معظمها في شكل كتب صماء لا حراك فيها وشعارات ممجوجة لا قيمة لها، حتى كان من المسـتحيل تخيـل الجهر بها نتيجة الرفض الشعبي الجارف.

وكذلك بسبب قلة أعداد المنتمين إليها الذين لا يتعدون في الكثير من الأحوال النيف من العدد.

كذلك بسـبب القمع السـلطوي للنظام السابق الذي رغم اضطهـاده الحركات الإسـلامية إلا أنـه كان لا يزال يحتفظ بالقليل من الهيبة الشكلية للإسلام وأهله كنوع من الديمقراطية أمام عمـوم المصريين، ولعل أهم الأسـباب التي حجّمت تلك التيارات الشـاذة سابقاً هو النشاط الدعوي للإسلاميين ونشر دعوتهم للمجتمع بطريقة أفقية عمليـة والبدء بقاعدة الهرم، حيث إن طريق القمة والزعامة كان مسـدوداً بسبب اضطهاد النظام السابق لهم ومحاسبتهم على كل صغيرة وكبيرة والتربص بهم... إلخ، ما حدا بهم إلى الالتحام بالشعب المصري والاندماج الشـعوري والفكري بحاجات المجتمع ومعرفة متطالباته، حيث كانوا شـيئاً واحداً ولحمة لا تنفصل، بحيث اكتسـبوا شعبية عريضة تغلغلت في المجتمع وأنبتت ثماراً جيدة فيما بعد، وذلك على العكس من كثير من الدعوات الباطلة والشاذة التي انتهجت طريق القمة متمثلاً في الدعم السلطوي كسبيل للشهرة والدعوة لأفكارهـا، فلم يعد لها رصيد في جذور المجتمع المصري الذي يشعر بالنفور الفطري لكل ما هو ضد هويته وشريعته، فتنافرت

الأهداف والغايات، ولم يكن هذا النفور فكرياً أو أيديولوجياً فحسب، بل كانت الفجوة الاقتصادية والطبقية الجائرة حائط صد في التماهي بينهم وبين عامة الشعب؛ فتقوقعت تلك النخب حول أهوائها وتراصت حول الطاغية في صف يختلف عن صف الشعب.

وحديثي قبل وحتى نهاية المقال ليس نقداً ولا تبريراً ولا إجحافاً للدعوة وأدائها في الآونة الأخيرة بقدر ما هو وصف وتأريخ للحالة الفكرية، خاصة المصرية قبل وبعد الثورة، فماذا حدث بعد الثورة؟ فقد اختلفت الأسباب السابقة كثيراً بعد الثورة.. ونتج عن الثورة السياسية ثورة فكرية غير مرئية للعيان، إلا أن تأثيرها يكاد يتضح يوماً بعد يوم وملامحها بدت تتشكل، حيث لفظت التيارات الفكرية بفلذات أكبادها واستعدت للهجوم بمختلف الأشكال ومن جميع الزوايا وعلى كافة الأصعدة في جرأة غير مسبوقة متحدية الثوابت الإسلامية بطريقة غير معهودة.

وكانت أهم خصائص تلك الثورة الفكرية التركيز على القاعدة الهرمية والاحتكاك بالأفراد والتعامل بصورة أكثر عملية.. تلك الخصائص التي ربما تخلى الإسلاميون بوعي أو دون وعي عن جزء منها بعد الثورة، وحتى نكون أكثر دقة سنقول إن تلك القاعدة بدأت تتفلت من الإسلاميين لأسباب - أذكرها في نهاية المقال - ليتلقفها آخرون، وذلك بعد انهيار القمة السلطوية ظاهرياً وشعور النخب وأرباب الثورة الفكرية بالدور المؤثر الذي حظت به الطريقة الأفقية في التأثير، ما حدا بهم لإعادة النظر - برأيي - في العمل الأفقي، مع التشبث بما بقى من القمة؛ فتبادل الطرفان الأدوار والأماكن بشكل أو بآخر.

ويمكننا تقسيم هذه التيارات التي بدت منظمة على مستوى الجذر وإن بدت على السطح وكأنها ظواهر شاذة وأحياناً أعمال بالباطن وأخرى حوادث فردية، إلا أن الملحوظ تنامي المنحنى الأفقي (والدعوة الفردية) لها - للثورة الفكرية المضادة - وتمردها وجرأتها وتنوع انتشارها واستهدافها فئات الشباب الملازم للإنترنت والمقيم على صفحات الفيس بوك والتويتر؛ ذلك العالم الذي غاب عن كثير من المؤولين والدعاة إلا من رحم ربي، فترك الشباب فريسة سهلة لكثير من الأفكار التي تحارب العقيدة وتشكك في الثوابت وتجعلها مائعاً في أذهان الشباب الذين ليس لهم حصانة عقدية، وتنامي ذلك بخاصة تحت حالة التشويه المستمر للحركة الإسلامية، والملحوظ أن هذه الثورة ليست كصنوها السياسي المضاد؛ فهي لا تعترف بالحدود، وقد تمتد بمرونة ويسر لدول الجوار لتشكل كتلة ثورية من نوع جديد يتميز بأدائه وأهدافه وأماكن تمركزه، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر بعضاً من تلك الأفكار.

### أولاً: ظاهرة الداعية البديل:

وتتمثل في ظهور بعض الشباب المتألق على الساحة الفكرية يتبنى فكر الطب البديل وعلم الطاقة، لكنه في حقيقة الأمر يتبنى فكرة الداعية البديل عن العالم الرباني والداعية المحقّق المتحدث بالشرع والدليل. ويتحدث الداعية البديل بقليل من الحق والقرآن وكثير من الباطل والبهتان؛ يتقلد فجأة الصفوف الأولى في الإعلام العلماني فيهرف بما لا يعرف لأن الكثير غير متفرغ لنقده وضبطه في هذه الحالة المتأزمَة من تاريخ البلاد، ويتواجد على صفحات الفيس بوك يتبادل الحوار ويغذي المتحاورين بتوجهه الجديد.. ومع الاستقراء والملاحظة ستجد أن أخطر فكرتين لتلك الظاهرة هما: عقيدة الإرجاء وعقيدة القدرية، وباختصار شديد جداً أذكر مثالين:

يرفع الداعية البديل راية التفاؤل والأمل والمحبة وحسن الظن بالله إلى أبعد الحدود، وهذا جيد، إلا أن امتداده ليس بجيد حين يؤصل بها لعقيدة الإرجاء؛ فيحرم التذلل والخضوع لله تبارك وتعالى، ويلغي التعبد إلى الله بالخوف والرهبة ويحصرها على الرغبة والحب العام المتبادل بين العبد وربه، وينشر المحبة بين الجميع من شتى الملل ليؤنسن المجتمع، فيخرج بنتيجة مريحة للضمير.. هذا أولاً، وثانياً: ينتقد المشايخ الذين ينفرون الناس من الدين ويرهبونهم من الله. ومن هنا تتأكد فكرتي على أنه داعية بديل، حيث يتعامل بحرفية مع القلوب المجهدة والنفسيات المتعبة التي تطمح لأي مكسب إثر الثورة، وهذا سيفتح له باباً كبيراً، حيث تركن النفوس دائماً إلى من يدللها ويرتب على أهوائها ولو بالتخدير والنسيان والحديث المدغدغ للمشاعر.

الراية الثانية التي يرفعها الداعية البديل هي التحفيز والدعم النفسي والإصرار على تحقيق الهدف ونيل مكارم الغايات وبث الطموح والأمل في المستقبل، وهذا جيد جداً لو لم يكن بالتمني والتخلي والتذرع بعلوم واهية لا دليل شرعياً ولا علمياً عليها، حيث تتعلق تلك الأمنيات والرغبات وترتبط بعلم الطاقة الحيوية وما تنقله لنا من طاقة إيجابية وسلبية، ولا أريد التعمق في الأمر منعاً للإطالة، إلا أن أخطر ما لاحظته هو

إصرارهم على التقهقر إلى عقيدة القدرية الأولى من نفي خلق الله لأفعال العباد، مزيلين ذلك بتأويلات فاسدة لآيات قرآنية وأحاديث نبوية، فأنت – عندهم – وحدك من تحقق فعلك، وأنت وحدك بسلبيتك المتعاركة في الكون من تجني على نفسك، ولا يوجد شيء اسمه ابتلاء، ولا يوجد – عندهم – أن الله إذا أحب عبداً ابتلاه، ولا أشد الناس بلاء الأنبياء، وكل المصائب التي حولك أنت من صنعتها بنفسك، كما أن كل الأفعال الخيّرة أنت من صنعتها فقط بإرادتك، ويعزون ذلك للطاقة السلبية التي جلبتها لنفسك أو الإيجابية التي اكتسبتها من مسارات الكون.. إذاً فقد تم تحويل العبادات وتقعيدها على أساسين:

الأساس الأول أنك من تخلق فعلك وحدك. والأساس الثاني وهو نتيجة للأول ودليل عليه، وهو انتقال إرادة العبد وفعله من كونه إرادة وفعلاً تحت مشيئة الله وإرادته إلى علاقة متناسقة ومنسجمة بين إرادة العبد ومسارات الطاقة الكونية.

ناهيكم عن استيراد فلسفات شرقية وعقائد بوذية وكسوتها بكساء إسلامي وكأنهم اكتشفوا الدين من جديد بعد ١٤٠٠ عام، وكأن الاجتهاد في أصول الدين مباح ولا مشاحة فيه. والملاحظ في علم الطاقة أنه ابتدع فلسفة جديدة وفريدة من نوعها وشق صفوف الصراع بين أهم اتجاهين على الساحة الفكرية والعقدية، حيث يحتدم الخلاف في غالب الأمر بين اتجاه الفلسفة الغربية القديمة التي تفضل التفكير الكلاسيكي في الإيمان بالإله الخالق المدبر ومن ثم الإيمان بالغيبيات – الميتافيزيقا –؛ والاتجاه الثاني المادي الوضعي الذي لا يؤمن إلا بالدليل والتجربة والملاحظة والنتائج المشاهدة بالحس ولا يفكر في الغيب والماضي.

إلا أن علم الطاقة الوهمي اجتزأ من الاتجاهين مكوناً فكرياً مشوهاً وفريداً من نوعه فمزج الفلسفة التجريبية وزج بها في فلسفة الميتافيزيقا الشرقية المخالفة للعقيدة الإسلامية زاعماً أن علمه جزء من العلوم الفيزيائية، موهماً المتلقي أن تشابه الأسماء يعني تشابه المسميات، وشتان بين الطاقة الفيزيائية التي تقدم تجارب وتعطي ملاحظات ونتائج مادية محسوسة، وبين الطاقة الميتافيزيقة الوهمية التي تعنى بالهالة والجسم الأثيري وتؤمن بالطلاسم والطواطم والأحجار، ودرجة الاختلاف بينهما باختصار هي درجة الاختلاف بين شحنات الطاقة الفيزيائية المختلفة حين تتجاذب وشحنات الطاقة الوهمية المختلفة أيضاً حين تتنافر.

**الظاهرة الثانية:**

الهجوم الليبرالي الثوري الانتشاري الذي أخذ على عاتقه مبدأ الدعوة الفردية وترصد أماكن الشباب لنشر الفكر الإرجائي في ثوبه الجديد بحيث يعيش الليبرالي في حالة انفصام أيديولوجي؛ فهو مسلم قلباً ليبرالي قالباً!! وإباحة السب والشتم لرموز الإسلام بدعوى الحرية وعدم التقديس. ولقد انتشرت الصفحات الليبرالية وشغلت لها أماكن معتبرة أيضاً في الجامعات وأسَّست الصالونات، وثورتها الفكرية ضد الثوابت مستمرة والحديث عنها يطول.

**الظاهرة الثالثة:**

والتي لم أكن لأصدقها وأتحقق من انتشارها الملحوظ بصورة غريبة إلا بعد احتكاكي المباشر بهذه الفئة والنزول لأرض الواقع على مواقع التواصل الاجتماعي لأكتشف الكم المعتبر من الصفحات وكذلك المتلقين ونشر الفلسفات الإلحادية الغربية، سواء بالطرق الفلسفية التقليدية، أو بالطرق العلمية (الفيزيائية والبيولوجية...).

على سبيل المثال لا الحصر:

– نشر فكرة النسبية على أنها فكرة بديهية غير قابلة للنقاش، ومن ثم برمجة العقل على هدم جميع الثوابت السابقة على الأقل في نظرته للمخالف؛ فما هو ثابت عندك متغير عندي، وما هو ثابت عندك اليوم ربما لا يثبت عندك غدا، ولا ثابت غير المتغير.

– إنكار وجود الله عز وجل صراحة – تعالى عما يقولون علواً كبيراً –، والجهر بكلمة «أنا ملحد.. أنا لا ديني لا أدري»، والاجتراء الصريح على كثير من الثوابت الإسلامية والسخرية بطرق مشينة.. وأنا لا أدري حقاً من أين أتى هؤلاء وكيف لا يتم تجريمهم؟!

– نشر أفلام وثائقية لملاحدة الغرب مثل ريتشارد دوكنز وستيفن هوكنج، كما يتم نشر أفلام قصيرة لشباب لا ندري عنه سوى صورته المعروضة؛ يؤصلون للإلحاد بالطرق العلمية كإثبات النظرية الداروينية.. وهذا غيض من فيض.

**الظاهرة الرابعة:**

الدعاوى الحقوقية من قبل الفرق الشاذة الدخيلة على المجتمع، مثل الرافضة والبهائية وغيرها؛ لنيل نصيب من الكعكة السياسية والمحلية وكأن مصر استحالت على مجموعات صغيرة من الأقليات والفرق، كذلك التنصير الذي استشرى في الآونة الأخيرة.

**الظاهرة الخامسة:**

الجهر بالفجور إلى حد المطالبة بحقوق الفجار، ويرتكزون في الغالب لنشر أفكارهم على الطريقة الانفجارية لإحداث صدمة فكرية للمجتمع، بمعنى تفجير الفكرة فجأة وبصوت عال وجرأة صارخة فتنتشر انتشار النار في الهشيم، ولعل هذه الظاهرة رغم قبحها إلا أنني أظنها أهون مما تقدم، والسبب هو أنه كلما ظهر قبح الشيء قلَّ خطره وزاد استقباحه بين الناس، أما الخطر المحدق بحق فهو فيمن يزعم تبني الحق ويدجل عليك ويبطن لك الشر والكفر.

إن هذه الظواهر وتلك الثورات الفكرية الهائجة، ليست أقل خطراً من إشكالية تطبيق الشريعة والمعارك السياسية التي يخوضها القادة والأكابر في الحركة الإسلامية، والخوف من تفتيت مصر لدويلات ليس أكثر خطراً من الخوف من إحداث هذا التفتيت على المستوى الفكري والأيديولوجي العقدي، ويكمن خطرها في زحفها الهادئ الثابت والخفي الذي يداعب مشاعر العوام ويضع بدائل مريحة وسريعة للثابت الإسلامي وللقدوة الصالحة ليستبدلها بقدوة ناجحة في توقيت حرج ينشغل فيه الجميع عن الدعوة صغاراً وكباراً وتحت حالة عامة من الضغط النفسي للشعب.

**أهم أسباب الثورة الفكرية:**

**أسباب طبيعية**، فهي نتيجة للثورة السياسية وما نتج عنها من فوضى تخلق كل ما هو غريب وغير مألوف، وهي نتيجة للانفتاح وغياب القانون والأمن، وإن كنت أرجح أن الثورة الفكرية ثورة ممنهجة هدفها القضاء على العقيدة والهوية.

**أسباب طائفية** تتمثل في هجوم أصحاب الملل والنحل لاغتنام الفرص في الجلوس على مقاعد شاغرة بعد الثورة وتفخيخ الرأي العام بمذاهب مختلفة وكثيرة وأفكار متعددة؛ لاختلاق حالة من الفوران الذهني والصراع المذهبي، وكذلك تقييد الدعاة والمشايخ في وضع مستديم من الدفاع بدلاً عن الهجوم؛ لأن الفرض العيني أهم من الكفائي.

**أسباب سياسية** تتمثل في إلهاء الشعوب بقضايا فرعية وإشغالهم عن الغاية الأساسية والسعي نحو خلق حالة من العبث والفوضى الفكرية والضغط النفسي؛ وكل ذلك كفيل بثبات حالة الفوضى الأمنية والزعزعة السياسية في المجتمع ريثما يتم صياغة الهوية أو الهويات الجديدة لهذا المجتمع.

**أسباب دعوية** نتيجة لأخرى سياسية، وهذا ما أعتبره السبب الأهم والأعمق، ويتمثل في عكوف الحركات الإسلامية في مجملها إلى التركيز على الجانب السياسي - قمة الهرم بعكس خطتهم السابقة - دون الاهتمام بصورة شاملة كاملة بباقي الجوانب، ودون الاحتراز من التغير الإبستمولوجي - المعرفي - للأفراد والمجتمع بعد الثورات، وإن تحقيق المصالح لا أظنه أوقف في الشرع فقط على الجانب السياسي، وليس معنى حديثي هذا أننا نظل إلى الأبد في القاعدة، لكن ثمة أسئلة ينبغي أن تطرح وتناقش، فالحركات الإسلامية بعد الثورة انفتحت على العمل السياسي إلا إنها بسبب الجو العام حوصرت بين خيارين لا ثالث لهما؛ إما تحديد أطر لكيانات دعوية معروفة لكن على أساس سياسي ومن ثم ترسيخ ذلك في الذهن المجتمعي[1] بكل قوة كجماعة الإخوان وكالدعوة السلفية والجماعة الإسلامية، وهذا ما تم بالفعل؛ والخيار الثاني الذي كان يمكن للإسلاميين سلوكه، هو التماهي والاندماج في بوتقة واحدة غير عابئين بالحالة السياسية التحزبية، أو على الأقل يمكن أن يكون هذا التماهي جزئياً لا كلياً بحيث يتم توحيد الخطاب الدعوي والأنشطة الاجتماعية والتنسيق بين المنظومات الفكرية كمحاولة للتوافق والتلاقي ومن ثم لإنقاذ الدعوة والإبقاء على كيانها كما كانت، إلا أن الانفصال السياسي برهن على أنه الذراع الأقوى في كل جبهة وأنه الأجدر على الجذب والبقاء والسيطرة[2].

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل انساقت الكيانات الإسلامية وراء المخطط الغربي في تنفيذ الديمقراطية «الشرقية» لتُطبق التحزب المذموم في أكمل صوره، أم أن التعددية الحزبية ظاهرة صحية وعمل يسعى وراء الطموح التنافسي الناجح الذي سيفجر طاقات ربما لم نكن سنراها في التماهي والتوحد؟

إن الديمقراطية الشرقية أُسست في الأصل للتجزئة واختلاق الصراع الداخلي، حيث كان كل حزب قديماً ينتمي لدولة كبرى ويمثلها داخلياً بطريقة غير رسمية؛ فالحزب اليساري مثلاً كان يمثل روسيا، والحزب العلماني يمثل أوروبا، إلا أن تواجد الكتلة الإسلامية بصورة حزبية مجزأة شكّل اضطراباً للخطة وزاد الأمر تعقيداً من الداخل والخارج؛

(١) وهو ما يهمني في المقال.

(٢) وحديثي الذي لا يعدو كونه توصيفاً لواقع وليس نقداً يقلل أو يزيد من شأن الأحزاب الإسلامية التي لها نظرتها والتي تحترم اجتهاداتها في ترجيح المصلحة واختيار أقل الضررين وخير الخيرين.. وهذا ليس موضوعي، لكن ليس معنى تقديم مصلحة على أخرى عدم ذكر السلبيات المترتبة على تلك المصلحة، بل المفترض طرحها ومناقشتها. وما أريده هو الولوج إلى إشكالية المقال وهي التأثيرات السلبية للأحزاب الإسلامية على الدعوة والفكر الإسلامي.

فكما هو يحقــق لهم الاضطراب الخارجــي، إلا أنه قد يقيد الحركة الإسلامية داخلياً إلى السعي بآليات لا ترتضيها بشكل كلي شــمولي لمســتقبل الأمة ما يؤثر تباعاً على حالته العامة أو على الأقــل من الجانب الذي يهمنا وهــو الدعوي العقدي والفكري، حيث يبقى صراع الهوية بين الداخل والخارج عاملاً ضاغطاً على الأحزاب الإسلامية في توازنات تقوده إلى أسئلة لا متناهيــة، كل هذا ليس بمعزل أبداً عن التأثير الفردي لأبناء الحركة الإسلامية والتحديات النوعية التي تواجههم، فليس كل المنتمين لحزب ما على مســتوى متســاوٍ من إدراك وفهم روح التنافس أو فهم أن التعددية تمثل ظاهرة صحية، وليس الجميع يدرك فقه المصلحة والمفســدة، ومن ثم حتــى إن أخذنا بتلك الرخص الفقهية فسنجدها على المستوى الاجتماعي والسلوكي لا تحقق هدفها الرئيس، بل ترتد كما وفدت إلينا إلى براجماتية تذرعية عند كثير من أفراد المجتمــع، حينها تختلط الأهداف بالوســائل وتتحقق الغايات بطرق نفعية، وهي هكذا لم تزد ولم ترتقِ شيئاً على ما أخذته من أصلها الديمقراطية الأم في كثير مــن الأحوال؛ فالنظرة الديمقراطية لا تفهم الإيثار ولا تعبأ به، فمرجعيتها الوحيدة هي الأصول التطورية للفكر الغربي «البقاء للأقوى ليفنى كل من حولك مــن أجلك أنت»، وهذه الفكرة لا تنسجم أبداً مع فرض الاعتصام بحبل الله جميعاً وخُلق التآخي في الإســلام، خاصة ونحن نتحدث عــن أمور اجتهادية ينبغي على الأقل أن ترتبط في طرفها بأصول شــرعية، فالاختلاف في الاســلام مباح شريطة أن يلتقي في النهاية في جذر واحد ومصب شــرعي عام لا يختلف عليه المختلفــون، كذلك لو أن نظرية التحزب مباحة أو أننا نحاول أسلمتها فلا بد أن يشترك الجميع في مصب عام نهائي يرتبط بالشرع ولا أظنه بحال هو المصب الديمقراطي.

وبغــض النظر عن فقــه المصلحة الذي لا أجيــده كثيراً، فموضوعــي أن تلك العصبيــات والتحزبات قد تزيد من وطأة الانفصال الفكري اللاشــعوري بين قــادة تلك الأحزاب، ومثل هذا الانفصــال لا يُرى أثره بين يوم وليلة، ومن ثم تزداد فجوة العزلة الشعورية بين الأفراد الذين هم ليسوا على نفس مستوى الوعــي والإدراك الذي يجعلهم يترفعون عن الخلافات، فتظهر العصبيات بين أفراد الأحزاب والتناحر والتراشــق والانتصار للحزب وجعله الغاية الأســمى فوق الغايــة الأصلية والتي قد تصل لنســيان الأصل وجعل الدعوة للحزب لا لله، وتتلاشــى الأهــداف وينهدر جدار الدعوة ونشــغل الجميع – كما نرى – بالجزء عن الكل وبالسياسة عن الغاية الكبرى.

وبرأيي أن السبب في التماسك السلوكي والنزاهة السياسية في التعامل بين الأحزاب الإسلامية مع بعضها البعض الآن، هو نفس السبب الذي ترفضه تلك الأحزاب للتكتل مع بعضها، ألا وهــو إعلاء كلمة الله ولتكون هــي العليا، فالتطاحن الخارجي الدائر بين أفرادها مــن جهة وبين الأحزاب العلمانية من جهة يجعلهم يستشــعرون كثيراً هذه الغاية الكبرى ويتذكرون السبب الرئيس، إلا أن ذاك التناقض هو ما سيســبب الأزمة برأيي في يوم ما؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد انتهاز تلك الفرصة من الأحزاب غير الإســلامية بتعمد اختزال الدعوة الإسلامية والتعامل معها من خلال زاوية العمل السياسي فحسب ومن ثم محاولة خلق صراع على أســاس سياســي بين الإسلام ككل – والمختزل في صورة أسماء حزبية كحزب الحرية والعدالة وحزب النور مثلاً – وبين الليبرالية والليبراليين مثلاً، ما نتج عنه حالة نفور ملحوظ وعزوف عن ســماع مشــايخ الدعوة، ناهيكم عن مجرد احترامهم وتوقيرهم كما كان قبل الثورة.. من هنا تفتقد القدوة الصالحة بانهيار الرمزية الدينية لأنهم أصبحوا يمثلون أحزاباً معادية وطرفاً فاعلاً في الصراع السياسي المحتدم، وأنا لا أبرِّئ الحركات الإسلامية من هذه النتيجة التي أظنهم طرفاً فيها بشــكل من الأشكال، من هنا يمكننا استنتاج أن السلبيات الحزبية القائمة على النظام الديمقراطي قد تســبب تأثيرات خطيرة على النســق الفكري والأســاس العقدي للمجتمع، وأن الحل برأيي في العودة مرة أخرى لاستدراك تلك الفجوات التي سببتها الحالة السياسية الســائرة على النظام الغربي وإعادة النظــر في أولويات الدعوة بعد الثــورة وترتيب أفكارنا بحيث نتملك كما بالســابق زمام المبــادرة والهجوم الدعوي – إن جاز التعبير – بعــد أن أصبحنا نمثل دور المدافع فحســب، كذلك ينبغي اختزال المنبسط وبســط المختزل، أو بمعنى آخر تقديم الأصول على الفروع وإعطاء الجانب السياسي حجمه الطبيعي بجعله جزءاً من الدعــوة لا الدعوة، بحيث لا يطغى على باقي جوانــب العمل الدعوي، والتنبه للثــورة الفكرية المضادة وعدم التحقير من شأنها فهي تمهيد لثورة قد تفتّ عضد الأمة وتنال من عقيدتها وثوابتها.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

مجلة

# البيان

www.albayan.co.uk

موقع البيان الإلكتروني
يطلق نافذته الإندونيسية

تفاعل معنا إلكترونياً

YouTube

Available on the iPhone App Store

# من الدعوة إلى الدولة

د. هشـام عقـدة

لكلٍّ من مرحلة الدعوة ومرحلة الدولة سمات، ولكلٍّ منهما فقه، وقد شـاء الله لنا أن نرى مسـيرة التيار الإسلامي من مرحلـة الدعوة إلى مرحلة الدولـة، ولا يعني ذلك أن الدعوة تنتهـي بالوصول إلى مرحلة الدولة، بـل الدعوة وظيفة أتباع المصطفـى ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لكن المراد الانتقال من مرحلة الدعوة بلا دولة إلى الدعوة التي تشـارك فـي بناء دولة ويصبح لها شـيء من السـلطان والتمكين في الأرض.

ولقـد كان الانتقال من الدعوة إلى الدولة سـريعاً جارفاً كانجراف السـفينة، ومع هذا الانجراف قد يصاب الإنسـان أحياناً بشـيء من عدم التماسك أو عدم التوازن على نحو ما قال عبد الرحمن بن عوف – رضي الله عنه –: ابتلينا بالضراء فصبرنا، وابتلينا بالسراء فلم نصبر.

فإن لمرحلة الدعوة طبيعتهـا التي تربط العبد دائماً بالله – عز وجل –، وتسـتجمع كل قـوى النفس فتجعلها في يقظة تامـة وهجرة دائمة إلى ربها، فالممارسـات فيها ما بين وعظ وتعلم وتعليم وهداية ومكث في المساجد وعبادة ومشاعر رقيقة ترفـرف في عالم الأخوّة الصافية والحب في الله، ناهيك عن المحنة التي قـد تصاحب مرحلة الدعوة فتضيف لها سـمتاً خاصاً يطبع حياة الدعاة بالتضرع المسـتمر إلى الله، والدعاء الدائم من قلوب ملذوعة ونفوس مكلومة تبحث عن الأسـحار لما تجده فيهـا من مزيد أنس وقرب من اللـه الرحيم المطلع

على كل شـــيء الذي يداوي تلك القلـــوب التي بلغت الحناجر وهي تتضرع إليه ﴿ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾ [يوسف: ٨٨].. إنه الفقر إلى الله وصحة الاضطرار إليه.. فيداويهم جلَّ وعلا بنسائم رحمته وواسع مغفرته، وهو يرى ما بهم ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾، فيمسح عنهم الأسى والحزن واللأواء ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفتح: ١٨]... الله أكبر... يا لها من لحظات عجيبة تنفض عن القلوب كدر الدنيا وهمها ودخنها، وتأخذها من التعلق بالأغيار إلى التعلق بالواحد القهار، فتنقطع عن الخلق إلى الحق، وشتان ما بين الانقطاعين ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ [فاطر: ٢].

ولك أن تتصور تلك النقلة البعيدة من هذه الأجواء إلى الأجواء الجديدة بسماتها الجديدة، وهي نقلة لا يتماسك أمامها إلا أولو العزم أصحاب النفوس العالية الموصولة بربها، والأرواح المحلّقة في الملأ الأعلى وهي لا تزال بعد في هذه الدنيا، فيصدر عنها في مرحلة الدولة من عظمة الصلة بالله والتعلق بالدار الآخرة؛ ما كان يصدر عنها في مرحلة الدعوة والمحنة أو أضعافه.

تأمَّل حال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وهو يخاطب نفسه - عمر بن الخطاب أمير المؤمنين! -: والله لتطيعن الله أو ليعذبنك... يا ليت أم عمر لم تلد عمر... وددت لو خرجت منها كفافاً لا لي ولا عليّ. وحين أشرف على الموت قال لابنه عبد الله - رضي الله عنه -: ضع خدي على الأرض. ثم قال: ويلي إن لم يغفر الله لي.

وهذا أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - يتململ في محرابه قابضاً على لحيته يخاطب الدنيا: يا دنيا غري غيري، إليّ تعرضت أم إليّ تشوقت؟ لقد بتتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك حقير...

وهذا الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز كان يجمع الفقهاء والقراء في كل ليلة فيتذاكرون ثم يبكون كأن بين أيديهم جنازة.. وبكى ليلة فبكى أهل الدار ببكائه، فلما انجلت عنه العبرة سألوه: ممّ بكيت؟ قال: قرأت قوله تعالى: ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ [الشورى: ٧] فلا أدري في أيّ الفريقين أكون؟

إنها مدرسة النبوة التي انصبغوا بصبغتها... مدرسة التعلق بالآخرة كأنها رأي عين، واحتقار الدنيا ووضعها في حجمها الذي تستحقه حتى لا تحدث أدنى تغيير أو تلويث لنفوسهم حتى لو صاروا ملوك الدنيا.

أليس عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - هو الذي يروي لنا كيف علّمه رسول الله ﷺ وربّاه على التعلق بالآخرة وعدم الانبهار بالدنيا ومُلكها ومناصبها وزخرفها؟ يقول - رضي الله عنه - فيما أخرجه عنه مسلم في صحيحه: دخلت على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على حصير، فجلست، فأدنى عليه إزاره وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثر في جنبه، فنظرت ببصري في خزانة رسول الله ﷺ فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع، ومثلها قرظاً - نبات يدبغ به - في ناحية الغرفة، وإذا أفيق - جلد لم يتم دباغه - معلّق. فابتدرت عيناي. قال: «ما يبكيك يا ابن الخطاب؟». قلت: يا نبي الله وما لي لا أبكي، وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها ما أرى، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار وأنت رسول الله وصفوته وهذه خزانتك! فقال: «يا ابن الخطاب.. ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟». قلت: بلى.

وفي رواية أن عمر - رضي الله عنه - حين دخل على رسول الله ﷺ رآه متوسداً مضطجعاً على حصير، وليس في البيت إلا صبرة من قرظ واهية معلقة، فابتدرت عينا عمر بالبكاء، فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا عمر؟». فقال: يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت صفوة الله من خلقه. فقال: «أو في شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجّلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا»... ومات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي! بأبي هو وأمي صلوات ربي وسلامه عليه.

إنها إشارات مضيئة للدعاة وهم يمارسون دورهم في مرحلة الدولة تقول لهم: إنكم لن تفلحوا حتى تراقبوا الله وتستقيموا على شرعه في كل ممارساتكم، وتتعلقوا به وحده، وتتقوه في ذوات أنفسكم وعموم شأنكم، وتعيشوا بقلوبكم في الآخرة وأبدانكم في الدنيا، ولا تنسوا هذه الآية التي ينبغي أن ترتجف منها قلوبنا ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٩]، نعم والله ﴿ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾.

مجلة البيان وجميع إصداراتها المتنوعة متوفرة
بمتجر آبل الإلكتروني لأجهزة آيباد وآيفون.
( فقط عليك تحميل تطبيق البيان )

لجمهورنا الكريم، عدد المجلة لشهر ربيع الآخر ١٤٣٤هـ

على المتجر

www.albayan.co.uk

قريباً في معرض الرياض

# سلسلة رحلة الأهرام

ملحمة روائية جمع فيها المؤلف عناصر
التشويق والإثارة والحقيقة العلمية

## التوزيع والنشر

مؤسسة دار رسالة البيان للنشر والتوزيع

الرياض: - هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨
تحويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس:
٤٥٣٢١٢١
التوزيع والمبيعات:
٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ - ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ -
٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ - ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥
مكة وجدة والمدينة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠
المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨
المنطقة الشرقية: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩
منطقة القصيم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

رواية
Rewayah


دار رواية للنشر
لندن
104 Queensway
London W2 2RR
UK
E-Mail: info@rewayah.net
www. rewayah.net

أفضل تطبيق "مفكرة" إسلامي على "آب ستور"
باللغتين العربية والإنجليزية

مجلة البيان

واجهه خدمية مميزة

تقويم: هجري/ميلادي

أوقات الصلاة

اتجاه القبلة

والعديد من الخدمات المميزة

Al-Bayan Digital Calendar

Available on the iPhone App Store